

كتاب اتحاد ملوك الزمان * بتاريخ الاميراطور شرل كان مسبوقا بمقدمته
 المسماة اتحاد الملوك الالبا * بتقديم الجمعيات في اوروپا منذ
 اقراض الدولة الرومانية * الى اوائل القرن السادس عشر
 من السنين المسيحية * ترجمه من اللغة الفرنساوية *
 ونظمه في سلك التواريخ العربية * خليفة اقتدى
 رئيس قسم ترجمة ادبيات بقلم ترجمة بدويان
 المدارس المصرية * ادام الله ولي
 النعم صاحب تلك الآثار *
 وجعله وسلالته انصارا
 لدولة العرفان
 بامصار تلك
 الديار
 امين

(المجلد الاول)

فهرست الجزء الاول من كتاب اتحاف ملوك الزمان بتاريخ الاميراطور شرلكان

مصحف

٢

الخطبة

٣

المقالة الاولى

٣

ولادة شرلكان

٣

مطلب اصل اراضيه وممالكه

٤

توجه فيليبش الى شرلكان وحانة امه الى بلاد اسبانيا

٥

مطلب غيرة فردينند من فيليبش

٥

مطلب حيرة الملكة ايرازيلا والامه من اجل بئرها

٦

مطلب ولادة فردينند الذي صار اميراطور افينيابعد

٧

مطلب ايضا ايرازيلا لزوجها فردينند بان يكون قبا على مملكة قسطنطينية

٨

مطلب اقرار فردينند على نيابة مملكة قسطنطينية

٩

مطلب سعي فيليبش في الاستيلاء على حكومة قسطنطينية

مطلب بعث فيليبش الى فردينند ان يسلم مملكة قسطنطينية ويذهب الى

٩

ملكته

١٠

مطلب تخلي اشراف قسطنطينية عن الملك فردينند

١١

مطلب زواج فردينند بنت اخذ ملك فرانسا

مطلب المشاركة التي حصلت بين فردينند وفيليبش في ٢٤ من تشرين

١٢

الثاني

١٢

مطلب سفر فيليبش وزوجته حانة الى بلاد اسبانيا سنة ١٥٠٦

١٣

مطلب ميل اشراف قسطنطينية الى حزب فيليبش

٢٨

مطلب تخلي فردينند عن نيابة قسطنطينية وذهابه الى مملكة اراغون في

١٣

من شهر حزيران

مطلب اقرار مشورة وكلاء المملكة فيليبش وزوجته حانة على حكومة مملكة

١٤

قسطنطينية

مطلب

مضيفه

- ١٥ مطلب موت فيليبش في ٢٥ من شهر ايلول
- ١٥ مطلب اختلال عقل حاة
- ١٧ مطلب سفر فردينند الى مملكة تايلي
- ١٨ مطلب رجوع فردينند الى اسبانيا
- ١٨ مطلب فتوح مدينة وهران
- ١٨ مطلب اخذ مملكة نوار
- مطلب عزم الملك فردينند على حرمان سبطه كرلوس من مملكة اسبانيا حتى كتب الوصية بذلك للامير فردينند اخي كرلوس سنة ١٥١٥
- ١٩
- ٢٠ مطلب تغيير الملك فردينند لوصيته التي كتبها
- ٢٠ مطلب موت فردينند
- ٢٠ مطلب تربية كرلوس الخامس المسجي شرلكان
- ٢٢ مطلب طباع كرلوس في مبداء امره
- ٢٥ مطلب جعل كرلوس اديان نابا على مملكة قسطنطية
- ٢٦ مطلب افراد اكرزيمينيس بادارة الدولة وتعيين مصالحها
- ٢٦ مطلب تلقيب كرلوس ملكا
- مطلب اقرار كرلوس على الملوكية في مملكة قسطنطية وكان ذلك باقتباس
- ٢٧ اكرزيمينيس وهمته في ٥ من شهر نيسان
- مطلب شروع اكرزيمينيس في تقوية الشوكة الملوكية وتوسيع دائرته
- ٢٨ من اياها
- ٢٨ مطلب خفضه للاشراف واطعافه لشوكتهم
- ٢٩ مطلب شروع اكرزيمينيس في ترتيب جيوش من الاهالي
- مطلب شروع اكرزيمينيس في أن يرد للتاج الاقطاعات التي اقطعها الملوك
- ٣١ الاولون للاشراف والاكابر
- ٣٢ مطلب نهدي الاشراف لمنعه عن تعيين مشروعاته

مصحفه

٢٣ مطلب تحزب وكلاء القلنك على اكريمينيس

٢٣ مطلب تولية الملك كروس لاثنين بشر كان اكريمينيس في نيابة قسطنطية

٢٦ مطلب حث اكريمينيس لكروس على الحضور الى اسبانيا

٢٧ مطلب عقد الصلح بين كروس وملك فرنسا في ١٣ شهر آب

٢٨ مطلب منع اهل القلنك كروس عن السفر الى بلاد اسبانيا

٢٩ مطلب خوف القلنكيين من اكريمينيس

٢٩ مطلب سفر كروس الى اسبانيا

٤١ مطلب خيانة كروس

٤١ مطلب موت اكريمينيس في ٨ من شهر تشرين الثاني

٤٢ مطلب عقد مشورة القورطس بمدينة ولادوليدة (سنة ١٥١٨)

٤٢ مطلب مبايعة كروس باللوكية في قسطنطية

٤٢ مطلب غم اهل طيلة

٤٤ مطلب جمع كروس مشورة وكلاء ملكة اراغون

مطلب كون توقف الاراغونيين في هذا الشأن وعصيانهم اكثر من

٤٤ القسطنطينيين

٤٧ مطلب موت الايمراطور مكسيميليان في ١٢ من شهر كانون الثاني

٤٨ مطلب سعي مكسيميليان في اثبات التاج الايمراطوري لحفيده كروس

٤٨ مطلب سعي كل من كروس وفرنسيس في ايل المنصب الايمراطوري

مطلب دعوى كروس في شأن المنصب الايمراطوري ووجه طمعه

٤٨ في النجاح

٥٠ مطلب الاسباب التي بني عليها فرنسيس دعواه

٥١ مطلب آراء ملوك الفرنج الاخرين

٥٢ مطلب آراء السويسيين

٥٢ مطلب آراء اهل جمهورية البنادقة

- ٥٢ مطلب اراء هنرى الثامن
- ٥٤ مطلب انعقاد مشورة الديتة فى ١٧ من شهر حزيران
- ٥٥ مطلب آراء الامراء المنتخبين
- مطلب عرض المنتخبين النتائج لالامبراطورى على الامير فردريك دوق
٥٥ سكس
- ٥٦ مطلب امتناعه عن قبول النتائج
- ٥٧ مطلب رد فردريك للمهايا التي ارسلها اليه رسل الملك كرلوس
- ٥٧ مطلب انعقاد مذكرة جديدة بين المنتخبين
- ٥٨ مطلب انتخاب كرلوس لالامبراطورية
- ٥٩ مطلب اعلام كرلوس باقبايه امبراطورا
- ٦٠ مطلب غم الاسبانين من هذه المائدة
- ٦١ مطلب ازدياد غم الاسبانوليين
- ٦٢ مطلب القننة التي حصلت بملكة بلانية فى ذلك الوقت
- ٦٢ مطلب ازدياد نيران القننة سنة ١٥٢٠
- ٦٤ مطلب افتتاح المذاكرة بالمشورة فى اول يوم من شهر نيسان
- ٦٥ مطلب ازدياد غم اهل قسطنطينة
- مطلب جعل كرلوس اناسيانوبون عنه ويقومون بمصالح ممالك اسبانيا
٦٦ مدقغيته
- ٦٦ مطلب ارتحال كرلوس الى البلاد الواطية
- ٦٦ المقالة الثانية من تحاف ملوك الزمان بتاريخ الامبراطور شرلكان
- ٦٦ مطلب لزوم حضور كرلوس ببلاد المانيا
- ٦٧ مطلب منشاء العداوة بين كرلوس وفرنسيس الاول وازديادها بالتدريج
- مطلب المذاكرات التي حصلت قبل حصول الحرب بين فرنسيس
٦٨ وكرلوس

مكتبة

- ٦٨ مطلب مداولا لتمام البايا
- ٦٩ مطلب مداولا لتمام اهل البنادقة
- ٧٠ مطلب مداولا لتمام ملك انكلترا
- ٧٠ مطلب بيان عظم شوكة ملك انكلترا
- ٧٠ مطلب مناقب هنري واخلاقه
- ٧٢ مطلب بيان طباع وزيره الاول وهو الكرد ينال ولسي
- ٧٣ مطلب مداولة الملك فرنسيس مع الوزير ولسي
- ٧٣ مطلب مودة الاميراطور كلوس للوزير ولسي
- ٧٤ مطلب ذهاب كلوس الى انكلترا
- ٧٥ مطلب استمالة كلوس للملك هنري ووزيره ولسي
- مطلب مقابلة هنري لفرنسيس الاول في ٧ من شهر حزيران سنة ١٥٢٠
- ٧٦ مطلب ما قام بنفس هنري من عظم شوكته
- ٧٦ مطلب تنويع كلوس بالتاج الاميراطوري
- ٧٧ مطلب تولية السلطان سليمان الفاجر على كرسي الدولة العثمانية
- ٧٧ مطلب انعقاد مشورة الديتة في مدينة وورمس
- ٧٨ مطلب منشأ ما وقع في دين النصرانية من النسخ
- ٧٩ مطلب ضعف اسباب الدين الجديد في مبداء امره
- ٧٩ مطلب بيع الغفران الذي جرده البابا اليون العاشر
- ٨١ مطلب في الكلام على لوتير ومناقبه
- ٨٢ مطلب تصدى لوتير لمنع بيع الغفران
- ٨٣ مطلب نشر لوتير مسائل لاجل ابطال بيع الغفران
- مطلب تعضيد قسوس الطائفة الاوغسطينية التي كان لوتير من جملة اربابها
- ٨٤ رأيه وتأييدهم لمذهبه

مطلب دينا

مطبوعات

- ٨٥ مطلب فيما كتبه عدة من علماء اللاهوت في مناقضة لوتير
- ٨٥ مطلب عدم اعتناء ديوان رومة بمذهب لوتير في مبداء امره
- ٨٦ مطلب تقدم آراء لوتير وانتشارها
- ٨٦ مطلب امر البابا الصادر الى لوتير بالحضور الى رومة
- ٨٧ مطلب امر البابا وكيله بان يحكم على لوتير في المانيا
- ٨٧ مطلب حضور لوتير بين يدي نائب البابا
- ٨٨ مطلب جساوته في سلوكه
- ٨٨ مطلب رفع دعواه الى غير كاتيجان
- ٨٩ مطلب اعانة منتخب سكس للراهب لوتير
- ٨٩ مطلب الاسباب التي حملت كاتيجان على ان يسلك مع لوتير ما سلكه اولاً
- ٩٠ مطلب الحالة الخطرة التي كان عليها لوتير
- ٩٠ مطلب جمعية عمومية من القسوس
- ٩١ مطلب فرمان جديد لتأيد عادة الفقران وتعضيدها
- ٩١ مطلب كون موت الایميراطور مكسيميليان من الامور التي اعانت لوتير
- ٩٢ مطلب تأخير الحكم على لوتير
- ٩٢ مطلب التسخيل بلاد السويد
- ٩٣ مطلب جساورة لوتير وتقدم مذهبه وازدياد قبول آرائه
- ٩٤ مطلب فرمان حرمان لوتير والحكم بكفره وطرده عن باب الكنيسة
- ٩٤ مطلب تأثير هذا فرمان في بلاد المانيا
- ٩٤ مطلب تأثير هذا فرمان في لوتير
- مطلب الحالة التي كان عليها التسخيل حين دخول شرلكان في بلاد المانيا
- ٩٥ مطلب ملحوظات في شأن سلوك ديوان رومة
- ٩٧ مطلب سلوك لوتير

صحيحة

- ٩٩ مطلب الاسباب التي اعانت على تقدم النسخ
- ١٠٠ مطلب الشقاق الطويل الذي حصل متعا القرن الرابع عشر
- ١٠١ مطلب في الكلام على البابا اسكندر السادس والبابا جاليوس الثاني
- ١٠٢ مطلب فساد اخلاق القسوس
- ١٠٣ مطلب سهولة نيل الانسان العفو فيما جاء على نفسه كقتل او غيره
- ١٠٤ مطلب سعة ثروة الكنيسة وظلمها في المانيا
- ١٠٤ مطلب تغلب القسوس على بعض الاراضي
- ١٠٥ مطلب مزاي القسوس الذاتية
- ١٠٦ مطلب تغلب القسوس على الاحكام المدنية
- ١٠٧ مطلب خوف الناس من القسيسين
- مطلب تعجيل القسوس في تحصيل الوسائط التي يأمنون بها على ما ائتمروا
- ١٠٧ لاقسم من الحقوق والمزايا
- ١٠٨ مطلب القسوس الذين كانوا بالمانيا كان اغلبهم اجنبياتها
- ١٠٩ مطلب كان قسوس المانيا ينصبهم البابا
- مطلب الوسائط التي استعملت لتضييق دائرة شوكه البابات ولم تكن
- ١٠٩ لها ثمرة
- ١١٠ مطلب بيع ديوان رومة للاقطاعات
- ١١١ مطلب كان ديوان رومة يستغرق اموال سائر الدول ويحوزها
- ١١١ مطلب مجموع نتائج هذه الاسباب السابقة
- ١١٢ مطلب استعداد الناس وصلاحياتهم لاتباع مذهب لوتير
- ١١٢ مطلب اختراع فن الطبع واعانتة على تقدم النسخ
- ١١٣ مطلب اعانة علم الادب على تقدم النسخ
- ١١٨ مطلب مذكرة مشورة الديت بمدينة ورمس سنة ١٥٢١
- ١١٩ مطلب الزام لوتير بالحضور الى مشورة الديت

مختصه

- ١١٩ مطلب دخوله بمدينة ووس
 ١٢٠ مطلب الامر الصادر بالقبض على لوتير
 ١٢٠ مطلب القبض على لوتير واخفائه في وارتنبورغ
 ١٢١ مطلب تقدم مذهبه
 ١٢٢ مطلب الامر الصادر من اونيورسيتة باريس بطلان مذهب لوتير
 مطلب منصف الملك هنري الثامن ملك الانكليز تأليا يفسد ويتقص
 به مذهب لوتير
 ١٢٣ مطلب رد لوتير
 ١٢٣ مطلب حالة المصالح بين شركاكان والملك فرنسيس الاول
 ١٢٤ مطلب انضمام هنري الثامن ملك انكلترة للايماطور
 ١٢٤ مطلب ترددليون بين الحزبين
 ١٢٦ مطلب المشاركة المنعقدة بين البابا والايماطور
 ١٢٧ مطلب موت شيورة وزير الايماطور ونديمه
 ١٢٨ مطلب بدء الحرب في مملكة نوار
 ١٢٩ مطلب تقدم فرنساوية ونظفهم
 ١٢٩ مطلب دخول فرنساوية في مملكة قسطنطينة
 ١٣٠ مطلب هزم فرنساوية وطردهم من مملكة نوار
 ١٣٠ مطلب ابتداء الحرب في مملكة البلاد الواطية
 ١٣١ مطلب محاصرة جيش الايماطور لمدينة ميزير
 ١٣٢ مطلب رفع الحصار
 ١٣٢ مطلب انعقاد جمعية الوزراء بمدينة كالس وتوسط ملك انكلترة في ذلك
 ١٣٣ مطلب اضااعة ثمره المدافاة
 ١٣٣ مطلب عصبة الايماطور وهنري ملك انكلترة على الملك فرنسيس
 ١٣٥ مطلب وقوع الحرب في ايطاليا

صفحة

- ١٣٦ مطلب سامة اهل دوقية ميلان من حكومة فرنساوية
 ١٣٧ مطلب تخاصم البابا مع الملك الفرنسي
 ١٣٧ مطلب الحرب في دوقية ميلان
 ١٣٨ مطلب غفر العساكر الايمراطورية
 ١٤٠ مطلب تغلب جيش الايمراطور على مدينة ميلان
 ١٤١ مطلب موت البابا اليون العاشر
 ١٤٢ مطلب انتخاب اديان للبابا
 ١٤٣ مطلب ابتداء الحرب ثانية في دوقية ميلان
 ١٤٤ مطلب انهزام فرنساوية في واقعة بيكون
 ١٤٥ مطلب طرد فرنساوية من دوقية ميلان
 ١٤٥ مطلب اخذ جنود من فرنساوية
 ١٤٥ مطلب اشهار الملك هنري الثامن للعرب مع مملكة فرنسا في ٢٩
 من شهر ايار
 ١٤٦ مطلب ذهاب الايمراطور الى انكلترا
 ١٤٧ مطلب دخول الانكليزي في ارض فرنسا
 ١٤٨ مطلب فتح السلطان سليمان بلخريرة رودس
 ١٥٠ المقالة الثالثة من اعقاب ملوك الزمان تاريخ الايمراطور شرلكان
 ١٥٠ مطلب الحروب للمدينة التي وقعت في مملكة قسطنطينة
 ١٥٠ مطلب قيام اهل طليطلة
 ١٥١ مطلب قيام اهل مدينة سيفورية
 ١٥٢ مطلب الوسايط التي استعملها اديان في معاقبة العاصين
 ١٥٣ مطلب طرد عساكره في مدينة سيفورية
 ١٥٣ مطلب طرد عساكره في مدينة دلكمبو
 ١٥٤ مطلب تسريح الكردي بال اديان للعساكر

مضيفه

- ١٥٥ مطلب مقاصد الجمعيات البلدية في محلكة قسطنطينة ودعواها
- ١٥٦ مطلب معاهدة الجمعيات البلدية المشهورة بالمعاهدة والعصبة المقدسة
- ١٥٧ مطلب قبضهم على الملكة حاتنة ام الايمبراطور شر لكان
- ١٥٨ مطلب ادارة المملكة باسمها
- ١٥٩ مطلب تأسف الايمبراطور ونعمه
- ١٥٩ مطلب مآذبره في شأن العاصين
- مطلب تقرير العصبة المقدسة المنتمل على شكواهم والمظالم التي يريدون رفعها عنهم
- ١٦٠ مطلب تولع العصبة بالحرية وغيرها عليها
- ١٦٣ مطلب سبب تكدر طائفة الاشراف
- مطلب عدم تجاسر رسل العصبة على عرض التقرير الذي هم مبعوثون به الى الملك
- ١٦٤ مطلب مبارزة العصبة المقدسة
- ١٦٥ مطلب نسل الثواب والاشراف
- ١٦٥ مطلب عدم حزم سر عسكر العصبة وهزيمته
- ١٦٦ مطلب نصميم العصبة على رأيها الاول
- ١٦٧ مطلب ما فعلته العصبة لاجل تحصيل الدراهم
- ١٦٨ مطلب ضياع الزمن من العصبة لاشتغالها بالمداولة مع الاشراف
- ١٦٩ مطلب غرور العصبة بسبب نجاحها في بعض وقائع هينة
- ١٧١ مطلب عدم سداد رأى العصبة
- ١٧١ مطلب هجوم الاشراف على جيش العصبة
- ١٧٢ مطلب هزم الاشراف لجيش العصبة
- ١٧٢ مطلب قتل ياديله
- ١٧٣ مطلب انحلال حزب العصبة

مضيفه

- ١٧٤ - مطلب مدافعة زوجة باد يله عن مدينة طليطلة مع القوة والثبات
- ١٧٦ مطلب التناجج المضرة التي فشت عن هذا الحرب المدني
- ١٧٦ مطلب ازدياد العصيان في مملكة بلنسية
- ١٧٨ مطلب علامات القتن في مملكة اراغونيا
- مطلب القننة الكبيرة التي حصلت في جزيرة مايورقه في ١٩ من شهر اذار سنة ١٥٢١
- ١٧٨
- ١٧٩ مطلب الاسباب التي منعت من اتفاق اها الى اسبانيا
- ١٨٠ مطلب حزم الايمراطور في سلوكه وحمله على من عصاه من الرعايا
- مطلب مفسر ادريان الى مدينة رومة وعدم تلقيه فيها مع التعجيب والاحترام
- ١٨٠
- ١٨٢ مطلب يذل ادريان جهده في تسكين قتن اوربا ونشر رايات الصلح بها
- ١٨٢ مطلب عصبة جديدة مع الايمراطور على ملك فرنسا
- مطلب الاحتراسات التي استعملها فرنسيس ليقاوم اعداءه
- ١٨٣ ويسلم من مكرهم
- مطلب ضياع قائدة احتراساته بسبب كشف القننة التي كان الدوق بوربون
- ١٨٤ سر عسكر البرية يضرهم نارها سرا
- ١٨٤ مطلب مناقب هذا الامير
- ١٨٤ مطلب اسباب غمه
- ١٨٥ مطلب مكاباته السرية مع الايمراطور
- ١٨٦ مطلب كشف القننة ونظمورها
- ١٨٧ مطلب التجاء الدوق بوربون لبلاد ايطاليا
- ١٨٧ مطلب اغارة الفرنسيين على بلاد ميلان
- ١٨٩ مطلب موت ادريان السادس
- ١٨٩ اقتصاب كايان السابع في ٢٨ من شهر تشرين الثاني

مطلب عدم

١٨٩	مطلب عدم فحاح الكردي نال ولسي في نيل منصب البابا
١٨٩	نجمه وحققه
١٩٠	مطلب حرب هفري في بلاد فرانس
١٩٢	مطلب انتهاء الحرب
١٩٢	مطلب رأى البابا الجديد في ٢٧ شهر سباط
١٩٣	مطلب مبادرة جيش الامبراطور الى الحرب
	مطلب تأخير الحرب بسبب مكر العصا كروا مناعهم من السير الى العدو
١٩٣	مطلب اضطراب فرنساوية الى ترلند وقيت ميلان
١٩٤	مطلب موت القارس ياروانهزام جيش فرنساوية
١٩٥	مطلب تقدم النسخ في بلاد المانيا
١٩٦	مطلب ترجمة لوتير الكتاب المقدس
١٩٧	مطلب ابطال المواسم والمحاقل الدينية في عدة مدائن
١٩٧	مطلب الوسائط التي استعملها اديان لينغ تقدم مذهب لوتير
	مطلب استدعاء مشورة الديانة المتعقدة في فورمبورغ بان تعقد مشورة قسيسية عامة لتتناكر في ازالة اسباب الاعتزال
١٩٨	مطلب تحميل نائب البابا ومحاولته لاجل منع انعقاد تلك المشورة القسيسية
١٩٩	مطلب عرض مشورة الديانة على البابا جودلا مستملا على ما تشكوى
	مطلب حاصل ما انقطت عليه الآراء في مشورة الديانة في ٦ من شهر اذار سنة ١٥٢٣
٢٠١	مطلب ما كان يلام اديان على ضلته
٢٠١	مطلب الاحتراسات التي اتخذها كليمان لابطال مذهب لوتير
	مطلب مداولة نائب البابا في مشورة الديانة المتعقدة نانيا عديتة فورمبورغ

صحيفة

٢٠٢

في شهر اسيوط سنة ١٥٢٤

٢٠٣

المقالة الرابعة من اتحاد ملوك الزمان بتاويخ الاميراطور شرلكان

مطلب آراء دول ايطاليا في شأن مصالح الاميراطور شرلكان والملك

٢٠٣

فرنسيس

٢٠٤

مطلب تصميم شرلكان على الهجوم على مملكة فرانسوا

٢٠٥

مطلب دخول جيش الاميراطور في اقليم برونسة في ١٩ من شهر اب

مطلب ما اتخذته الملك فرنسيس من الاجتراسات المبينة على الحزم

٢٠٥

والخذق

مطلب رفع جيش الاميراطور الحصار عن مدينة مرسيليا في ١٧

٢٠٥

من شهر ايلول

٢٠٦

مطلب اغترار الملك فرنسيس بهذا النجاح

٢٠٦

مطلب عزمه على الهجوم على دوقية ميلان

٢٠٧

مطلب اقامة امه نائبة عنه في المملكة مدة غيابه

٢٠٧

مطلب الحرب الحاصل في دوقية ميلان

٢٠٩

مطلب محاصرة فرنسيس لمدينة پاويا

٢٠٩

مطلب تشديده في تلك المحاصرة

٢١٠

مطلب مدافعة المحصورين

٢١٠

مطلب تخلي البابا عن الفريقين بموجب مشاركة عقدتها

٢١١

مطلب اغارة فرنسيس على مملكة نابلي

مطلب ما بذله كل من الامير سكيرو والامير دي بوربون من عظيم الجهد

٢١٢

والعزم

٢١٣

مطلب هجوم الجيش الاميراطوري على عساكر فرنساوية في ٣ من

٢١٣

شهر سباط

٢١٤

مطلب واقعة پاويا

مطلب انهمزام

صيفه

- ٢١٥ مطلب انهزام جيش فرنساوية
- ٢١٥ مطلب أسر الملك فرنسيس
- مطلب حالة الايمبراطور حين وصلته الاخبار بنصرة جيشه في عشرة
- ٢١٧ من شهر اذار
- ٢١٧ مطلب مقاصده التي عزم عليها
- ٢١٧ مطلب غم اهالي مملكة فرانس
- ٢١٨ مطلب حسن سياسة النابتة في المملكة
- مطلب ما قام بنفس الملك هنري الثامن بسبب نصرة الايمبراطور في واقعة
- ٢١٨ ياويا
- ٢٢١ مطلب ما قام بنفوس اهالي دول ايطاليا بسبب نصرة الايمبراطور
- ٢٢٢ مطلب قيام جيش الايمبراطور وخروجه عن الطاعة
- مطلب ماذا كره الايمبراطور فيما يكون به تحصيل فوائده جليلة من نصرته على
- ٢٢٢ الملك فرنسيس
- ٢٢٣ مطلب الشروط الصعبة التي طلبها من الملك فرنسيس
- مطلب المشاركة المنعقدة بين مملكة فرانس ومملكة انكلترا واعانة هذا الملك
- ٢٢٥ للمملكة المذكورة
- مطلب الفتنة التي اوقعها مورون لاعداء حكم الايمبراطور من بلاد
- ٢٢٥ ايطاليا
- ٢٢٦ مطلب مذاكرته مع الامير يسكير
- ٢٢٩ مطلب غدر يسكير بالتجليل مورون وقبضه عليه
- ٢٣٠ مطلب ما قاساه فرنسيس من سوء المعاملة في بلاد اسبانيا
- ٢٣١ مطلب اشراف فرنسيس على الهلاك
- ٢٣١ مطلب مقابلة الايمبراطور مع الملك فرنسيس في ٢٨ شهر ايلول
- ٢٣٢ مطلب وصول الدوق دي بوربون الى مدينة مدريد

مطبعة

- مطلب جعل بوربون سر عسكر الجيش الايمراطورى الذى كان يلاذ
 ٢٣٢ ايطاليا
 ٢٣٣ مطلب المذاكرة التى حصلت فى شأن تخليّة سبيل الملك فرنسيس
 ٢٣٤ مطلب حيرة الايمراطور
 ٢٣٥ مطلب المشاركة المتعقّدة بمدينة مدريد
 ٢٣٦ مطلب ما قارن هذه المشاركة من مقتضيات الاحوال
 ٢٣٦ مطلب انكار الملك فرنسيس للمشاركة المتعقّدة سرّا
 ٢٣٧ مطلب اقرار المشاركة بينه لادفرا نسا
 ٢٣٨ مطلب اطلاق الملك فرنسيس
 ٢٣٩ مطلب تزويج الايمراطور بالاميرة ايرازيله البورنغالية
 ٢٣٩ مطلب مصالح بلاد المانيا
 ٢٣٩ مطلب الحالة السيئة التى كان عليها الفلاحون
 ٢٤٠ مطلب عصيان الفلاحين فى سوابية
 ٢٤١ مطلب تسكين القننة السابقة
 ٢٤٢ مطلب القننة الحاصلة فى اقليم طورنجه
 ٢٤٢ مطلب ازدياد القننة الحاصلة باقليم طورنجه
 ٢٤٤ مطلب انهزام الفلاحين
 ٢٤٥ مطلب حزم لوتير وحذقه
 ٢٤٧ مطلب اخذ اقليم البروسيا من الطائفة التوفيقية
 ٢٤٨ مطلب الاحتراسات التى اتخذها ملك فرنساجين رجوعه الى مملكته
 ٢٤٩ مطلب العصبة المتحرّبة على الايمراطور
 مطلب حكم البابا براءة ذمة الملك فرنسيس من اليمين التى حلفها أن يفعل
 ٢٥٠ بمقتضى المشاركة المتعقّدة بمدينة مدريد
 ٢٥٠ مطلب ناسف الايمراطور

مطلب طلب

صيفه

مطلب طلب الايمبراطور من الملك فرنسيس أن يعمل بمقتضى

المشارطة

٢٥١

مطلب جواب فرنسيس للرسولين المبعوثين من طرف الايمبراطور

٢٥١

مطلب تأهب الايمبراطور للعرب

٢٥٢

مطلب ضعف همة المتعاهدين

٢٥٢

مطلب حيرة اهالى بلاد ايطاليا

٢٥٤

مطلب الاحتراسات التى صدرت من طرف الايمبراطور

٢٥٤

مطلب تغلب حزب العائلة الكولونية على مدينة رومة

٢٥٦

مطلب ازدياد جيش الايمبراطور

٢٥٦

مطلب قادم اموال الايمبراطور

٢٥٧

مطلب اطلاق الدوق دى بوربون للايمبرورون

٥٧

مطلب تفكر الدوق دى بوربون فيما ينبغي له فعله

٢٥٨

مطلب توجه الدوق دى بوربون للمهجوم على اراضى البابا

٢٥٩

مطلب عصيان الدوق دى بوربون

٢٥٩

مطلب خول البابا وعدم تبصره

٢٦٠

مطلب المشارطة المتعقدة فى ١٥ من شهر اذار بين البابا ونائب الايمبراطور

٢٦٠

فى ملكة نابلى

٢٦٠

مطلب عدم التفات دى بوربون الى هذه المشارطة

٢٦١

مطلب قدوم دى بوربون الى مدينة رومة

٢٦١

مطلب ما استعده البابا للمدافعة عن نفسه

٢٦٢

مطلب الهجوم على مدينة رومة

٢٦٣

مطلب قتل دى بوربون

٢٦٤

مطلب نهب رومة

٢٦٥

مطلب حصر البابا باخلاء بنتائج

٢٦٥

مطلب

٢٦٦

مطلب سلوك الاميراطور في هذا الخصوص

٢٦٧

مطلب دخول السلطان سليمان في بلاد البحار

٢٦٧

مطلب انهمزام اهل البحار مع ملكهم

٢٦٨

مطلب تضارب الامير فرد في ملكه

٢٦٨

مطلب تقديم النسخ في الدين وازدياده

ذا

كتاب انحاء ملوك الزمان * بتاريخ الاميراطور شرل كان مسبوقا بمقدمته
المسماة انحاء الملوك الالبا * بتقدم الجمعيات في اوروبا منذ
اقراض الدولة الرومانية * الى اوائل القرن السادس عشر
من السنين المسيحية * ترجمه من اللغة الفرنسية *
ونظمه في سلك التواريخ العربية * خليفة اخندي
رئيس قسم ترجمة ادبيات بقلم ترجمة بدويان
المدارس المصرية * ادام الله ولي
النعم صاحب تلك الآثار *
وجعله وسلالته انصارا
لدولة العرفان
بامصار تلك
الديار
امين

(المجلد الاول)



امام بعد حمد الله الاول الاخر * والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله ذوى
الفاخر * فيقول مترجمه القدير الى الله الودود * خليفة بن محمد * لما يسر الله
تعالى تبيين اتحاد الملوك الالبا * بتقديم الجمعية لحد في بلاد اوروبا * وكل طبعه
بامر الخديوى الاكرم * ذى القيص الاعم * وكان مقدمة لتاريخ الايمراطور
شركان استحسن ترجمة التاريخ باجعه لما فيه من القوائد السيامية الزاهرة *
والقرايد البوايتيقية الباهرة * بذات الهمة في تعريبه * وتنقيصه وتهذيبه *
وازداد تهذيبا بمقابلته مع رب البلاغة والتدقيق * من اوفى في هذا الفن مغايب
كنوز الحقيقة والتحقق * حضرة رفاعة افندى خان قلم الترجمة والكتاب
المذكور في اللغة التي ترجمته منها اربعة مجلدات * نمرها مرتبة على عدد

(المقالة الاولى)

(بتاريخ الامبراطور شرلكان)

٣

المقدمة من الكتاب فاقدمه اعني اتخاف الملوك الالبا مرسومة بالجلد
الاول والثاني هو اول مجلد من التاريخ ولكن بنا على ان المقدمة كتاب مستقل
برأسه وان كان يتوقف عليها فهم تاريخ الامبراطور شرلكان جعلت
بجلدات التاريخ المذكور غمرة مخصوصة كما حصل فليذكر في الكتب
العربية القديمة من جعل المقدمة والذيل مستقلين برأسهما كخدمة كتاب
ابن خلدون وذيل تذكر داود وسجته بالتخاف ملوك الزمان بتاريخ
الامبراطور شرلكان * ونسأل الله التوفيق * والارشاد الى اقوم طريق

(المقالة الاولى)

ولشرلكان مدينة غندة في اربعة وعشرين من شهر اشباط سنة ١٥٠٠
مسيحية وهو ابن فيليش لوبيل ارشديق اوسترسيا ابن الامبراطور
مكسليان والاميرة مارية بنت كركوس لوهردي اخر امراء عائلة
بورغونيا ولم يكن له من الذرية غير هذه الاميرة وام شرلكان هي حاته بنت
فريند ملك اراغون وايراييه ملكة قسطنطينة بنت داود عمته حوادث
سعيدة مدة طويلة ورث شرلكان اراضي التزامية واسعة لم تملك على
منها احد من ملوك أوروبا منذ زمن الامبراطور شرلانيا لان
اجدادها اكتسبوا بالوراثه ممالك واقاليم عظيمة وان كانت اسباب ميراثهم فيها
واهي بعيدة جدا وكان لا يخطر ببال احد ان الاراضي الواسعة التي كانت
للأميرة مارية للبورغونية تنقل ذات يوم الى عائلة اوسترسيا لان اباهما كان
قد وعدها ان يزوجهما الابن لويز الحادي عشر ملك فرنسا الذي لم يكن له
غيره لكن ابى لويز المذكور ذلك لما انه كان مستعجب الطبع وكان يكره عائلة
بورغونيا ورأى ان اخذها لبعض اراضي الاميرة مارية بطريق القهر
والغلبة اول من اخذها كالم بواسطة الزوجية فصارت عاقبة ذلك عاقبة سوء
وشوم لذريته حيث ترتب عليه ان صار ملكا للبلاد الوامية وبلاد
الفرنش فوئنة بين ايدي خصمه

واما الملكة ايراييه بنت حنانيا ملك قسطنطينة فكان يستبعد عظيمها

سنة ١٥٠٠

ولادة شرلكان

مطلب

اصل اراضيهم وعملهم

سنة ١٥٠٠

سنة ١٥٠٢

انها سرت الممالك الكبيرة التي آلت اليها فباعده وورثها عنها حفيدها شرلكان لانها قضت اوائل عمرها في القنطرة والحوول لكن لما غضب اهل قسطنطينية من اخيه الملك هنري الرابع لما انضم مع صفوة عقله في الادارة والتدبير كان شقيا طاعيا زعوا له عيين لا قدرة له على الجماع واتهموا امراته بالزنا فبعد موته طرد القسطنطيون بنته حانه عن الكرسي الملوكي وجبروها على الارتحال الى بلاد البورتنغال وولوا عنها ايرانيه عليهم مع ان هنري الرابع لم يزل يتنق ما تهمت امراته به ويعترف بان حانه بنته من صلبه الى ان حضرته الوفاة قبل عتفي هذا الشان مشورة وكلاء المملكة وحكم اربابها بانها هي التي ترث ملكه من بعده

واما السبب في استيلاء فردينند على تاج مملكة اراغون فهو موت اخيه الاكبر خافة فلما صار ملكا على اراغون بعدموت اخيه المذكور هتك حرمة المشارطات وحقوق القرابة وتغلب على مملكتي نابلي وسيلسيا وزيادة على ذلك استكشف الماهر كرسوف كولومب بقدر فكرته وبهيمته وجسارة في سعيه السعيد الذي هو اعظم سعي ذكر في التواريخ البشرية الدنيا الجديدة (وهي بلاد امريقة) فانضمت الى الممالك السابقة وصارت تحت حكم فردينند ولاشك ان محصولات امريقة كانت من اعظم الوسايط التي كان بها باس ملوك اسبانيا وازداد وصولهم

سنة ١٥٠٢

فوجهه فيليبش ابى
شرلكان وحاشا له الى
بلاد اسبانيا

فلما رأى فردينند وايرانيه ان ابنهما الامير حنا الذي لم يكن لهما غير من الذكور وبنتهما البكرية مملكة البورتنغال قد نشبت بهما اطفالا المثية في عنفوان شبابهما تعلقت آمالهما ببنتهما حانه ام شرلكان وقصر اربابها عليها وعلى ذريتها ولما كان الارشدوق غريبا عن اسبانيا واجنبيامن اهلها استصوب الملك فردينند وزوجه ايرانيه ان يحضرا الى اسبانيا ليقم بين اهاليها ويتعلم شرائعهم ويتعود على اخلاقهم حيث انه معتدلان يصير ذات يوم ملكا عليهم وهو وزوجه حانه حق في ولاية العهد لا تمنعه مشورة القورطنس التي كان لها بحيث تدصولة عظيمة

في مملكة

سنة ١٥٠٢

في مملكة اسبانيا بحيث كان لا يتخذ حكم ولا يثبت لاحد حق في التاج
الارضاء تلك المشورة وقدمت فيليبس وامراته بمملكة فرنسا وهما
ذهبان الى اسبانيا فتلقيا فيها بغاية الترحيب والاحترام واكرما الاكرام التام
واذعن فيليبس لملك فرنسا لور الثاني عشر بالانقياد والطاعة
فيما يخص قوتية الفلنك وعقد مجلس برلمان مدينة باريس من
جمله وجاق البير (اي رجال المملكة) ولما وصلوا الى اسبانيا تلقيا مع
احتفالات التشريف الجديرة بان يجعلها الملوك لابنائهم ومع غاية التعظيم
والتهجيل من الرعايا وعمال قليل ثبت لهم احق ورائة تاجي مملكة قسطنطينة
ومملكة اراغون باقرار وكلاء اهالي هاتين المملكتين

مطلبه

غيرة فردينتد من فيليبس

ولكن مع هذه المسار الظاهرة كان كل من الامير فيليبس والملك فردينتد
في عذاب اليم من التيم الذي كان يغلي في بطونهما كغلي الحميم اما غم فيليبس
فلان رسوم ديوان اسبانيا وعوايده كانت صعبة متكلفة فلم يكنه قهملها
ولم تقمها نفسه لانه كان صغير السن طبعه لين الجانب يحب مجالس الانس
والخلاعة واوضاع المسرات فلم يكت مددا الا واطهر القلق وعزم على الرجوع الى
اصل غرسه ومسقط رأسه لما ان اخلاقه وعوايده تلايم طبعه اكثر من اخلاق
اهل اسبانيا وعوايدهم واما غم الملك فردينتد فلان حصه الملكة
ايرازيله زوجته كانت دائما في الضعف والتناقص وكان يعلم انه بعد قددها
لا يبقى له حق في حكومة مملكة قسطنطينة وكان قد ظهر له من حال الامير
فيليبس انه متشوق جدا للحكم ومنتظر وقته مع القلق والجزع فكان يحشى
ان هذا الامر بعد قدده ايرازيله لا يرضى ان يترك له شيئا في حكومة قسطنطينة
ولما كان في ذلك نقص لشوكتة وممالكه وكان طمعا عارضا صار معدبا به
في جميع اوقاته

مطلبه

حيرة الملكة ايرازيله
والامه من اجل بنتها

واما الملكة ايرازيله فكانت لا تنأ لها عيشة بسبب بنتها حاته لما ان
زوجها فيليبس كان يحترقها ولا يحبها اذ كانت خالية عن جميع المحاسن
الحسية والصفات الحميدة المعنوية التي تستميل بها المرأة قلب زوجها وكانت

بالطبع خفيفة العقل فكانت عرضة لنبل متواتر وكانت تحب زوجها
فيليش جاسديدا وتوده المودة التامة وهو يفضها حيث كان جها فيه
يلجها الى فعل امور يسام منها وكانت غيرها الشديدة عليه تقضى بها الى
ما يعدم من الجنون وان كانت معذورة في ذلك وكانت امها ايراييله لا تنكر
عيوبها الا انها كانت تتأسف كثيرا على حالها المحزن وعماقليل زاد حزنها
واشتدت الالامها حين عزم زوجها فيليش في فصل الشتاء ان يسافر
الى بلاد القلنك ويتركها في بلاد اسبانيا فجعلت امها ايراييله تحاول
بلاطائل تغيير مقصده وتخبئه بان زوجته حاته قد قرب وان وضعها واذا
تركها كتيبة حزينة من بعده تكون عرضة لخطر عظيم وتضرعت اليه
زوجته فسمها طالبة منه ان يؤخر السفر لثلاثة ايام لتطلى بانه مدة
عيد الميلاد وكذلك الملك فرديند ابى له انه ليس من الحزم والاصابة
ارتحاله عن اسبانيا قبل ان يعرف اخلاق اهلها ويستعملهم اليه حيث انه
سيصير ذات يوم ملكا عليهم ولكن كان فيليش معهما كل التحميم على
ما عزم عليه فلم يصغ لقول احد منهم فعند ذلك اوصاه فرديند أن لا يمر
في سفره بمملكة فرانس حيث كانت وتشتد نيران الحرب مضطربة بينها وبين
اسبانيا فاسافر فيليش الى البلاد الواطية في ٢٢ من شهر كانون
الاول وصر في سفره بمملكة فرانس ولم يلتفت لما يقتضيه الحزم والمرؤة حيث
خالف وصية فرديند بمروره بالمملكة المذكورة ولم يرث لحال زوجته
فلما سافر وترك زوجته حاته صارت في احزان واشجان اورثتها
ما ليخوليا شديدة بحيث كان لا يمكن ان تسلي بشئ بعده وفي اثناء ذلك
وضعت فرديند وكان ثاقى ولد جعل به فصار اعلان السرور والفرح
بولادة هذا الامير في جميع بلاد اسبانيا كل ذلك ولم يحصل لامه فرح بولادته
لانها كانت لا تتأثر بشئ من السرور ولا ترغب الا في اجتماعها بزوجها
ولم يحصل لها راحة وامن كالم يسكن عظمها الا بعد ان اجتمعت به في العام القابل
بمدينة بروسيه

مطلب
ولادة فرديند الذي
صار امير اطورانيا
بعد

سنة ١٥٠٤

ولامير فيليبس في سفره بمملكة فرنسا اجتمع بملكها لور الثاني عشر
وعقد معه مشاركة امل بها فاض المناجرات الحاصلة بين فرنسا واسبانيا
ولكن لما كان لاهل اسبانيا وقتئذ عظيم ميلاد ايطاليا حيث كان
لهم فيها الماهر غوثلود وكوردو وكان دائماً يتصر على الفرنسية
ويضع قواهم حتى يسمي بالسرदार الاعظم ليعبأ فرديند بالمشاركة
التي عندها زوج بنته مع ملك فرنسا واستمر الحال على ما كان عليه بل
ازدادت نيران الحروب بين القرينين

ومن وقتئذ لم يظهر ان فيليبس تصدى الى الدخول في مصالح اسبانيا
في شئ بل جعل ينتظر بدون سعى موت فرديند اوزوجته ايرائيه
ليجلس على كرسي من يموت منهما فلم تمض عليه مدة طويلة الا وبلغ مرامه
وذلك لان موت اولاد ايرائيه الذي ادركهم في زمن صباهم وريعتان
شبابهم اودع في قلبها من الكآبة والحزن ما لا يطاق فكانت اولاد تنسلي
بينها سانه واولادها فلما رأت ان صحة بنتها آخذة دائماً في التناقص
والضعف وان زوجها الايراف بها ولا يودها ولوفى الظاهر تراكت عليها الهموم
واشدتها الحال واخذت قواها تضعف شيئاً فشيئاً حتى ماتت بعد شهر وقليلة
بعدينة المادون ذلكم يوم في السادس والعشرين من شهر تشرين الثاني
سنة ١٥٠٤ من الميلاد وكانت هذه الاميرة مشهورة بالفضائل والمعارف
فهي جذيرة بمائتي به عليها مورخو اسبانيا من التناء الجليل سواء كان ذلك
بالنظر الى وصف كونها ملكة اوزوجة او والدة بمعنى انها كانت حوفية بما يجب
على النساء لازواجهن والملوك لرعاياهم والامهات لاولادهن

وقبل موتها بعدة كبرت وصيتها وذلك لانها لما كانت تعلم ان بنتها سانه لا يمكنها
ان تمسك زمام مملكة قسطنطية وكانت نافي قسم ان تعطى الامير فيليبس
لانها ماتت مغضبة منه اوصت زوجها ان يقوم بادارة المملكة المذكورة على
سبيل التباينة حتى يبلغ سبطها كرلوس احد العشرين واوصت له ايضا نصف
الايرادات التي تأتي من الهند وبالرياسة على الطوائف العسكرية الثلاثة وهو

مطلب

ايضا ايرائيه لزوجها
فرديند بان يكون فيها
على مملكة قسطنطية

سنة ١٥٠٤

منصب يكسب صاحبه السطوة والصولة العظيمة حتى يكاد يجعله قائما بنفسه
فمن ثم اضافته ابراهيم الى المنصب الملوك وجعلته من خصوصيات الملك
ولكن قبل ان تضع امضاءها على الوصية اخذت على فرديند ميثاقا
ان لا يبحث بواسطة زواج او نحوه عما فيه حرمان بنتها حانه وذريتها من
شيء من ممالكها

مطلب

اقرار فرديند على نيابة
مملكة قسطنطينية

وعجبر موتها خلفها فرديند ولقب ملكا على قسطنطينية واعلن ان
حانه وزوجها فيليش هما اللذان لهما الحكم الحقيقي على هذه المملكة
واما هو فليس ملكا عليها الا بطريق النيابة واقرب ذلك مشورة وكلاء المملكة
لكن بعد التوقف والصعوبة بسبب بغض اهل قسطنطينية واهل اراغون
لبعضهم نعم انهم مكتوا قبل ذلك نحو ثلاثين سنة وهم في الاتحاد والاتفة الا ان
البغضاء والعداوة التي بينهم من قديم الزمان كانت لم تزل في قلوبهم حتى ان اهل
قسطنطينية منهم كبرهم وتعاطفهم ان يتقاد والحكومة ملك اراغون
وابوا ان يتوجوا فرديند بتاج مملكتهم وزيادة على ذلك كانوا يعرفون
اخلاق فرديند حق المعرفة فراءوا انه لا يصلح ان يكون ملكا عليهم وذلك
انه كان كثيرا الوسوسة في الظن ينظر في عواقب الامور ويسلك في امور سهيل
الحد والصعوبة والاقتصاد المفرط حسودا ولوعلى سفاسف الامور يجازي
صاحب العمل الجليل بالتقليل فكثيرا ما كان يتأسف اهل قسطنطينية على قد
ملكهم ابراهيم لانها كانت لينة العربية حليلة الطبع ترقق بهم وتجهيم
فكانت غالبا تلطف باخلاقها الجلية شراسة اخلاق زوجها ومن المعلوم ان
فرديند كان مذهبه في ادارته واحكامه الاجحاف بالا كبر والامرأة فكثيرا
ماسى مع الاجتهاد في اضعاف شوكة الاشراف الخارجة عن الحد وتقوية
الشوكة الملوكية وطالما اخذ بنصر كل تابع تعدى عليه مكرمه او سيده
وزاد في مزايي المدين وخصوصياتها فبهذه الاسباب كلها تعصب عليه حزب
عظيم من اهل قسطنطينية ومع ان هذا الحزب لم يصل خروجه الى حد الفتنة
والقيام عليه الا ان فرديند كان يتيقن انه لو حصل لهذا الحزب ادنى

تقرض من الملك الجديد الذي هو قيليئش لكانت عاقبته عليه سنة
منومة

وقد وقع الاضطراب ايضا في البلاد الواطية حين وصل اليها خبر موت الملكة
ايراييله واستيلاء زوجها فردينند على حكومة قسطنطية لان قيليئش
لم يكن عنده صبر ولا تجلد حتى يطبق ما فعله الملك فردينند من نقله على
ملكه قسطنطية طمعاً من غير ان يكون له فيها حق فكان يزعم قيليئش انه ان
كانت الاميرة حاتة بنت ايراييله لا تصلح ان تكون حاكمة على ملكه
قسطنطية لضعفها عن الادارة بسبب ما هو قائم بها من الداء العضال كان له
الحق في النيابة عنها لانه زوجها وان لم يكن ذلك ايضا لكرلوس لكونه قاصراً
فله ايضا الحق في النيابة عنه لانه والده ووصيه بالطبع فعل كل حال ينبغي
ان لا يستولى غيره على المملكة ولا ينبغي ان الوصية التي كتبها ايراييله قبل
موتها لا تكن في تنقض هذه الحقوق الاكيدة الشرعية لاسيما ولم يقع الاتفاق
على محتمل الاتهام باب الافتيات والتعدي وقد وافق ذلك حصول حادثة
جملت قيليئش على التصميم على تضييع غرضه وهي حضور حنا منويل
عنده وذلك انه كان الجيا من طرف فردينند في ديوان اميراطور النمسا
فلما اخبر بموت الملكة ايراييله سار الى مدينة بروكسيلة مؤملاً ان يكون
له ديوان ملك شاب سخي من قواد الكلمة والرضعة ما لا يمكنه ان يطمع في نواله
بديوان شج بنجل كفردينند وكان قيليئش مدغم في بلاد اسبانيا قد
استمال اليه هذا الامر الذي نشأ في ديوان فردينند وتمكن من معرفة ادارة
المصالح فكان في وسعه معارضة مقاصد فردينند وسياساته بمعارف
وحيل ليست دون معارف فردينند وحيله فانتظر رأى منويل
الذي كره على ان يبعث رسالاً الى فردينند ليلزموه بالذهاب الى ملكه
اراغون وبسلم ملكه قسطنطية الى من يختاره قيليئش ويخضه
بالنيابة عنه حتى يذهب بنفسه ويجلس على كرسيه وجعل قيليئش حينئذ
يستعمل عقول اشراف قسطنطية الذين كانوا في غيظ كبير من الملك فردينند

مطلب

سعى قيليئش في الاستيلاء
على حكومة قسطنطية

مطلب

بعث قيليئش الى فردينند
أن يسلم ملكه قسطنطية
ويذهب الى ملكه

وبحضرهم وبحمهم كل الحث على العصيان والخروج عليه وعقد ايضام
لوراثاني عشر ملك فرانساً مشاركة معتقداً انه بذلك يستميل قلب هذا
الملك فيعينه على مشروعه

هذا ولم يبق طريق الاوسلكه فرديند لاجل ابقاء نفسه ملكاً على
قسطيلة فاختله امينان اشراف اراغون يعني كونشيلوس
واناطه بنقل المراسلات السرية بينه وبين بنته حانة ولما كانت ضعيفة العقل
قليلة الحيلة بلغ هذا الامين انها ان كتبت لابها فرديند واقربه على
النيابة على مملكة قسطيلة ولما لم تكن لم تحف هذه الدسيسة على الامر
منويل لحذقه وفراسته قبض على مكتوب الاقرار الذي كتبه حانة
ووضع كونشيلوس في دياس مظلوم وجئت حانة في جهة من القصر
ومنع خدمها الاسبانين ان يدنوا منها

فلما رأى فرديند ما حصل من كشف سره لحقه غم شديد وازداد ذلك
بما عايناه من نجاح الرسل المبعوثين من طرف فيليش الى قسطيلة
حيث ان بعض الاشراف احتجب وتحصن في قصوره وبعضهم احتجب
في مدائن التي له فيما شوكة وقوذ كلة ونصبوا فيما بينهم على فرديند
واخذوا يجمعون اتباعهم حتى خلى ديوان فرديند عن الاهل ولم يبق
فيه من الاعيان الا اكرمينيس ودوق البه والمتمزم دوريه بخلاف بيوت
رسل فيليش فلا زال يتوارد عليها كل يوم اكابر الاشراف واعيانهم فلما
تخلى جميع الناس عن فرديند ولحقه الخزي من كونه رأى الامير منويل
مع صغر سنه قد تمكن بسياسة من افساد حيله وتديره غضب غضباً شديداً حتى
هتك حرمة التواميس الطبيعية الرابطة بين الاباء وابنائهم وخلق برقع الحياء
فغزم على حرمان بنته حانة وذريتها من تاج قسطيلة حيث رأى ان
ذلك اولى عنده من خلعه هذه المثابة عن نيابة تلك المملكة وهذا المقصد
وان كان قبيحاً في ذاته صعب التخيير الا انه صمم على تتيمة قطلب ان يتزوج
بالاميرة حانة بنت الملك هنري الرابع مع ان المملكة ايرانياله كانت

مطلب
تخلي اشراف قسطيلة
عن الملك فرديند

لم تزل كرسى قسطنطينة الابعدا دعاء اهل تلك المملكة ان هذه الاميرة متولدة من الزنا وانه لاحق لها في المملكة لكونها ليست بنت هتري المذكور فظن فردينند انه ان تزوج بهذه الاميرة التي حاربها سابقا بنه مع جيوشه يمكنه ان يهيى حقوقها في مملكة قسطنطينة ويعود الى الاستيلاء عليها الا ان ايجنوبل ملك البورغال الذي كانت حاتنة المذكورة فاطنة يبلاده وكان متزوجا باحدى بنات الملك فردينند والمملكة ايرانيه لم يقر هذا التكاح حيث انه في غير محله خصوصا وحاتنة المذكورة بنت هتري مكثت مدة طويلة متعربة في دير فزالت من عليها علائق الدنيا ودواى المعالي والفخار فاطهرت انه لا حاجة لها بمثل هذا الزواج

ومع ذلك فبعد ان اس فردينند من تنفيذ ما طمع فيه وجد وسائل جديدة تعينه على تحقيق مقصده الذي سم عليه فبعد ان خاب سعيه بمملكة البورغال جعل مملكة فرانس مطمح نظره وطلب ان يتزوج بالاميرة جرمين روفواكس بنت الويقونته دونابون والاميرة مارية اخت الملك لويز الثاني عشر وكان الحرب الحاصل وقتئذ في نابلي بين لويز المذكور وفردينند منسوما على لويز فسر لما طلبه فردينند وبادر بقبول هذا الامر حيث انه يكون به عقد الصلح على وجه لطيف لا يخل بمقامه هذا ومع ان فردينند كان يمكانه من الكياسة والحزم بحيث لم يفتقه في ذلك احد من الملوك لانه كان يورث الاسباب السياسية على الاغراض التي تدعو اليها نفسه ولا يتصدى لمقصد سؤلته له آماله الابعاد الوقوف على حقيقته وعرفه عاقبه كان غضبه شديدا من صهره فيليبس حتى انه لاجل ان يفصل عنه حليفه لويز الثاني عشر ويخلعه عن كرسى اراغون عزم على تمزيق اسبانيا وتقسيمها الى عدة ممالك كما كانت قبل ذلك مع ان انضمامها الى بعضها وجعلها مملكة واحدة هو الذي اشهر حكومته واكسبه الثغار وكان مطمح نظره ورضيت نفسه ان يعيد الى اشراف نابلي الذين هم من احزاب الفرنساوية جميع املاكهم ومن اياهم وعرض نفسه للسخرية والاستهزاء

مطلب

زواج فردينند بنت
اخت ملك فرانس

حيث تزوج مع كبرسته بقتال مبلغ من العمر الاثني عشر سنة
فتأثر الامير فيليبش من هذا النكاح تأثرا شديدا حيث فصل عنه حليفه
لور الثاني عشر ولم يكن له حليف سوا مخشي ان يقترب على ذلك حرمانه من
ممالك اسبانيا العديدة فعند ذلك رأى الامير منويل انه يلزم المبادرة
الى سلوك طريقة اخرى في شأن قسطنطينة فارسل اعلاما جديدا الى رسل
الملك الذين كانوا يدوان اسبانيا وامرهم ان يخبروا فردينند بان اميرهم
فيليبش له رغبة عظيمة في ان يبطل بالتي هي احسن ما بينهما من المشاجرة
ويرضى بقبول كل شرط يعرض عليه لتجديد المحبة التي ينبغي دوامها بين
الاسماء وليسبق لاحد من الملوك انه عقد او قض من المشاورات اكثر من
الملك فردينند الا انه كان يصدق الغير ولا يمتنع ابداعا عن استماع ما يعرض
عليه فخرج من غير توقف الى قول رسل فيليبش وعقد بعد ذلك بمدة قليلة
في مدينة سلنك مشاورة بها حصل الاتفاق على ان ادارة المملكة قسطنطينة
تكون باسم الاميرة حانة وزوجها فيليبش والملك فردينند وان
اراد ان المملكة ومحصولات المناصب تكون بالناصفة بين فردينند
وفيليبش

مطلب
المشاوراة التي حصلت
بين فردينند وفيليبش
في ٢٤ من تشرين
الثاني

ولكن كان فيليبش في الباطن لا يترحم هذه المشاورة الا لانه يتوصل بها الى
ما آربه وبعد ذلك يبدأ بنقضها فيكون قصدها مشاغلة فردينند حتى يمكنه
ان يسافر الى بلاد اسبانيا من غير ان يتصدى فردينند لمتعه ويسد
السبل امامه وقد فصح بهذه الحيلة وبلغ ما آربه وذلك ان فردينند مع ما كان
عليه من الحزم والتبصر مكث مدة وهو لا يخاطر بrialه مقصد صهره فيليبش
ويحرمه ما اخبر به طلب من ملك فرنسا ان يحسن للامير فيليبش العدول
عن هذا السفر بل ويرجعه عنه بالتهديد والتخويف وطلب ايضا من دوق
غولدره ان يشن الغارة على دولة التي بالبلاد الواطية ليشغله عن السفر
ولكن جميع هذه الاحتراسات لم تمنع فيليبش وزوجته حانة عن السفر
فسافرا في دونما كبيرة واخذوا معهما طائفة كبيرة من العساكر البرية الا انه

مطلب
سفر فيليبش وزوجته
حانة الى بلاد اسبانيا
سنة ١٥٠٦

سنة ١٥٠٦

في اثناء السفر هبت عليهم ارياح عاصفة حملتهما على ان يرسوا ببلاد اتمكتره
فجعل فرديند يترجى لمكها هنرى السابع حتى يجزها عنده اكثر
من ثلاثة اشهر وبعد ذلك رخص لهما في الرحيل فاسافرا من غير ان يحصل لهما
عائق يمنعهما في ٢٨ من شهر ابريل حتى وصلوا سلاطين الى قورون
في غاليسية فلم يقاسر فرديند على ان يجند الجنود ليجتمعهما عن الخروج
من السفن كما كان مصمما عليه

مطلب

ميل اشراف قسطنطينية
الى حرب فيليبش

وكان اشراف قسطنطينية الى ذلك الوقت لم يقاسر واعي افشاء ما في ضميرهم
فبعد وصول فيليبش اليهم انضموا الى حربه وصاروا باقون اليه من اطراف
المملكة وارجا تمها وخرج اليه من سائر مملكة قسطنطينية الاكابر والمتمردون
مع اتباعهم ليدخلوا في خدمته وانفذت مشورة حكم فيما يبطلان المشاركة
التي حصلت في سلكك واتقت الاراء على طرد فرديند من مملكة
قسطنطينية حيث رضى بانفصالها عن مملكتي اراغون وتابلي لان ذلك يدل
على انه لا يرغب فيها فيه مصلحتها وراحة اهلها فلما تخلى جميع القسطنطينيين
عن فرديند وخرجوا عليه صار متخيرا ما بين ترك حكومة قسطنطينية
بدون حرب وشقاق واشهار الحرب لتزعجها من خصمه فاعرض للامير فيليبش
انه يريد مقابله ليتفاوضا في هذا الشأن والمخ عليه في ذلك فلم يبلغ مرامه لان
الامير منوبل كان يمنعه من ذلك وكان فرديند يرى ان حرب
فيليبش دائما في الازدياد فعلم انه لا طائل في التصدي الى مقاومة احرابه التي
كانت كاسل العرم فعقد مشاركة جديدة مضمونها انه يتخلى للامير فيليبش
عن نيابة قسطنطينية ويذهب الى مملكة اراغون التي هي وراثية له ولكن
تبقى له الرئاسة على الطوائف الثلاثة العسكرية ولا يحرم ايضا من الاراد الذي
اوصت به زوجته ايرانياله له قبل موته فلم يظهر حينئذ ادع قوي يستدعي
مقابلتهم بالعضهما ولكن لما كان الملايم للمرأة والانسانية مقابلتهما لان
فرديند كان يرغب في ذلك كل الرغبة ذهب فيليبش الى المحل المعد
بينهما للمقابلة في رونق ومحل عظيم من اشراف قسطنطينية واعيانها وطائفة

مطلب

تخلى فرديند عن نيابة
قسطنطينية وذهابه الى
مملكة اراغون في ٢٨
من شهر حزيران

سنة ١٥٠٦

شهر رجب

كبيرة من العساكر المسلحة واما فرديند فذهب ولم يكن معه الا بعض خدم
لا سلاح بايديهم فاخذ منويل حيث ذبيهاه فرديند وقهر عليه
بما اكسبه في خدمة فيليس من الشوك والصولة والحظوة عنده فلق
فرديند من ذلك الخزي بين اهل قسطنطينة الذين كانوا رعيته سابقا وصارت
نفسه تكابد المين شديدين لا يطيق تحملهما ملك طماع مخادع مثله احدهما
هو انه مع كبر سنه وخبرته ومكانته من السياسة والحزم ظهر عليه مثل هذا
الشاب الصغير وخطه عن درجته وافسد عليه مآدبره والثاني هو ضياع المال كله
منه

وبعد ذلك بمدة قليلة سافر فرديند الى مملكة اراغون وكان يامل ان
يساعده الدير في رجوعه لملكه على قسطنطينة فاشهد بعض الناس سرا على
بطلان المناظرة التي انعقدت بينه وبين صهره فيليس واقربائها فاعتقدت
كرها فتكون ملغاة لا اعتد بها

فاستولى فيليس على مملكته الجديدة مع السرور الذي يحصل عادة
للشبان من مثل هذا المنصب واما زوجته حانة سينة البخت التي كانت
سببها في تلك السعادة فمضت عليها مدة هذه المنازعات وهي في عذاب اليم
وكرب عظيم من الما ليضوليا التي كانت قائمة بها فكان لا يوزن لها في الخروج بين
الناس الا نادى حتى ان اباهما فرديند طلب ان يراها فلم يمكنه وكان قصد
زوجها فيليس ان ارباب المشورة وكلاء المملكة يحكمون بانها لا تصلح
للحكم حتى لا يشركه احد في مملكة قسطنطينة الى ان يبلغ ابنه كروس رشده
ولكن لم يخرج في هذا الاصل لما ان اهل قسطنطينة كانوا يحبونها اذ هي بنية
عائتهم الملوكية الاصلية ثم قد امكن للامير منويل سياسته وحزمه ان
ياخذ بعقول بعض الناس من ارباب المشورة التي انعقدت في مدينة
ولادوليد وكان هنالك اناش آخرون مستعدون لتنفيذ مقاصد فيليس
ولكن لم يرض جمهور ارباب تلك المشورة باقراره على ذلك لما انهم كانوا يعدونه
نقصا في حق عائتهم الملوكية فحكموا بان المملكة تكون لكل من فيليس

سنة ١٥٠٦

مطلبه

موت فيليبس في ٢٥

من شهر ايلول

مطلبه

ازدياد اختلال عقل حاتبة

وزوجته حاتبة وان انهما كرلوس يكون اميرا على اقاليم اسطوري ولم يكن فيليبس من الحوادث السيلسية الشهيرة سوى هذه الحادثة وبعدها انهمك على الشهوات واللذات فاصابته حتى شديدة مات بها وكان في عمره الثمانية والعشرين فلم يخط ثلاثة اشهر كاملة بالمناصب الملوكي الذي شعر عن ساعد الجدة في طلبه وتحصيله

وبعونه صارت مملكة قسطنطينة لزوجه حاتبة لا يتركها فيها احد ولكن حصل لها تاثر من موته اوجب خلل عقلا وصارت لا تصلح بالكلية لادارة المملكة رأسا فكانت لا تشارك فراش زوجها مدة مرضه ولم يكن باى وجه ابعادها عنه ولو طرفه عين مع انها كانت حاملا في ستة اشهر وعند خروج روحه لم تدمع عينها ولم تتأوه ابدا بل كانت الاملها خفية كما انها باطنية لا تظهر عليها ولم تزل عاكفة على جثة فيليبس وتنتظر اليه بعين الشفقة والرافة كما لو كان حيا وبعد ان اذنت بدفنه ودفن اخرجه من القبر وحملته الى قصرها ووضعت على سرير رقيق مكسو بحلل فاخرة بهيمة من انواع الحرير والديباج لانها كانت سمعت في حكايات بعض الرهبان والقسوس ان بعض الملوك لحق في بدنه الحياة بعد موته باربعة عشرة سنة فكانت دائما تنهض البصر الى جسم فيليبس مترقبة الوقت السعيد الذي تعود فيه اليه الحياة واغرب من ذلك انها كانت تغار عليه وهو ميت كما في حال حياته فكانت لا تأذن لنساء يتنهنهن التي يخدمنها ان يترن من فراشه واما النساء الاجنبيات فكانت لا تأذن لهن في الدخول الى الجهة التي بها جثته حتى انها عند وضعها لم ترض بان يدخل بعض القوابل لاجل مساعدتها على الولادة مع ان هذه القابلة قد اتعجت قصدا من الجحاز فوضعت الاميرة كاترينة من غير مساعدة احد غير خدماها

ومن المعلوم ان المرأة اذا كانت بهذه المثابة لا تصلح لادارة مملكة عظيمة كمملكة قسطنطينة وزيادة على ذلك كانت لا تنفك تنهض على زوجها وتدعوه بالرحمة حتى كانت ترى انها لو التفت لمصالح الدولة لما وقت بما يجب عليها فابتدان

تقوم بتدبير المملكة ولغيرتها لم تطلق ان تقيم لها وكيل على المملكة يقوم
بمسالحها وادارة امورها فصار عاها يتضرعون اليها كل التضرع في ان تقيم
لها وكيل او تضع امضاءها على الاوامر اللازمة لاجراء القوانين ونشر الامن
والاطمئنان في المملكة فابت ان تفعل شيئا من ذلك

فصار اهل قسطنطينية في حيرة عظيمة حيث انهم عند جنون ملكتهم كان ولدها
كرلوس لم يبلغ سن الرشد حتى يقيموا محلها فراءوا انه لا بد من اقامة وكيل على
المملكة يقوم بامورها لكن لم يجدوا في اشرف قسطنطينية احدا افضل شهر
في المعارف والحزم حتى يكون جديرا بان يدعى الى هذا المنصب الجليل فتعين
عندهم للقيام به الملك فردينند والايمبراطور مكسيميليان اما الاول
فيستحق ذلك بوصف كونه نائباً عن بنته حاته لاسما وكان بعضده في ذلك
وصية اماها ايرانيه واما الثاني فوجه استحقاقه للوكالة ان حفيده كرلوس
لعدم صلاحية امه للحكم له الحق في ملكة قسطنطينية وحيث انه صغير السن
فخدم من جهة ابيه يكون وليه ووكيل عنه وقد حصل لمن سمى في طرد
فردينند من ملكة قسطنطينية غم شديد حيث رآه قريبا من الاستيلاء
عليها ثانيا وكان جبارا بالطبع لا يعرف العقاب اذ لاسما اذا تذكر ما صدر
منهم في حقهم من الاساءة فانه يزداد بذلك قسوة وغلظة واما مكسيميليان فلم
يكن له شيء من هذه الاسباب يمنع عن الاستيلاء على تلك المملكة الا انه كان
لا يعرف اخلاق اهلها ولا قوانينهم ولم يكن له جيوش ولا مال حتى يمكنه تنفيذ
اغراضه في هذا الشأن وايضا لا ثبت له حق في قسطنطينية الابدان يعلم
الخاص والعام بحال المملكة حاته وعدم صلاحيتها لادارة المملكة ومع ان
حالة هذه الاميرة لم تكن اذذاك خافية رأى اهل قسطنطينية انه ليس من المروءة
اشاعة ذلك بين الناس لما انه يورث العار ويرزى بالعرض

ولكن لما كان الامير منويل وبعض اشرف قسطنطينية يعتقدون انهم اول
من ينقذهم من فردينند فيذهبهم العذاب الاليم بسبب ما فعلوه معه جعلوا
انفسهم في حزب مكسيميليان وانتموا بانهم بعضدونه ويدافعون عنه

سنة ١٥٠٦

جميع طاقتهم وكان مكسبان مع جوارته واقدامه على الشر وعان ببطاً
ضعيف الهمة في تعييزها فقدم في ذلك رجلاً ويؤخر أخرى فبادر بالقبول
لمقصود منويل ومن معه لكن لم يترتب على ذلك الاجمالات ومحاورات
لا طائل تحتها فابدى هذا الابرار الحور حقوقه مع الاجتهاد والتفان كما هي عادته
ووعده بأشياء شتى لكنه لم ينجز شيئاً منها

مطلب

سفر فردينت الى مملكة

فابلى

سنة ١٥٠٧

وكان فردينت قبل موت فيليش ببعض المم قد سافر الى مملكة فابلى
لما انه كان يسي القطن بنائه غوزلوندو كورد ومع انه كان حسن السلوك
ذا صدق ونصح في خدمته لاجل في ادارة المملكة ومصلحها سافر
فردينت اليه ليسلبه الصولة التي اكتسبها من منصبه ولم يكف بإرسال احد
من طرفه لهذا الشأن بل رأى ان الاحسن والاليق ان يذهب بنفسه الى فابلى
ويمسك بعنان حكومتها بعد عزل نائبه المذكور فلما بلغه في مدينة بوروفينو
بارض جنويرة موت صهره فيليش رأى ان ذهابه الى مملكة فابلى
ايكشف الدسائس التي كان يتم بها نائبه ويعزلهم من حكومة فابلى اولى من
رجوعه على عقبه وهان عليه ان يترك مملكة قسطنطينة على مثل هذه الحالة
وكان حيث لا يوجد بهما من يقوم باصلاح حالها وادارة مصالحها فلما كان
يقرب على غيبته ضياع حكومة قسطنطينة منه وثبوتها الغيرة

ولم يكن هناك ما يمنع من حصول الامور الشنيعة التي كان يمكن تسببها من غيبة
فردينت الا معارف ندمااته وحزمهم وسد لدراهم لاسباب كبرهم
اكرمينس مطران قسطنطينة فانه وان كان لا يامل نيل صولة عظيمة فقد
حكم فردينت لما رأى من تنفصه منه حين ولته الملكة ايرانيه منصب
المطراية لم يعتبر اغراضه الشخصية بل اترقع المملكة على نفع نفسه واعرض
ان قسطنطينة لا يحسن ادارتها سوى الملك فردينت حيث انه بكثرة
تجاربه يعرف ما يضر تلك المملكة وما ينفعها اكثر من غيره ولا جل ان يحسن
لائها موطنه هذا الرأي ويستسلم الي قبوله رأى انه لا بد ان يكون لمن العريكة
والجانب في حق الناس وان كان ذلك على خلاف طبيعته لخفض جناحه وصار

سنة ١٥٠٧

يواشى من تناقضه من الاشراف فجمع بين المداينة والبراهين ليستلهم اليه
واعانه على ذلك ما يبداه فرديند من السياسة المحكمه والتدبير العجيب
حيث استمال بعض الناس بالاقطاعات والمزايا وبعضهم بزخرفة القول
والمواعيد واستخوذ على الجميع بمراسلات لطيفة تسر الخاطر حتى توصل الى
بجذب قلوب عدته من اكبر اخصامه ونجح في هذا التصديغ بالانجاح مع ما كان
حاصلا وقتئذ من القتن في هذا الشأن حتى انه بعد ان اصلح حالة قابلي ورجع
الى اسبانيا خطى من غير معارض ولا منقاض بنيابة مملكة قسطيلة
وسلك في الحكم بين الاهالي طريقة لطيفة وان كانت لا تخلو عن الصعوبة
والتشديد فالقوة جميعا واحبوه وعاش في الامن والراحة مع وجود الحكومة
الالتزامية التي من شأنها القتن والتضربات ولم يزل بها في امن واطمئنان حتى
مات مع ان قوانين الحكومة الالتزامية كانت باقية ميا على عنقوا نها وعثوا
والفضل لفرديند على سبطه كركوس في ابقاء السكون والامن في مملكتي
اراغون وقسطيلة بل الفضل عليه ايضا فيما هو اعظم من ذلك وهو ان
دول كركوس الوراثية ازدادت في مدة نيابة جده فرديند واتسعت
دايرتها بسبب فتوحاته الجديدة التي اضيف اليها وذلك انه اضيف الى مملكة
قسطيلة مدينة وهران وغيرها من المدائن الحصينة الموجودة
في اطراف بلاد البربر التي هي بلاد الغرب وكان ذلك بهمة الكردينال
اكريمينس حيث سار بالعا كراي اهل الغرب وابدى في قتالهم العجب
الاجاب من الشهامة والحمة الديفية التي شأنها ان تصدر عن امنا الدين واغرب
من ذلك ايضا ان جميع المصاريف التي قدت في هذا الحرب كانت من امواله وقد
تملأ فرديند من جهة اخرى بحجج واهية غير مقبولة بعد اتمامه بتخييرها
من قبيل الخيانة والجبن وطرد الملك حناد البرطلة من مملكة نوار
واستوى على كرسيه ابد لا عنه مع ان حنا المذكور في هذه المملكة كان
حاشر عيال ارب فيه فانسعت اراضي اسبانيا بهذه المملكة حتى صارت
متمدة من جبال البرنات الى حدود بلاد البورتقال

مطلب

رجوع فرديند الى

اسبانيا

حسن تدبيره

مطلب

فتوح مدينة وهران

مطلب

اخذ مملكة نوار

سنة ١٥٠٧

ولم يكن قصد الملك فرديناند من مشروعيته التي كان يقطنها تكثير المال
لنسطه كرلوس الذي ورثها بعده لانه كان يعتبره خصما يلزم منه مملكة
قسطية في المستقبل لاسباطا فاصرا جعل هو وليا عليه ليقوم بإدارة ماله
على سبيل النيابة والامانة حتى يبلغ وشده فكان يفار منه حتى صار قبله منه
بغضا لا توارى فلما وضعت زوجته جرمين دوفوا كس ولدا فرح فرحاً شديداً
حيث ان هذا الولد يرث ماله من بعده ويحرم كرلوس من مملكة اراغون
ومملكة نابلي ومملكة سبيليا ومملكة سردينيا الان هذا الولد لم يطل مدة حياته
وعنه موته صار فرديناند كانه يتقلب على البحر لعدم الذرية ونظر عليه القلق
والجزع وظهر التلطف على ان يكون له اولاد يرون عنه ماله والنظر انه لم
ينشأ عن جرحه فائدة غير انه جعل باقمة كرلوس على كرسي اسبانيا على خلاف
مرامه وذلك انه وان كان لا ينبغي له ان يتوقع نسل لانه كان وقتئذ قد طعن
في السن وكان في مدة شبوبته قليل العفاف منه كما على اللذات الا انه تلطفه
على الذرية قص امره على الاطباء وطلب منهم ما يبعينه على مقصده فاعطوه
شرايين الاشرية التي يزعم ان خاصيتها تقوية البامع انه لا ينشأ عنها سوى
ضعفه وانلاف الصحة كما تحقق ذلك في فرديناند فانه بعد تعاطيه هذا
الشرب اخذت صحته في التناقص والضعف خصوصاً وان بنيت قبل ذلك
كانت ضعيفة فاعتراه مرض شديد وشفي منه الا انه لازمه داء السل فجعل
يزداد في السقم والخلول واختل عقله حتى صار غير صالح لإدارة ماله وتبع
من انواع اللعب واللهو ما لا يليق بالرجاء وبش من الذرية لضعف بنيت الا انه
ازدادت غيرته من سبطه الارشدوق كرلوس وصار ينظر اليه بعين الشاق
المبغض كما هي عادة اغلب الملوك من انهم يبغضون من هو معد لان يخانهم على
مالهم وحيث بلغ بغضه لكرلوس الى هذه الدرجة كتب وصية
للأمير فرديناند بالنيابة على المال حتى يحضر كرلوس اخوه لما انه
كان يعلم ان الأمير فرديناند المذكور قد نشأ في اسبانيا فيرغب فيه اهله
اكثر من اخيه كرلوس وقلده ايضا رياسة الطوائف العسكرية الثلاثة

سنة ١٥١٣

مطلب

عزم الملك فرديناند على
حرمان سبطه كرلوس من
مملكة اسبانيا حتى كتب
الوصية بذلك للامير
فرديناند اخ كرلوس

سنة ١٥١٥

ولا يخفى ما للملك فرديند في ذلك من التدبير والمكر حيث ان الامير فرديند بالامر الاول وهو النيابة يكون له حق في التاج الملوكي فينازع اخاه فيه وبالتالي وهو رياسته على الطوائف العسكرية يكون قائما بنفسه في جميع احواله والطوارى حتى لا يكون لاحد عليه ولا.

ولم يرل فرديند يغار على ما الكمن غير مغيرة بحسبة الى ان مات حتى انه قبل موته بقليل دعه تلك الغيرة الى ان ينتقل من محل الى آخر كانه يفر من مرضه لوتلاهي عنه وكان خذنه برون ان صحته دائما في التناقص والضعف ومع ذلك كانوا الانجاسرون على خطابه في هذا الشأن حتى كانوا ياذنون لتقسيس الاعتراف المرتب عليه ان يدفونه وكان هذا التقسيس يودان يحضره بجاه لانه كان يرى ان مراعاة خاطر الملك واخفا حقيقة حاله عليه يعد من البكائر التي عنها شرعافا اتسع الخرق عليهم وعظم خطر الملك لم يحكم كتمان الحق فاجبروه بان لجله قد نافذ نذره فرديند من ذلك ولم يرعوا انه وحضر اليه حينئذ اقدم ندمائاه واجهم اليه وهم ثلاثة كروايل و رابطة و وركاس وترجوه ان يغير وصيته التي كتبها واعلموه بانه ان اعطى الامير فرديند نيابة الممالك وضع الحرب بينه وبين اخيه كرلوس لاصحالة وان اعطاه رياسة الطوائف العسكرية الثلاثة ضاع من التاج الملوكي روقه وجهته وجرده من اعظم قوته فاستصوب رأيهم وروا المال كرلوس ورأى ان ما صمم عليه في حق من باب الظلم والتعدي وغير هذين الامر من من وصيته وكتب ان كرلوس هو الذي يرثه وحده في جميع ممالكه وجعل للامير فرديند في نظير التاج الملوكي الذي قومه انه ثبت له ارض ايرادها في السنة خمسون الف دينار معاملة من التصدق السمائة دوقات ومات الملك فرديند بعد ان وضع اعضاءه على هذه الوصية ببعض ساعات كان ذلك في ٢٣ من شهر كانون الثاني

سنة ١٥١٦ من الميلاد

فلما مات فرديند ورثه شريكان في دولة الكبيرة وكان قد بلغ حينئذ من العمر ست عشرة سنة وكان الى ذلك الوقت قاطنا بملكة البلاد الواطية

مطلب
تغيير الملك فرديند
لوصيته التي كتبها

مطلب
موت فرديند
مطلب
تربية كرلوس الخامس
المسمى شريكان

للقى ورثها عن ابيه والذي اعنى بتريته في صغره هي عته مرغوريطه اميرة
الاستربيا ومرغوريطه اميرة بورقة اخت ادوارد الرابع ملك
لنكلترا وارملة الملك كروس لوهردى وكانت كلتاهما من الاميرتين ذات
فضل شهر وعلم عزيز قد مضت من كنوز المعارف والقضائل نقائس شتى وبعد
موت ابيه فيليبس اعطى اهل القلنك مملكة البلاد الرومانية لايه
الاميراطور مكسيليان على ميل الوكالة لكن كانت تلك الوكالة ظاهريه
لاحقيقه حيث كان لا يتصرف في المملكة بجميع ما يقتضيه حق الثيابه
فاختار مكسيليان غليوم دوكروى ملتم شيوره وجعله ناظرا على
حفيد كروس ليحسن تربيته وكان هذا الامير مستكفلا بجميع الصفات
والمعارف اللازمة لئلا هذا الامر المهم فجعل يوقى به كما ينبغي وانتخب كذلك
ادريان دو ترقطه وجعله مودبا للامير كروس فرق هذا القسيس بتلك
الوظيفة اعلاما لمرتبته ارتقى اليها القسيسون والاحبار ولم يدع لذلك لطيب نسبه
وحسبه لانه كان مجهول الاصل وللاصولته وضوئته لانه لم يكن له مدخل
في مصالح الدولة وانما كان ذلك للمعارفه التي اشتهر بها بين ابناء وطنه لانه كان
ممتازا بين اقربائه بالعلوم الهزئيه التي مكنت عدة قرون وهي تدعى بالعلوم
الفلسفيه واشتهر ايضا بشرح وضعه على كتاب مشهور للمؤلف بطرس لومبرد
يسمى معلم الحكم كان وقتئذ معتبرا كفتاح لكنوز العلوم اللاهوتيه المستعملة
في المدارس فقبل هذا الشرح اتم القبول واستحق مؤلفه المدح والتناء ولكن
مع هذه الشهرة التي حظى بها ادريان في ذلك العصر الذي كان عصر
جهالة لوحظ بعدمه قليله ان مثل هذا الرجل الذي لم يخرج من المدرسة ابدا
ولم يعاشر الناس حتى يعرف امور الدنيا ويكون ذا ذوق وادب لا يصلح لتربية
الامير كروس وتأديبه ولا يمكنه ان يستعمله الى التعليم والتحصيل ولذلك
اطهر كروس من صغره الثفره من العلوم وكان له رغبة شديده في تعليم
العسكريه التي كانت وقتئذ مطمح نظر الاشراف ولا يهتمون بغيرها فكان
الرجل منهم بغير ونباهي بوقائه الاقران فيها وكان الامير شيوره يستحسن

سنة ١٥١٦

منه ذلك ويقوم عليه ولا يعلم هل كان ذلك عقابا منه للامير **كرلوس** لم يستسلم به اولا ونفسه كانت ايضا لا تميل الى العلوم الادبية ومع ذلك بذل المهمة في تعليمه علم الادارة والتدبير وقرأ تاريخ ممالكه وتاريخ الدول التي كان منها وبين دوله علاقات وروابط فلما تولى **كرلوس** على بلاد القنك سنة ١٥١٥ اهتم **شيوهر** ان يعود على الشغل والاجتهاد فعمله على ان يقرأ جميع الاوراق التي تخص مصالح الدولة وان يحضر مذاكرات شورااته الخاصة وان يقص بنفسه على ارباب الملواد المحتاج في الارائهم وبهذه التربية تعود **كرلوس** على الانفة والتعالى وما لا يليق بصغر سنه مع انه في مبداه امره لم يظهر منه ما يدل على البراعة والتجربة التي امتاز بها فيما بعد فلم يكن عنده وهو صغير من النشاط والحمية ما يظهر عادة على من يكون كثيرا لجد والمشروعات اذا بلغ حد الرجولية وذلك انه كان في مبداه امره متقادا بالكلية لما يامر به الامير **شيوهر** وغيره من ندمائه ويشل منهم النصيحة بدون توقف وبمثل ذلك كان لا يلوح منه انه يجوز هذا العقل الواسع الناقب والرأى الصائب الذي قام فيما بعد بمصالح نصف ممالك **اوروبا** وادارتها ولكن كان رعاياه مقرورين بحسن موثرته ومهارته العظيمة في المصارعة وغيرها من الاعاب البدنية فاحسنوا فيه الظن كما هي عادة الناس في حق ملوكهم وقت الشبوية و**حكموا** بان يكون له مستقبل سعيد وتزیده بمجة الممالك التي ورثها عن جده **فرديفند**

مطلبه
طباع **كرلوس** في مبداه امره

وكانت حينئذ ممالك **اسبانيا** تستدعى عظيم حزم وكبير عزم في ادارتها وتخصيصها لحما كما يقضهم مما ذكرناه في انحاء الملوك اللبائوذك ان العوايد الالتزامية التي ادخلها كل من امة الغوطيين وامة السويوهر وامة الوندال في اقاليمها كانت باقية بها على قوتها الاصلية وكان للاشراف شوكة قوية ومهارة في الفنون الحربية وكانوا قد مكثوا زمانا طويلا يتتبعون بالزوايا الوامعة التي اشتهت بهم تلك العوايد الالتزامية وكانت مدائن **اسبانيا** كثيرة العدد والاهل على خلاف ما تقتضيه الحكومة الالتزامية التي هي لتلايم

سنة ١٥١٦

التجارة والعمران ولا الضبط والربط الذي يكون به امن البلاد وراحة العباد
وكان لاهل تلك المدن مدخلية عظيمة وتأثير قوى في شان السياسة وكان لهم
حقوق شخصية عظيمة جدا واماشوكة الملك فكانت ضعيفة بسبب حزايا
الاشراف وتطلبات الاهالى لتحصيهم وصكانت محصورة في حدود
ضيقة جدا وبالجملة فادامت هذه الحكومة المختلة موجودة كانت اسباب
القتل والشقاق كثيرة لا تحصى وكانت الروابط الجامعة بين اجزاء اسبانيا
واهية ضعيفة فكانت اسبانيا في اشد المشاق والمكابدات التي تنشأ عادة
من خلل الحكومة الالتزامية وزيادة على ذلك كانت عرضة لمصائب اخرى تنشأ
عن بعض امور مختلة في ترتيبها وقوانينها

ثم لم يبق مدة حكم فردينند الطويلة شئ من التعكيرات والفتن الداخلية
في اسبانيا لانه عرف بوجوده قريحته وحزمه كيف يقمع قفوس الاشراف
حق لا تقار منهم الجمعيات البلدية فيحسن تدبيره وسياسته في داخل بلاده
وبهارته وحزمه في تمييز مشروعاته في البلاد الاجنبية صاره موقع عظيم
في قلوب رعاياه وثبت له عندهم فضل جليل وقدر جليل في المعارف وبذلك
امكنه ان يحفظ في دوله الامن والاطمئنان وان كان الترتيب السياسي وقتئذ
لايسوغ ذلك بل كان يلايم الفتن والتعكيرات فلحقات فردينند اتعدمت
بموته موانع اغفل والشقاق وعادت التخزيات والتعصبات وتسلطن الهم
والحزن في عماث اسبانيا بعد ان مكثت زمنا طويلا مستريحة منها وصارت
بعدهم فردينند اشنع وافظع مما كانت عليه قبله

وكان فردينند يتبصر في العواقب فادرك انه لابد من وقوع هذه الفتن
والتعكيرات بعده فبحث قبل موته عما يحتسب به من حصولها فكتب في وصيته
ان اكرميينيس مطران طليطلة هو الذي يكون نائبا عنه في مملكة
قسطيلة حتى يحضر حفيده كرلوس الى اسبانيا وانما خص هذا المطران
بذلك لانه كان لحزمه وحسن طباعه وجيد صفاته جديرا بمثل هذا المنصب
العظيم ولذلك راى انما من اللائق ان تسلم عليه هنا بخصوصه ونذكر بعض

مناقبه وصفاته المحمّية ثم ترجع الى موضوعنا فنقول كان من عشرة طيبة الاصل
 الا انها كانت قليلة الغنى والثروة فخلته العيلة والفاقة على الدخول في زمرة
 القسيسين لاسيما وقد كان يميل بالطبع الى ذلك فلما انتظم في سلكهم فاز في اقرب
 وقت باقطاعات انعامية عظيمة حتى صار ذا ثروة ففتحت له ابواب السور
 ومهدت له سبلارقي بها الى اعلام رتب الكنيسة ومناصب الافة ثم رغب
 عن هذه الانعامات الكبيرة واراد الدخول في دير سنترنيس وهو من
 اصعب مراتب كنيسة رومة فامتنوهوا تها شديدا صعبا ودخل هذا الدير
 وعما قيل امتاز فيه ايضا بالعبادة والزهد وحسن الاخلاق وغاية التدقيق
 الذي كان اذا التزم من اجل اخلاق المترهين وفي اثناء مجاوزات الحد في الدين
 التي لا يقع فيها عادة سوى العقول الضعيفة الزائفة التي تميل الى البدع
 والتهافت كان اكرمينيس باقيا على حدة ذهنه ووفور عقله لما كان بالطبع
 جيد الرأي حاد الذهن فتزهدت قريحته عن الزين والضلال فلما رأى اهل
 طاقته القسيسية انه يفوقهم جعلوه رئيسا على اقليم وكان مشهورا بالزهد
 والتقوى ضمنا قليل دعى الى ان يكون قسيس اعتراف عند الملكة ايرانيه
 ومع شرف هذا المنصب وعظمه توقف في قبوله ولم يقر به الا كرها بغير رضا ووجد
 دخوله في خدمة هذه الملكة لم يزل مستمرا على اخلاقه من الزهد والتقوى والورع
 التي اشتهر بها في الدير فكان اذا اراد الذهاب الى محل يذهب راجلا كما دونه وكان
 لا يتعش الا من الصدقات وكان يكلف نفسه بالامور الشاقة كما كان قبل ذلك
 فحصل للملكة ايرانيه منه غاية الفرح والسرور وقلدته منصب مطرانية
 طليطلة وهو اعظم مناصب الكنيسة الرومية بعد منصب البابا ومع ذلك
 ابى ان يقبله حتى صدر له امر مخصوص من طرف البابا ولكن لم تغير
 اخلاقه بارتقائه الى هذا المنصب العالي الا انه جبر على ان يظهر في الناس
 بما يقتضيه مظهر منصبه من الابهة والرونق ومع ذلك بقي على ما كان عليه من
 الشدة الدينية والصعوبة القيسية فكان يلبس دائما ثياب منسوبة
 الحبرية ثوبا خشن لمن ثياب رهبان سنترنيس وكان يخطه بنفسه

سنة ١٥١٦

اذ تمزق وكان لا يلبس القماش الرقيق الناعم على يده مباشرة وكان يشام دائماً من غير ان يخضع لمبوسه ويشام في الغالب على التراب او على الواح من الخشب وقل أن نام على فراش وكان لا يأكل شيئاً من الاطعمة اللذيذة اللطيفة التي تقدم له في مائدة بل كان يكتفي في ذلك بما توجهه قوانين طاقته القيسية فكان يتنعم بلقيات تسد الرمق وكان له معرفة غزيرة في مصالح الدولة واحوالها حتى انه لما دعي الى الادارة بموجب رأى الملك فرديند وزوجته ايرايلا اظهر من الفضل والمعارف الحلية ما جعل له شهرة في القرية والحرم مماثلة لشهرته في الزهد والتقوى وكان لا يقع بصره الا على كل امر جليل لم يسبقه به غيره ولا يهم الابتخير كل مقصد صعب ومشروع خطب وكان حسن نيته في تلك المشروعات يحمله على ان يتبعها مع الهمة التي لا تسلك والتعظيم الذي لا يعل حتى يغزها ويتامرها ولما كان متودداً من صفوه على قمع نفسه وعدم اتباع شهواته كان لا ينفوا بداعن مال الى الشهوات واتبع هوى نفسه وكان يعلم بموجب الدين ان الزينة والرفاهية ممنوعة فكان يبغض كل ما يلوخ عليه دلائل التصنع والمجب ولم يكن لين العريكة بل كان لا ينفك عنه تدقيق القسوس وتشديد هم الذي يوجب السامة والنفوس خصوصاً في بلاد اسبانيا التي كانت تجمل بها طباع الاقصة ومع ذلك فلم يصفه احد بالتفلاطة والغفلة

هكذا كانت حالة اركيمينيس الذي اقامه فرديند نائباً على مملكة قسطنطينية وكان قد بلغ من العمر ثمانين ويعرف صعوبة هذا المنصب ومشاقه التي لا تنقل عنه ومع ذلك لم يتوقف في قبوله لانه كان بالطبع قوي العزم وكانت له رغبة تامة في تضييق ما يكون مصلحة البلاد ونفع العباد لكن كان اديان دور يسطه الذي ارسل الى اسبانيا قبل موت فرديند ببعض شهور واطهر او امر من الارشودق كرويس بالنيابة على مملكة قسطنطينية بعد موت الملك فرديند المذكور غير ان اهل اسبانيا كانوا يبغضون حكومة الغرباء فيهم ويعلمون ان الفرق بين فضل هذا الرجل ومعارفه

مطلب

جعل كرويس اديان نائباً على مملكة قسطنطينية

سنة ١٥١٦

وفضل اكرمينيس كايين الثريا والثرى فلم يكن له اعتبار عندهم كاكريمينيس
بجيت كان يمكن ابطال سعيه وخيبة اماله لولان اكرمينيس امثال اوامر
كروس واقرة على النيابة لكنه شارك في الادارة والتدبير على ان نيابة اديان
على المملكة المذكورة لم تكن الا مجرد الاسم والصورة واما اكرمينيس فانه
بحسن سياسته اخذ يعامل اديان مع المراعاة والاحترام التام حتى آلت
اليه الكلمة النافذة في الدولة وصار يده الحل والعقد في جميع المصالح
واول شيء لاحظه اكرمينيس وتدارك ما يترتب عليه من العواقب السيئة
المضرة هو حال الامير فردينتد بن فيليش الذي اوصى له الملك فردينتد
اقولا بالهكرمة وكان اقرب من غيره للاستيلاء عليها فلما بدلت الوصية وحرم عما
كان يامله لحقه الاسف والتحصن وانظم من الخزع ما لا يليق بشيئونه وصغر
سنة فغشي اكرمينيس ان ما لحق فردينتد من التملضاياع الحكومة منه يجعله على
السعي في اشباع قننة او حادثة مشومة وبجيت عن احضاره ليجتنبه ملاحظته
في سلوكه وافتعاه وتعلل في تنفيذ ذلك المارب بانه يريد مباشرة تربية هذا الامير
ليكون تحت رعايته في الحفظ والصون فبجيت حيلته واحضر فردينتد
من مدينة وادي لوب التي نشأ بها الى مدينة مدريد التي جعل بها حبيثد
الديوان الملوك ولما حضر فردينتد الى تلك المدينة اخذ اكرمينيس
يلاحظه في جميع اموره واما طامعا بالالتفات اليه والى اتباعه في جميع حركاتهم
وافعالهم

واول خبر بلغ اكرمينيس من البلاد الواطية اورنه الحيرة والعلق حيث بلغه
انه فعل امرا صعبا باحضاره للامير فردينتد عنده وجعله تحت ادارة اماس
لا يعرفون قوانين اسبانيا ولا اخلاق اهلها ويجرد ما وصل خبر موت الملك
فردينتد الى مدينة بروكسيله انمط راي مشورة التلكت على تلقيب
الامير كروس ملكا على دول فردينتد فقبل قواهم وبجيت عن التمكن
من ذلك ولكن بموجب قوانين اسبانيا كان كل من مملكة اراغون
ومملكة قسطيلة لا يثبت الا لاميرة حاتة دون غيرها ثم انها كانت

مطلبه

انضرا اكرمينيس بارادة
الدولة ونجيزه صالحها

مطلبه

تلقب كروس ملكا

سنة ١٥١٦

لانصلح الحكم بسبب امراضها واختلال علمها الا ان ذلك لم يثبت بتقرير جميع
مادر من مشورة وكلاء مملكة اراغون او مملكة قسطنطية حتى يعلمه الخاص
والعام وبناء على ذلك كان اهل اسبانيا يعتبرون ان هذا المصلح من طرف
كرلوس محض نعد واقتيات على مزايدهم وحقوقهم بل ومخالف لتواهبس
الطبيعة حيث انه يريد ظلم امه والتعدي على حقوقها ورأوا ان في ذلك اهانة
لاميرتهم لم يحصل لهم مثلها من جهة رعاياها
ولكن بعد مدولات بين ديوان مدينة بروكسيله و البابا و الایمبراطور
اقر كل من هذين الاخيرين تقييد كركلوس ملكا على قسطنطية وكان لمما
وتتخذ الحق في ذلك اما الاول فلانه رئيس الكنيسة واما الثاني فلانه رئيس
الایمبراطورية وصدر الامر الى اكرمينيس بان يعلم اهل اسبانيا باستيلاء
كرلوس على كرسى مملكتهم وكان اكرمينيس هو اول من عارض في هذا
الامر لانه كان يرى انه يفضض الله من غير ان يجدى فعلا لامير كركلوس فلما
اقر كل من البابا و الایمبراطور تبين الضاح وبذل غاية جهده في حل
الناس على اقرار كركلوس ملكا على اسبانيا بجمع الاشراف الذين كانوا
حيث بالدوان واعلمهم بمرام كركلوس فاخذوا يتضجرون من ذلك لان فيه
سلب مزايدهم وافق الجميع على ان هذا حق سانة لا ينتقل الى غيره لانه
كان منهم وبينها ميثاق اكيد لا يمكنهم خضه فعند ذلك قطع اكرمينيس
كلامهم وهم قائلوا بعلاصونه اني لم اجمعكم لاشاوركم في هذا الامر واعمل
برأيكم وانما جعتمكم لاعلمكم به فاعلمكم الا الطاعة والامتثال حيث ان
ملككم كركلوس ارسل بطلب منكم الطاعة لا الاستشارة فيلزم ان ينشر ذلك
في يومنا هذا بمدينة مدريد ليعلم الخاص والعام ان كركلوس هو ملك قسطنطية
وتتدري بها غير هامن المداثر وصدرت الاوامر في هذا الشأن لساير جهات
المملكة وافر الخاص والعام بالملوكية لكرلوس وان كان كثير من الاشراف
قد حصل له في الباطن غم شديد من ذلك هذا في مملكة قسطنطية واما في مملكة
اراغون فلم تنفذ اوامر كركلوس ولم يقره الا هالي على التملك لان اهلها

مطلب

اقرار كركلوس على الملوكية
في مملكة قسطنطية وكان
ذلك باخاس اكرمينيس
وهتمه في ٥ من شهر
نيسان

سنة ١٥١٦

كانوا يتبعون بجزايا اعظم من مزاياء اهل قسطنطينة لاسيما وقد كان الملك
فرديناند قبل موته جعل مطران سراغوسة تابعا على تلك المملكة وكان
في الصولة والمعارف دون اركيمينيس وبهذا السبب مكث كركوس غير
معترف بالملوكية في اراغون حتى حضر نفسه الى اسبانيا

ومع ان شوكة اركيمينيس كانت بحمد النياية فقط وكان لكبر سنه لا يطمع ان
تدوم له الشوكة زمانا طويلا رأى انه بمنزلة الملك في قسطنطينة حيث انه نائب
عنه فيها فاخذ يتصرف في ادارته كانه ملك حقيق فشرع في مقاصد مهمة
ليقوى بها الشوكة الملوكية ويوسع دائرة مزايائها واخذ يبذل غاية جهده
في نصير تلك المقاصد حتى كانه هو الملك وان عمرة ذلك تعود عليه هذا وكان مزاياء
الاشراف حينئذ في قسطنطينة قد تجاوزت الحدود حتى لم يبق للملك سوى
حقوق واهية هينة فرأى اركيمينيس ان اثبات تلك المزاياء للاشراف مع
حرمان الملك منها ليس الا محض ظلم وعدوان فصمم على حرمانهم من
بعضها ولا يخفى ان مثل هذا الامر خطر ولكن كان اركيمينيس يرى ان
مقتضيات الاحوال تعينه على نصيره وتكسبه نجاحا لم يسبق لاحد من ملوك
قسطنطينة وذلك انه يحرصه وفوقه في صرف ايرادات المملكة واموالها
السوية جمع من الاموال النقدية ما لا يمكن لاحد من ملوكهم ان يجمعها
في اي وقت كان وكان لحسن اخلاقه ورأفته واحسانه قد تسلطن جبهه في قلوب
الاهالي حتى كان الاشراف لا يخشون منه قننة او غدر او غير ذلك مما يضربهم
فلم يلاحظوه في حركاته وافعاله كما كانوا يلاحظون بعض ملوكهم

وعبر ما جعل اركيمينيس تابعا على ملكة قسطنطينة فهم جماعة من
الاشراف ان الشوكة الملوكية متضعف وتضعف صولتها فاخذوا في جمع
اتباعهم وجندوا جنودهم وعادوا الى طلب المزاياء التي لم يتمكنهم تحصيلها
في زمن فرديناند لما كان نائب الجنان قوى العزم والحزم ولم يكن كان
لا اركيمينيس حينئذ جيش عظيم من العساكر المستأجرة فافسد عليهم
امالهم وجعل سعيهم هباء منثورا ومن غير ان يحصل له في ذلك اذى مشقة لكنه

مطلب

شروع اركيمينيس في
تقوية الشوكة الملوكية
وتوسيع دائرة مزايائها

مطلب

خففه للاشراف
واضعافه لشوكتهم

سنة ١٥١٦

لمريض ان يكون قاسى القلب شديدا لحد على من كان سببا في تلك القن
ولم يذقم من العذاب المستوجبوه يعمرهم وانما طلبهم المبايعة على
الطاعة والافتقاد وجعل الاعز منهم الاذل

وما دام اكرمينيس لا يصيب بسهام صولته الامرا يا بعض اناس مخصوصين
وكانت افعاله تحسن بمقتضيات الاحوال بحيث يترأى انها من قبيل العدل
والانصاف وكان تشديده فيها مشوبا بنوع من الرفق ولين الجانب قل أن حصل
لناس منها غم او شك لكنه لما صم على امرهم يعود بالضرر على مزاي
الاشراف الذاتية اغضب ذلك سائر طائفتهم وكانت وقتئذ قوة الشوكة
والصولة وتلك المزية الذاتية هي فن العسكرية وذلك انه بموجب المذهب
الالتزامى كان هذا القن من خصوصيات الاشراف لا يشركهم فيه غيرهم
فكان لا يسوغ لاحد من الرعا ان يحمل السلاح ليبرز الى ميدان الحرب
الا اذا كان من اتباع يارون او امير منهم واما الملك فكانت ايراداته قليلة
بسبب ضيق دائرة مزاياه وحقوقه فكان يجب عليه مراعاتهم ليعينوه
في جميع مشروعاته وحروبه لانه كان لا غنى له عنهم عند الهجوم على اعدائه
او المداخلة عن دونه اذ كان لا جيوش وقتئذ الا جيوش الاشراف وكانت هذه
الجيوش لا تطيع لغير الاشراف امراف كانت شوكة الملك بهذا السبب ضعيفة
لا تستقيم بنفسها وكانت ليدى الاشراف فوق يد الملك فاراد اكرمينيس ان
يقتد الشوكة الملوكية من هذا التصديق الذي هو نوع من الاستعباد لكن رأى
انه لم يعهد في الحكومة الالتزامية ترتيب جيوش من العساكر المستأجرة
مكنت ملازمة للدولة لا تنقل عنها ولا تسرح فعمل انه ان رتب جيوشا مستأجرة
على سبيل الاستمرار والدوام يغضب عليه اهل قسطنطينة لانهم كانوا اولى
انفة وكان لهم قولع عظيم بالحرب فاستصوب ان يرتب جيوشا من الاهالي
وامر ان يجعل في كل مدينة من مدائن قسطنطينة مقدار من الاهالي يشتغل
بالتعليمات الحربية في ايام المراسم والاعياد وسمى حتى جعل ماهيات ضباطهم
على طرف الدولة ووعد العساكر تشجيعا لهم بان يعافهم من جميع انواع

مطلبه
شروع اكرمينيس في
ترتيب جيوش من
الاهالي

الغرامات والجرائم المضروبة على الاهالى ويدي عليه مقبولة مستحسنة
 في تجديد هؤلاء العساكر وهي ان اغارات ابلام الغرب على بلاد اسبانيا
 كانت لا تقطع وقال لابد من وجود جيوش تلازم الدولة دائما وابداحي تكون
 اسبانيا في امن من اعدائها مع ان غرضه الحقيقي من ذلك هو ان يجعل للملك
 جيشا مخصوصا غير تابع للباروتين ليكون ذا قوة بينهم وبينهم عن تعدى
 الحدود في فعل ما يحل بالدولة والامن العام ولكن لم يحق هذا الغرض على
 الاشراف بل علموا كنه سره وادركوا حقيقة امره وايقنوا ان ذلك من طرق
 سياسته الدقيقة وحزمه المحكم وانه سينجح ويبلغ غرضه الا انه لم يحكم التصدي
 لمنعه عن انشاء هذا الامر لان العلة الظاهرة التي ابداهها هي منع المسلمين من
 البلاد كانت مقبولة مستحسنة عند الاهالى لما انهم كانوا اهل حية باهلية
 لا يعرفون حقيقة الحال ولا يدركون العاقبة والمآل فدخل الاشراف الياس
 ولم يحكمهم التصدي باقتضائهم رده عن مقصده خوفا ان ينسبهم الاهالى الى
 اغراض نفسانية او مصلحة خصوصية فلا زمو الصمت والسكوت وان
 كانت اتدبهم تضطرب بغير ان الياس ولخوف ولكنهم بذلوا سرايا جبهدهم
 في حث المدائن على ان لا تسلم في تمييز ذلك ولا تطيع الا كزيمينس فيه امر
 حيث انه يخالف لقوانينها ومن اياها فبعضوا هذه الحيلة حيث عصت مدينة
 بورغوس ومدينة ولادوليد وعدة مدائن اخرى واخذ بعض الاشراف
 في تمضيدها وتأييدها والدافعة عنها واما اهل المدن يخاطبون الملك كركوس
 بالانذار والتعذير حتى داخله الفزع والربعب واضطربت قلوب ارباب مشورته
 الفلكيين ولم يبق من اهل الدولة ثابت القلب سوى اكريمينس فانه لم
 يلحقه جزع ولا روع من ذلك بل اخذ يسلك مع العصاين طوراسييل التعذير
 والتهديد وطوراسييل المدافعة والمخادعة وبذلك تاوت مسلك القصر والقوة
 ونارة مسلك الدين والملاطحة حتى ظفرا باعدائه وفع المدائن العاصمة وارغم
 انوف طفاها لوجعل الاعز منهم الاذل ولم يرزل ترتيب العساكر مدة حكم
 اكريمينس كل يوم في ازدياد فقامات اهل هذا الامر وعاد الحال الى ما كان

سنة ١٥١٦

مطلب

شروعاً كزيمينيس في ان
يرد لتائج الاقطاعات التي
اقطعها الملوك الاولون
للاشراف والاكابر

عليه اولا

فلما هجى كزيمينيس في اضعاف شوكة الاشراف التي كانت قد
تجاوزت الحد وشرع في تقليل املاكهم والتزاماتهم حيث كانت قد ازدادت
حتى تعدت اطوارها وذلك انهم لما كانوا لا يفضلون ابداء عما فيه جلب مصلحة
او منزهة لهم امكهم بسبب التعكيرات والتفتن التي كانت سابقا لاسبق عن
الدولة ان يستفيدوا فائدة جليلة من ضعف شوكة الملوك واحتياجهم
اليهم فتغلبوا بالنصب او بالخلعة على الاراضى الملوكية وجعلوها من جملة
التزاماتهم حتى لم يبق للتاج الملوكي شيء من الاملاك والاراضى الواسعة التي
كانت له فكانت املاك اغلب الاكابر والتزاماتهم كناية عن اراض اغتصبوها
من الملوك لضعف شوكتهم واقطاعات اقطعها لهم الملوك فمرا عنهم بسبب
مقتضيات احوال الجائهم الى ذلك ولكن لما كان يعسر البحث عن اصل هذه
الاراضى المقطوعة والمغصوبة لان مبداء استدلاء الاشراف عليها كان حين
ظهور المذهب الاتزاي لاسيما والبحث عنها بالنظر الى اصلها يترتب عليه
حرمان كل من الاشراف من بعض اراضيه رأى كزيمينيس ان ذلك يؤدي
الى قن عامة جسيمة وتقلبات عظيمة لا يمكنه مع حزمه وعزمه وسداد رأيه ان
يستقياها ويقمع اربابها فاقصر على ان يبحث عن اصل هذه الاراضى من عهد
الملك فردينند فبدأ يقطع المراتبات التي كان رتبها هذا الملك وتعل بان من
تبرع بها قدمات وانتقل الحق فيها لغيره فلامعنى لاجلها بعد موت من رتبها
وبحث عتب ذلك ايضا عن نزع الاراضى الملوكية التي انتقلت الى الاشراف
في عهد الملك المذكور واسترجع بأمر واحد جميع الاراضى التي كان اقطعها
لهم فردينند فجرد بهذا الوجه عتد من صدور الاعيان عن املاكهم
والتزاماتهم ثم وان كان فردينند لم يبلغ في السخا والكرم درجة كونه يعطى
املاكا كبيرة واقطاعات عظيمة لكن لا يخفى انه وزوجته ايرائيلة لم يخطيا
بكبرى مملكة قسطنطينة الا بمساعدة حزب عظيم من الاشراف قام معهم
فاضطر كل منهما الى مكافأة من اعانها مكافأة عظيمة ولم يكن لهما شيء يتصرفان

فيه لاجل هذا الفرض الا الاراضى الملوكة
فلما ازداد بذلك ايراد الملك وكان اكرمينيس صاحب قوبر غريب واقتصاد
في المصاريف عجيب امكنه ان يقضى ديون الدولة التي تراكت عليها في حكم
فردينند وارسل الى الملك كركوس يبلد القلنك مبالغ جسيمة جدا
وصرف لضباط العساكر التي جددوها ما هيأتهم وانشأ ترسانات ومحازن ملأها
من انواع الاسلحة والمهمات الحربية بما لم يسبق بمثله في اسبانيا وبالجملة
فكانت جميع مصاريفه من اموال الدولة في محلها حيث لم يصرف منها الا في
مصالح الدولة العامة حتى ان الاهالي استحسنوا ما فعله من نزع المرتبات
والاراضى الملوكة عن كانت يده وعرفوا ان ذلك من باب العدل والانصاف
لا التعسف والاحفاف

فلما اشرت افعاله بمزايا الاشراف وحقوقهم وروا ان مشروعاته في هذا الشأن
دائمة لا تزداد او اقله لا بد لهم من الاحتراس منه بكل وسيلة تقيم منه
ويكونون بها في امن وطمانينة فتعددت منهم العصب والفتن واتت شكاويهم من
سائر الجهات حتى ان بعضهم صمم على فعل مقاصد مهولة عجيبة وما رآه غريبة
وقع الحكومة في الخطوب والكروب الا انهم قبل شروعه في ذلك عينوا ثلاثة
منهم للبحث عن القوانين التي استند اليها اكرمينيس فيما فعله وعاسو غلة تلك
الاشياء التي لم يفعلها احد قبله وهؤلاء الثلاثة هم اميرال قسطنطية ودوق
انفتادو وقوته بنيونطة فلما ذهبوا الى اكرمينيس لم يقابلهم
بالباشا والطلاقة ولم يحجبهم عن سؤالهم الا بكونه ابرزام وصية الملك
فردينند يجعله تابعا على مملكة قسطنطية وارزله ايضا فرمان خليفته
كركوس الذي اقره على النيابة فاخذوا يفسدون عليه هذين الامرين
ويدهنون على انهما بالباشاين على شروط العصة وهو يدهن لهم على حصتها
فلما اشتد الجدل بينهم هم اكرمينيس وهم معه حتى اتى بهم الى فرجة فاذا هم
يتظرون الى جيش عظيم بالسلطنة ومقدار جرم من المدافع فقال لهم اكرمينيس
بأعلى صوته هذه هي مستندى واعتمادى بها احكم قسطنطية حتى يأتي

مطلب
نصدي الاشراف لنعنه
عن تعيين مشروعاته

سنة ١٥١٦

ملكاً كرلوس فاسله عنانها فند سماهم هذا القول المشوب بالجر آتموا لائقه
حق عليهم الصمت وتوجهوا وهم متعجبون منه وعلموا انه لا ينفعهم العصيان
والخروج على رجل تبصر في العواقب وأهب ما يدافع به عن نفسه وبخز
مقاصده ولم يكن في وسعهم ان يحجزوا عليه عصبة عامة لمعارضته في مشروعاته
ولذلك لم يحصل في مدته شيء مما يوجب خلل قسطنطية ويقلل راحتها ما عدا
بعض قن صغيرة جرت نشأت عن بعض الاشراف لما قام بقومهم من الغيظ
وكان هناك ثمن غير الاشراف من شازع اكرمينيس ويمنعه عن تنفيذ
مقاصده وذلك ان ارباب مشورة الملك كرلوس ببلاد القلنك كان لهم
عند هذا الملك كلمة نافذة وقول غير مردود فارادوا ان يجعلوا ادارة اسبانيا
كادارة مملكة البلاد الواطية لاجل اضعاف شوكة اكرمينيس لانهم كانوا
يفارون منه لما عرفه وفضله لاسيما وكان لا يبحث عما يوجب بينه وبينهم المحبة
والمودة بل كان مستقلا عن غيره في جميع اموره فكان عندهم بمنزلة خصم يمكن
ان يضربهم لا كوزير يبذل جهده في علوشان ملكهم وتقوية شوكة فكانت
كل شكوى قدمت في اكرمينيس تقبل في ديوان مدينة بروسيه ببلاد
القلنك من غير توقف وبذلك حصلت عدة موانع لاثمرة لها الا كونها ضيقت
على اكرمينيس في مشروعاته ولكن لما لم يمكن لوزراء القلنك ان يخلعوه عن
النيابة بدون خوف على انفسهم او اعراضهم بخوض اعن اضعاف شوكتهم بجعل
اناس معه في نيابة قسطنطية وذلك لانهم وجدوا ان ادریان دور بقطه
الذي ارسل نائباً على قسطنطية مع اكرمينيس لا يبلغ شأوه في الخزم
والعزم حتى يمكنه ان يرده عما تعلق آماله بتغييره فعملوا الملك كرلوس على
ان يولي معه في نيابة قسطنطية الشهير لاشو احد امراء قنندره وكان
مستكان من وفور العقل وكال الطننة والامير امرستوف احد اشراف
القلنك وكان شهيراً بالعزم والثبات فلم يحتج على اكرمينيس قصد
القلنكيين من تولية هذين الاميرين معه ومع ذلك لما وصل اليه تلقاهما مع
ما يليق بمنصبهما وانظر لهم ما من الاحترام والتبجيل ما لم يكن في سريره ولكن

مطلب

تقرب وزراء القلنك على
اكرمينيس

مطلب

تولية الملك كرلوس لاثنين
بشركان اكرمينيس في
نيابة قسطنطية

لما اودا ان يدتها في شأن الادارة ويعرف اصولها وفروعها **تسكب**
 عليها وصار ياملهم بما عامل به اديان وقام وحدهم ادارتهم صالح المملكة
 هذا واهل اسبانيا هم اشد الملل كراهة لحكومة الغرباء عليهم فلا يطبقون
 امارة احد اجنبي فاستصنوا من اكريمينيس ما كان يخله لاجل بقاءه
 على شوكة في منصبه حتى ان الاشراف لهذا السب نسوا ما اساءهم به
 اكريمينيس واحبوا ان تبقى النيابة بيده لانه من ابناء وطنهم وبقا الشوكة
 الملوكية بيد احد من بلدهم يخشون صولته او جوره احب اليهم من جعلها بين
 ايدي الناس غربا لا ياتقونهم بالطبع ولا يطبقون حكمهم فهم
 وكان اكريمينيس حيث قد تقلد له وتراكت عليه الخطوب لما انه مع
 اتساع دائرة مقاصده السياسية الداخلية التي كان وزراء القللك يحيلهم
 وداساتهم يعكرون عليه في تخصيصها كان مشغولا بحربين عظيمين مع البلاد
 الاجنبية احدهما كان في شأن مملكة نوار حيث كان اغار عليها عن قريب
 الملك خاندلبرطه واراد نزعهما من حكومة اسبانيا وذلك ان المملكة
 المذكورة كانت لهذا الملك فخصها منه فرد يفتد فلما مات فرد يفتد ظن
 خاندلبرطه انه يمكنه استرجاعها لاسيما وكان ظاهر الاحوال يفر به وزيرين
 له آماله حيث كان كرلوس لم يحضر الى اسبانيا وكان اشرافها في فشل
 وشقاق فظن بذلك خاندلبرطه انه يفتح في مشروعه وبأخذ بلاده من غير
 مشقة ولكن تيقظ اكريمينيس وقطاعته اقداعا عليه ما كان دبره في هذا الشأن
 حتى ذهب سعيه هباء مشورا فكان اكريمينيس بفهمه الثاقب ورايه
 الصائب قد ابصر العاقبة وادرك انه يخشى على هذه المملكة فكان اول شيء
 بدأ به حكمه هو انه ارسل اليها جيشا عظيما يقوم بحفظها وضبطها فيبينما كان
 الملك خاندلبرطه مشغولا مع بعض عسكر من جيشه بمحصار مدينة
 سبانييد وهورط اذ هجم القرم الخبير وبلالواه على البعض الاخر من هذا
 الجيش وبدد شمله فعند ذلك اخذ الملك خاندلبرطه في الفرار فكانت هذه
 الواقعة آخر الحرب المذكور اكن لما كانت مملكة نوار وقتئذ كثيرة المدائن

سنة ١٥١٦

والقلاع الغير المحصنة بحيث لا يمكن ان تدافع عن نفسها ان اغار عليها جيش
ذو انتظام وضبط ودراية بالقنون العسكري بل ربما كانت هذه القلاع تضر
ولا تنفع بان يتخذها الاعداء ملجأ يآوون اليه امر الكزيمينيس الذي كانت
لا تفتقره همه يهدمها كلها مادمية ميلون فانه ابشاهها وعزم على ان
يحصنها تحصينا جيداً ولولا هذا الاحتراس العظيم لاترعت قوار من يلاذ
اسبانيا لان جيوش الفرنسوية اغاروا عليها بعد ذلك المرار العديدة واخذوها
بدون مشقة الا انه كان يحصل لهم بعد الاستيلاء عليها جميع المشاق التي تحصل
للجيوش في ارض اعدائها واما اهل اسبانيا فكانوا يأخذون من الافاليم
الاسبانية القرية منهم جميع ما يحتاجون اليه من العساكر ويتقنون
عليهم كالعقبان فكانوا اذا شئت الحال بهم لا يجدون قلعة يتعمنون
بها ويآوون اليها فيتركون البلاد في اقرب مدة كما تقصوها ويركون الى
القرار

واما الحرب الثاني فكان ببلاد افرقة مع الشهير هوروق برروس اى ذى
اللمية الصغرى وكان من ارباب الصيال في البحر فصار يشجاعته ملكا على بلاد
الجزائر وونس ولكن لم يفتح الكزيمينيس في هذا الحرب كما فتح في الاول وذلك
ان سر عسكر الجيش الاسبانيولى سلك مسلكار ديثا وكذلك الضباط خاطروا
بانفسهم من غير تبصر ولا حزم فانصر عليهم هوروق بدون مشقة وهلك
مقدار جسيم من عساكر اسبانيا ومن بقى منهم رجع بهر ذيل الخزي والعار
ومع ذلك لم يتغير حال الكزيمينيس من هذه الهزيمة التي لم يسبق له غيرها
وقتشذبل بنى ثابث الجنان وازدادت بهيمته وروقه وما كان احد ينظر فيه ذلك
لانه كان اذا شرع في مقصد لا يئأه عيش الا بعد تيممه وتجهيزه

وقد نسيت هذه المصيبة في اقرب زمن ولكن حصل بعدها بقليل امر اوقع
الكزيمينيس في الحيرة واغضب سائر اهل اسبانيا وهو قبح سلوكه
الظلمكين ارباب ديوان كروس وذلك لان الامير شيوره تديم الملك
كروس واعظم وزرائه كان مع فضله وعارفة له خصله ذميمة وهى طعمه

ودانة تبه فلانولى كروس ملكا على اسبانيا امكن لهذا الاميران
بشئ غليل طمعه وذلك ان كروس ما دلم يلاذ القلنك كان كل من
يطلب منصباً وانما ما يذهب اليها فكان الناس يدخلونها افواجا افواجا لانهم
رأوا انه لا يمكنهم نيل مراسم الابواسطة الامير شيوره فاخذوا يتوسلون
اليه ويستميلونه بالرشوة الى اعانتهم على قضاء اوطارهم فانتقلت كنوز اسبانيا
وخزائنها الى البلاد الواطية وصارت المناصب وغيرها تباع في ديوان كروس
وربما كان المنصب وما شبهه يطلبه عدة اناس فيزيدون فيه بالرشوة كانه بضاعة
في سوق نوذي عليها بالمراد ولا يثبت الا لمن يشتريه باغلى الاعنان واقتدى سائر
ارباب الدولة بالامير شيوره في هذا الامر الموجب للعار والتضيعة وجعلوا
كلهم بضاعة يتجرون فيها على رؤوس الاشهاد فاغتاز اهل اسبانيا من ذلك
حيث رأوا ان اعظم مناصب بلادهم كان يبيعها اناس غرباً من القلنك
لا يرغبون في سعادة اسبانيا ولا في فخارها ولما كان اكرمينيس بطبعه
يحب مثل هذه الامور الدنيئة وكانت نفسه عزيزة شريفة فجعل عن مثل هذه
الرزائل التي تدنس المرء وترى بالعرض اخذ يشكى من قبح سلوك القلنكين
واخبر الملك بذلك حيث كتب له ان اهل اسبانيا اصحاب حرية واطقة
لا يطيقون قبح سلوك القلنكين وقد ازداد غضبهم واشتد غضبهم حتى
ضاقت عليهم الارض بما رحبت وان اسبانيا صارت في حالة تستدعي حضوره
اليها بدون تراخ ولا مهلة لكي يرذل بنفسه غمامات الكروب وضباب الخاف
والخطوب التي انقضت وتراكمت على المملكة

وكان كروس يعرف انه قد تأخر زمنا طويلا عن الذهاب الى اسبانيا
ليأخذ بعنان مملكه ولكن كان ثموداع قويمة تمنعه عن ذلك مدة اخرى
ولا تاذن له بالارتحال من مملكة البلاد الواطية وذلك ان الحرب الذي انعقد في
بلاد ايطاليا بسبب عصبه كبريه كان لم يرذل باقيا على حاله لم يحمده نيرانه
وان كانت جيوش الاحزاب في هذا الحرب قد سلكت طرقا مختلفة وحصل
بينهما التشل والتفاق حيث تعاهدت مملكة فرانساً مع جمهورية

مطلب
حث اكرمينيس لكروس
على الحضور الى اسبانيا

سنة ۱۰۱۹

البنادقة بعد أن كانت من جملة المتحصنين عليها وسكان الایمیراطور
مکسیلیان والملك فردینند من ذی بعض سنوات یحاربان مع الفرنساویة
بعد أن كانوا فی سبب الامر متعاهدين معهم حتی ان الجیوش الفرنساویة هی
التي نصرتهم واثبتت لهم صیول النجاح والنظر فکانت فردینند ترك الحفیدة
کرلوس عمالک عظیمة تركه ایضا هذا الحرب الکبیر والظاهر ان الایمیراطور
مکسیلیان کان یعرض کرلوس علی ان لا یدع محاربة الفرنساویة لما انه
کان شدید التولع بالمشروعات الجدیدة ولكن كانت تجارات القلنک قد
تأسست مدة هذا الحرب علی ما بقی من آثار تجارة اهل البنادقة وصارت
تخویر تردد فابوا ان یحاربوا الفرنساویة خوفا من ان یجبر ذلك الی اضرارهم
وتعطیل تجاراتهم وكان الامیر شیوره ذا فراسة عظیمة ودرایة کبیرة
فی معرفة مصلحة بلاده ولكن کان طامع فی الغالب یلهی به عنها الا انه فی تلك المرة
لم یتبع شهوات نفسه بل اظهر ان الصلح بین القلنک و فرانساً ضروری
لا بد منه وان الحرب یضر ببلاد القلنک کل الضرر فکتبت مراسلات الصلح
الی فرنسیس الاول ملک فرانساً وكان حینئذ لا حلیف له بعینه حتی
بعده علیه وبامن علی فتوحاته الجدیدة التي سكان امتولی علیها فی ایتالیا
فحصل له السور و القرح باعراض هذا الصلح علیه وكان وکیل کرلوس الامیر
شیوره المذكور وکیل فرنسیس الامیر بوازى وكان کل منهما ناظرا
علی ملکة فی صغره تربی کرلوس تحت ادارة شیوره وفرنسیس تحت
ادارة بوازى وكان کل من هذین الوزیرین یرغب فی الصلح لما انهما كانا
یعلمان ان معاهدة الملکین معاهی اسعد حادثة لهم واول رعاها فتذاکر
الوکیلان فی شان ذلك بمدینة فواپون وبتا هذا الامر فی مدة یسيرة وكان
الفرض من ذلك عقد مشاورة بین الملکین بها تكون معاهدتهما معا
ومدافعتهما عن بعض ما عند الضرورة بحيث لا یغفل احدهما عن الآخر وكان
من جملة الشروط الاملیة زواج کرلوس للامیرة لویرة بنت
فرنسیس الاول ولم یکن له سواها وكان عمرها وقتئذ سنة واحدة وسكان

مطلب
عقد الصلح بین کرلوس
وملک فرانساً فی (۱۳)
شهر آب

سنة ١٥١٦

فرنسيس قبل هذه المشاورة ينازع كرلوس في مملكة نابلي فتركها له
حيث قد نظير شوابيته وجهازها ولكن حيث كانت هذه المملكة بيد ملك
اسبانيا جعل على كرلوس ان يدفع ملك فرنسا مائة الف ريال الى كل
سنة حتى يحصل عقد التكاح وبعد ذلك يدفع خسين الف ريال مادامت الاميرة
لم تلد من كرلوس وانخط الراي ايضا على انه حين وصول كرلوس الى
اسبانيا يذهب اليه ورثة الملك خنادرطة ليطلبوا حقهم في مملكة توار
فان لم يرهم كرلوس وجب على فرنسيس ان يساعدهم بجميع طاقته
فنشأ عن هذه المعاهدة اتحاد كرلوس وفرنسيس وكان لها ثمره اخرى
عظيمة وهي ان مكسيليان رأى انه لا يمكنه مقاومة مملكة فرنسا
وجمهورية البنادقة معا فاضطر الى عقد الصلح معهما وابطل الحرب
الطويل الممول الذي ترتب على عصبة كبريه وبالجملة فقد ترتب على
معاهدة كرلوس وفرنسيس ان بلاد اوروبا بتمامها سكنت بعض
سنوات وهي في الراحة والاطمئنان وان كان قد حصل فيما بعد بين هذين الملكين
عداوة كبيرة نشأت عن طمعهما ففكر ابلاد اوروبا واقعا فيها القسمل
والشقاق مدة حكمهما

مطلب
منع اهل القلنك كرلوس
عن السفر الى بلاد اسبانيا

ثم انه بمشارطة مدينة وايون ففتح سبل اسبانيا لكرلوس وصار
لا يخشى شيئا اذا سافر اليها ولكن كان اهل القلنك لا يحبون منه أن يهمل هذا
السفر حيث يعلمون انه يعود عليهم بالخسارة والضرر وذلك ان كرلوس مدة
اقامته ببلاد القلنك كان يصرف ابراده وسنوياته وكانت فائدة تذيبه
تعود على ندماة القلنكيين من غير ان يشركهم فيها احد لان بلادهم كانت تحت
الحكومة وجميع الانعامات الملوكية كانت توزع بايديهم وشتان بين حالهم
في تلك الصورة وما لهم في صورة ما اذا سافر كرلوس الى اسبانيا لانه من
الجاثر ان يهرموا من تلك القوائد الجليله وذلك انه عند حلوله باسبانيا ربما
اعطى لاهلها عتار ادارة بلادهم فتصير مملكة البلاد الواطية معتبرة كاطليم تابع
لبلاذ اسبانيا وبعد ان كان اهل القلنك يتصرفون كيف شاؤوا

سنة ١٥١٦

مطلب

خوف القلعة كمين من
الزيميني

في الاتعمات الملوكة ويعطونهم لمن ارادوا يضطرون الى طلبها من ايدي اهل
اسبانيا وما كان يخشاه الامير شيوره زيادة على ذلك هو مقابلة الزيميني
للملك لان هذا الخبر باستقامته وشرف نفسه كان له في عقول الناس تأثير قوي
فكان من الممكن انه بفضلهم ومعارفه وجلالته وكبرسه يأخذ بعقل الملك
كرلوس لما انه كان شابا باهلا لان ترفيه التصامح العظيمة وتتمكن منه شعار
النفوس الكريمة التي يبدىها الزيميني واذا عرف كرلوس فضائله
وخصاله الحميدة قل ونوقه باهل القلعة لانه يرى ان طباعهم مباينة
بالكلية لطباع هذا الخبر الصادق ورأوا رأيا آخر وهو ان كرلوس ان ترك
لوزراء القلعة ما كان لهم في مصالحهم من الحل والعقد فان الزيميني
يقضب من ذلك ويراه من المعرفة للملحة الاسبانية التي هو منها في بذل جهده
في المدافعة عن حقوق بلاده كما فعل ذلك لانبات المزاي والمحقوق الملوكة فكل
هذه الاسباب دعت وزراء القلعة الى بذل جهدهم في منع كرلوس عن
السفر الى بلاد اسبانيا وحيث كان هذا الملك امنه سريع الميل لا تجربه
حتى يعرف قلوب الرجال لاسما وكان يجب الوطن الذي ولده ابني السفر الى
وقت آخر ومكت بمملكة البلاد الواطية سنة كاملة بعد مشاركة مدينة
وايون

مطلب

سفر كرلوس الى اسبانيا

ولكن كان الزيميني دائما يرسل الى كرلوس ويلع عليه في الحضور الى
اسبانيا وكان جده مكسليان يحثه على السفر حين اطهر اهل اسبانيا
القلق من غيبته عنهم فعزم كرلوس على السفر ولم يرجع عن عزمه ولما سافر
معه الوزير شيوره وعدة من اشراف القلعة ويكزاداتها وهم في ابهة
وروق عظيم واتما محبوبه لرغبتهم في مشاهدة جلالته وقدره في غير بلاده
وليكون لهم حظ في خيض احساء وزعمه فركب السفينة ومعه هؤلاء
الذكور وبعدها جاب مسافة كبد فيها الهوالا واخطارا رسا على مدينة
وبلاويسيوزة في اقليم الاستوري مع اجمع موكب واعظم احتفال وسر
لخضوره سائر الناس لانهم كانوا ينتظرونه مع مزيد التشوق كاهوشان مله

في (١٣) من شهر ايلول

سنة ١٥١٧

مكنت زمانا طويلا تنتظر ملكا جديدا ترغب في الوقوف على حقيقته واخذ
اشراف اسبانيا يهرعون اليه من كل فج عميق وانظروا من بها الرواق
والازينة طالا يمكن لاهل القلنك ان يسبحوا على منواله
وكان اكريمينيس مسرورا بحضور الملك ويعد ذلك من اعظم ماتنته
اسبانيا من الامور السعيدة فاخذ يرولين يديه بقدر ما ياذن له به هرمه
وضف بنيته لان هذا الرجل العجيب مدقنياته على المملكة كان لم يزل على
تشفه وزهده الخارج عن الحد وكان مع ذلك له مواظبة عظيمة على الاشغال
الصعبة ولا شك ان هذا يعدم اعظم القوى ويضعف صحة الاجسام فكان
يعتكف كل يوم عدة ساعات للعبادة ويؤدي الصلاة والادعية على الوجه الاتم
ثم يشتغل بالمطالعة وقرأة الكتب هذا وكان لا يخلط اصلا عن حضور المشورة
ويقراء جميع الاوراق والعريضات التي تقدم له ويلى المراسلات والاعلانات
اللازمة ويغفر نفسه سائر مصالح الدولة مدنية كانت او عسكرية او قيسية
فجميع اوقاته كانت لا تخلو عن اشغال مهمة جسيمة وكان اذا اراد ان يرجع
نفسه من الشغل يكثف مع الرهبان وعلما اللاهوت وينظرهم في مسائل
مشكلة من علوم اللاهوت التدريسية فبعيسته على هذا الوجه وطعنه
في السن صارت صحته كل يوم في التناقص والهبوط فساقر لقمابله الملك وهو
على هذه الحالة فاصيب في مدينة بوربكيلوس ببلاد اسبانيا بمرض
شديد وظهرت عليه علامات مخوفة عجيبية حتى زعم من كانوا معه في هذا السفر
انهم رأوا فيه علامات السم لانهم لم يعرفوا من فعل ذلك معه هل هم اشراف
اسبانيا ليقته موامنه بما فعله معهم او هم وزراء القلنك لغيتهم منه
فلما نقل على اكريمينيس المرض ولم يمكنه السفر مكث بمدينة بوربكيلوس
المذكورة وكتب الى كركوس ما كان قائما بنفسه من غير ان يخفى منه شيئا
كما هو دأبه فضعه بلن بطرد جميع الامراء القلنكيين الذين كانوا معه لان
افعالهم السابقة اغضبت اهل اسبانيا واذا استمر واميحه ولم يطردهم بغضب
منه الاسبانوليون وبيعضونه ودعاه ان يمن عليه بمقابلته واجتماعه به

سنة ١٠١٧

مطلب

خيانة كروس

ليهم به سلطة الخلة الاسبانيولية ويوقعه على طباعها فحضر امرآه القلنك
وامرآه اسبانيا وبذا واجهدهم في منع الملك عن مقابلة الكرميين
حتى انهم بعد ان انتقل الكرميين الى مدينة اراته صاروا يذولون
جميع ومعهم ويحاولون كل المحاولة في ابعاد الملك عن هذه المدينة حتى لا يجتمع
به وبهم يملك جميع المقاصد التي اوصى بها الكرميين واخذ كل من
امرآه اسبانيا والقلنك يفعلون ما بهم الكرميين والملة
الاسبانيولية ان شوكنه قرية السقوط ولم يبق على بقعه اياها بالكلية
الالبير واهتوا في اذاعة هذا الخبر بين الخاص والعام في اسبانيا حتى انهم
في الاشياء الواهية التي يستوى وجودها وعدمها عند الكرميين كانوا
يذلون جهدهم في فعل ما يظنون انه بغضبه ويوجب غمه وحره ومع انه كان
من عادته التعلد على تحمل الاساءة والاذى حصل له في تلك المرة كل الجزع
والضجر ولم يكنه تحمل هذه المعاملة السيئة لانه يسب نفسه في الخدمة
واستقامته كان يؤمل من كروس ان يكافئه باحسن من ذلك حيث انه
احيي له ملكه مدة حكمه واصلها حتى صارت في طاعة زاهية زاهرة لم تحظ بها
قبل ذلك وصار النتاج الملوكت شوكة عظيمة متينة لم يثبت مثلها لغيره من حكم
قبله من الملوك فلم يقدر الكرميين في عدم احوال على ان يخفي غضبه وغمه
ويكتم ما يوجب تشكيه وهمه وانظر التامف على سوء حظ وطنه وبلاده واخبر
بانه سيحصل لها مصائب شتى بسبب سوء الفربا وظلمهم وجهلهم فيمما كان
متصيرا في امره بسبب هذه الامور اذ جاءه كتاب من الملك كروس ليس فيه من
الاحترام ما يكفي في الدلالة على اهتمام المرسل بالمرسل اليه لبرودة عبارته وفيه
اذن له بالذهاب الى ابرشنته ليقضى فيها مع الراحة ما بقي من عمره الذي لم يسترح
فيه لحظة واحدة فحين وصل هذا الكتاب الى الكرميين قرأوا من دوا دعوا واشتد
المه وكانت عزه نفسه تقضى بانه لا يعيش بعد هذا الخذلان وربما اضربه ما كان
فانما يتنفس من انه سيحصل لوطنه مصائب شتى وبالجمله فلم يوصل الفم الذي قام
بنفسه من هذه الفكرة فقلت بعد ان قرأ كتاب الملك بعض ساعات واذا نظر

مطلب

موت الكرميين في
من شهر تشرين الثاني

سنة ١٥١٧

الانسان الى كثر مشروعات هذا الوزير وعظمها ونجاها مع انه لم يبق بالنيابة
الاخضر بن شهر اشهد به قد استوجب المدح والجليل والثناء الجليل لمراسسته
في المشورات ونقطة وحرمة في المشروعات وشدة حزمه في تنفيذها وشهرته
بالترجمة والادبي والتقوى وجميع تلك الخصال الحميدة مرسومة الى الان
في اذهان اهل اسبانيا قراهم يننون عليه في كل وقت وحين وقد اشتهر
في عصره من بين الوزراء بالتصوف حتى انه يفرده هو الذي شرقة ابناء وطنه
باسم الصوفي وقال عليه الا اهل مدته ادلته للمملكة ان الله قد اكرمه بظهور
خوارق العادات على يده

وبعد موت اكرميينس بمدة قليلة دخل كرويس في محفل عظيم
بمدينة ولادوليد وجمع فيها مشورة وكلاء المملكة قسطنطين ومع انه كان
مطعيا بالملك تقرر تلك المشورة على ذلك وكان اهل اسبانيا لم ير الوارث ان
التاج الملوكي انما هو حق امه حاته قط اذ لم يوجد في التاريخ ان ابنا
يبيع بالمملكة في حياته اياه واهله لهذا السبب لم تقر مشورة وكلاء المملكة
على ذلك مراعاة للرسوم القديمة واجتنابا لاحداث امور جديدة كماله عادة
المشورات الالهية من انها لاتعدل عن الرسوم الجارية ولا تميل الى ابتداع
حادثة او بدعة ولكن حين حضر اليهم كرويس وصار وزراؤه يبدلون غاية
جهدهم من التهديد والتخيل والخذل طلت مشورة وكلاء المملكة في هذا
الامر ورضيت بان يكون لمكاثع اسمه بشرط ان يوضع اسمه بعد اسم امه
في جميع ما يتعلق بالمصالح العامة ووقع الاتفاق ايضا على انه ان يرث حاته
من اختلال خطها وجنونها لالتقطع تفحص للوكية فبما من غير ان يشر كها
احد وانخط الرأي ايضا في تلك المشورة على ان يعطى الملك كرويس على
سبيل التبرع ستائة الف من الدوقات يأخذها بالتقسيم على ثلاث سنوات
وهو مبلغ جسيم لم يعط مثله لاحد من ملوك قسطنطين

ولما طلب كرويس ذلك المبلغ من ارباب مشورة وكلاء المملكة اجابوه من غير
وقت الا ان ذلك كان اول ما فعله بعد تقرر في الملوكية فشاغته غم عظيم

مطلب
مقدم مشورة القورطس
بمدينة ولادوليد
سنة ١٥١٨

مطلب
مبايعه كرويس بالملوكية
في قسطنطين

مطلب
بم اهل قسطنطين

سنة ١٥١٨

في سائر اقطار المملكة وكان الوزير شيوره مودب كرلوس قد صار عنده
بمنزلة ابيه حتى كان لا يتكلم ولا يحكم بشئ الا بموجب ما يقتضيه رأى هذا
الوزير وكان دائما لا ينطق عنه امرآة القلنك بحيث كان لا يمكن لاحد من
اهل اسبانيا ان يدفونه الا بانهم ولا يكلمه الا بحضورهم ولما كان لا يعرف
من اللغة الاسبانية ما يكفي كان اذا سئل عن شئ يجيب بجواب قصير جدا
وفي الغالب لا يحسن العبارة في الافصاح عن مقصده فظن معظم
الاسبانيولين انه بطي القهم فاصر المذهن وزعم بعضهم ان يثنيه وبين امه
شبا عظيما حتى اخذ الناس يقولون فيما بينهم انه لا يصلح لادارة المملكة اكثر
منها واما الذين وقفوا على حقيقة طبعه فلم يأخذوا بنظر حاله بل عرفوا ان له
معارف غزيرة وفطنة كبيرة الا انهم اتفقوا كغيرهم على انه عييل لاهل القلنك
لكنهم ابنا وطنه لاسجلوندا مؤمنهم ولكن لسوء حظ كرلوس كان جميع من
معه من الامرا القلنكيين غير جديرين بوقوفهم وركونهم اليهم لانهم كانوا
لا يحبونه محبة صادقة ولا يملكون مسلك النصح في مصالحه بل كان مطمح
بقلوبهم جمع الذهب وكانوا يخشون ان يدرك كرلوس حقيقة حالهم او يفضب
منهم الاسبانيوليون فيكون ذلك سببا في حرمانهم من شوكتهم وقوذ
كلهم في اسبانيا خكافوا اذا وجدوا فرصة يتعدون الحدود في السلب
واكل اموال الناس لانهم كانوا لا يطعمون ان يبقوا راضا طويلا على صولتهم
وقوذ كلهم فكانت جميع المناصب الرفيعة والوظائف الشريفة والانعامات
لا يحصل بها الا لاهل القلنك او من يشتريها منهم على رؤوس الاشهاد وكان
شيوره وزوجته والامير مواج الذي لم يصب كرلوس في توليته
فجباير قسطنطية بعد موت اكريمينيس يتسابقون الى كل ما كان فيه
ازدياد هذا الاختلاس واتساع دائرة بيع المناصب وما اشبهها ولهدى كرهذه
الحوادث المورخون الاسبانيوليون دون غيرهم حتى يتوهم عدم صحتها
او يقتضون مبايعة المورخين بل ذكرها المورخون الاجانب فقي مكاتبات
المؤلف بطرس مارتيز انكلوبيا الذي كان وقتئذ يدوان اسبانيا مبايعة

زائدة في وصف شره الفلنكين وطمعهم يستبعدا العقل كل الاستبعاد مع
انه لم يكن ثم سبب يحمل هذا المولف على ارتكاب الكذب في مراسلاته وتدوين
اشياء ليس لها وجود وقد قال المولف المذكور انه في ظرف عشرة ايام قتل
من اسبانيا الى مملكة البلاد الواطية من الدوقات (منصف معاملة) مليون
ومائة الف ~~فاه~~ وهذا الحادثة اخرى اغضبت اهل اسبانيا اكثر من
جميع تلك النظم وهي تقليد غليوم دو كرواي وهو من اقارب شيوهر
منصب المطرانية على طليطلة مع انه كان شابا لم يبلغ السن الذي عينته
القوانين القيسية لمن يتولى هذا المنصب فظهر لهم ان ترقية هذا الامير
الغريب الى هذا المنصب الذي هو اعلا المناصب الدينية بمملكته واعظم
مناصب بلادهم على الاطلاق ايرادا وثرورة محض ظلم واجفاف بل وفيه تزدليل
للملة الاسبانية واهملت المصلحة او البغضة كلا من القيسيين وامراء

اللايين على المعارضة في هذا الشأن

ثم سافر كرلوس من مملكة قسطنطينية وتزل اهلها في غم شديد يشكون من
ادارته وتوجه الى مدينة سراغوسة ليجمع فيها مشورة وكلاء المملكة
فاجتمع في مقره باخيه فرديند وكان يريد ان يعطيه عن ممالك اسبانيا
بوجه حسن فتعلل بان جدهما مكسيليان منشوق الى رؤيته ومشوف
الى مقابلته وارسله الى بلاد المانيا ولاريد ان هذا الاحتراس عظيم ناشئ عن
الحزم وسداد الرأي لانه لولا هذا الاحتراس لقد كرلوس جميع ممالك
اسبانيا لانه بعد سقر الامير فرديند بقليل حصلت ببلاد اسبانيا قتل
واقتلابات مهولة بحيث لم يشك احد في انه لو كان فرديند موجودا اذذاك
لاعطاه الاسبان وليون تاج مملكته لانهم كانوا يحبونه حبا جادا ويميلون
اليه كل الميل وكان فرديند طماعا بحيث لا تأذنه نفسه مع اشارة خاصته
عليه ان يعرض عن التاج اذا عرض عليه

وكان الاراغونيون الى ذلك الوقت لم يقرروا كرلوس ملكا عليهم ولم تجتمع
مشورة وكلاء المملكة بامره ولا باسمه بل اجتمع باسم الجوستورا

مطلب

جمع كرلوس مشورة وكلاء
مملكة اراغون

مطلب

كون توفى الاراغونيين
في هذا الشأن وعصيانهم
اكثر من القسطنطينيين

سنة ١٥١٨

(اي القاضي الاعظم) لان هذا الحق كان من خصوصياته ومن ايامه مدة خلوا
السكرسي الملوكي عن يشغله ولما انعقدت هذه المشورة واجتمع اربابها
وعرض كرويس عليهم ان يباعدوا على الملوكية انكروا عليه ذلك ونازعوه
اكثر من ارباب مشورة وكلاء قسطنطينة لكنهم بعد مدة طويلة في المنازعة
وعدم التسليم نال منهم ذلك على ان تشركه فيه امه حاته وكان ذلك منهم
بعد ان اخذوا عليه موثقا على رؤوس الاشهاد انه لا يترك حرمة الاراغونيين
ولا يبعده على ادى شئ من حقوقهم ومن ايامهم كاهي عادتهم مع كل من تولى
عليهم وقد توفوا ايضا غاية التوقف حين طلب منهم كرويس مبلغا على
سبيل التبرع كما طلب من مملكة قسطنطينة فانهما طلب منهم ذلك مكث
ارباب مشورة وكلاء المملكة عدة اشهر وقوسهم لانحسار باعطائه هذا المبلغ
فانقلب نفعه للملكة ونصرفه في ديون التاج فتضاومته تلك الديون
التي كانت قد تنوسبت منذ زمن طويل بحيث لم يبق منه للملك كرويس
الا مبلغ قليل ولما شاهد اهل اراغون ما حصل في قسطنطينة صاروا
في حذر عظيم واحترسوا بقدر ما يمكنهم وجعلوا يدافعون عن بعضهم لما رأوا
ان المحافظة على حقوق ابناء وطنهم وما يدعونه من المزايا والخصوصيات
مهما كانت اولى من كونهم يسلمون للغرباء في امور مملكتهم فيسلبون اموال
وطنهم كما فعلوا بمملكة قسطنطينة

وفي انشاء انعقاد المشورة بمدينة سراغوسة اتت رسل الملك فرنسيس
الاول ورسل ملك توار الذي كان شابا الى تلك المدينة ليطلبوا
من كرويس ان يتخلل عن مملكة توار كما هو مقتضى الشروط
المتفق عليها في المشاركة التي انعقدت بمدينة بوابون ولكن لما كان
كرويس لا يريد تسليم هذه المملكة فوض الامر في شأنه لاشراف قسطنطينة
فلم يرضوا به وبعد مدة حصلت مذاكرة بين القريطين في مدينة مونتيلييه
(احدى مدن فرانسوا) لاجل انتهاء هذا الامر بالتي هي احسن ولكن كانت هذه
المذاكرة طائلة تحتها ولم ينشأ عنها اتفاق بين الاسبانوليين والفرنساوية

سنة ١٥١٨

سنة ١٥١٩

لان رسل القرساوية كانوا يتعللون بان عدم تسليمها لاصحابها من محض
التعدي والظلم واما رسل اسبانيا فلم يفتروا الا الى عظم تلك المملكة فتفق
على قبولهم تسليمها

ثم سافر كرويس من مملكة اراغون الى مملكة قشالونيا فكث فيها
ابضاز مناوئو بلا واعلمها بمنعوتهم من مبايعته وما اخذ منهم من النقود كان
اقل مما اخذ من مملكة اراغون هذا وكان اهل اسبانيا يبغضون
الملكيين لما ارتكبه من الظلم والاختلاس في سائر اقطار الاسبانية
لا سيما وكافوا اصحاب حرية وعزة نفس فلم يطيعوا ان يضع الاطاب في بلادهم
على ما تقتضيه شهواتهم النفسانية واطعامهم الفاحشة فبدلوا جهدهم
فيما يكون به اتعاذ بلادهم من اختلاس هؤلاء الاغراب وظلمهم

ولما اشتد ظلم الملكييين في قسطنطينية صمم اهلها على ان يتركوا الاهمال الذي
انضم اليهم في امور شنيعة وجعلهم محقرين عند غيرهم من اهل اسبانيا
وتعاهدت مدينة سيقويا ومدينة طليطلة ومدينة اشيلية
وعدة مدن اخرى من اكرمدائن قسطنطينية على المدافعة عن حقوقها
ومن اياها ومع ان الاشراف قد لزوا السكوت في هذه القرصة ولم يبذلوا
جهدهم كما كان يؤمل منهم كتبت المداآئ المتعاهدة للملك تقرر رايت فيه
على وجه التفصيل ان المملكة في اسوء حال لتقم ادارة ندمائه الملكييين

وكان موضوع هذا استقرير هو التشكى من تقليد الغرباء بمناصب اسبانيا
وتقل اموالها بالبلاد الملك وزيادة الجرائم والغرامات وطلب من الملك
ان يصفها في هذا الاشياء ودقت في ذلك غاية التدقيق وتجاوزت كل الجسارة
حتى قدمت هذا التقرير راو لا للملك في مدينة سراغوسة ثم في مدينة
برشلونة فلما بعث الملك به اغتاظت المداآئ المتعاهدة وتعصبت مع بعضها
على الملك وترتب على ذلك في مملكة قسطنطينية المعاهدة الشهيرة بمعاهدة
الجميحات البلدية ونشأ عن تلك المعاهدة في ممالك اسبانيا اختلال عظيم
وقتل كبير حتى تزلزل الكرسي الملوكي واضطرب وكادت صورة اسبانيا تتغير

سنة ١٥١٩

مطلب

موت الامبراطور
مكسليان في ١٢ من
شهر كانون الثاني

بالكلية ونسخ ترتيبها الذي كانت عليه
ولم يمكث كرولس مدة قليلة بمدينة برسولونه الاوبطغه وقوع حادثة
مشؤومة تأثر بها اكثر من عساكر القبطيلين ووقعت مشورة ملكة
قناتونيا معه وامتناعها من اعطائه ما يطلبه منها وتلك الحادثة هي
موت جده الامبراطور مكسليان ثم لم يكن موته في حداثه عظيم امر
لانه لم يكن صاحب شوكة ولا فضل ومعارف حتى يتأسف على قتله
الا انه ترتب عليه عواقب شنيعة صار بها من اعظم الحوادث التي ذكرت
في تاريخ القرون المتأخرة وذلك لانه نشأ عنه تفكير الهدوء والصلح العام
الذي كان يلاذ الا فرج وترتب عليه أن صار بين فرنسيس الاول و كرولس
عداوة وبغضاء نشأ عنها تفكير اوربيا بتمامها حيث اضطرت في انيران
حروب مهولة عمت معظم ممالكها وطلت مدتها اكثر من سائر الحروب
التي حصلت في عهد جمهورية الرومانيين

وكانت الثقلبات والفتن التي تسببت عن اغارة كرولس الثامن ملك فرانسا
على بلاد ايطاليا قد اذهمت ملوك اوربيا اهمية المنصب الامبراطوري
(منصب امبراطورية المانيا) وذلك ان الامبراطورية الالمانية كانت تدعى
ان لها حقوقا في بعض الممالك ايطاليا وان لها التصرف المطلق والسيادة
والولاء على بعض آخر ثم ان الامبراطرة الذين كانوا قليلي المعارف والشوكة كانوا
لا يدعون تلك الحقوق وكانوا لا يستعملون تلك السيادة الا نادرا ولكن كل
من المعلوم انه متى حكم في المانيا امبراطور ذو شوكة ودها وحزم ونهى
واجتهد في هذا الشأن ينجح كل النجاح ويدخل تحت حكمه معظم بلاد
ايطاليا ومع ان مكسليان كان ضعيف الشوكة كثير التردد في المشروعات
عرف أن يجلب لنفسه فرائد جليلة من جمع الحروب والمشارطات التي
حصلت في ايطاليا مدة حكمه هذا وكان رئيس الامبراطورية الالمانية
له الكلمة على سائر ملوك النهباري وكان للمنصب الامبراطوري حقوق
عظيمة لاسيما اذا كان المنصب المذكور بيد امبراطور ماهر يمكنه احياؤها

سنة ١٥١٩

وتضيد هافاتها تزداد عظما وروقا وتلك الاسباب كان هذا المنصب
جديرا بان يكون مطمح انتظار ملوك الافرنج وميدانا تتسابق فيه

اطماعهم

ثم ان الامبراطور مكسييليان كان قبل موته بمدة تقبّل جهده في ابقاء
المنصب الامبراطوري لعائلة الاوسترياسي في ان يجعل خفيه كرلوس
ملك اسبانيا خليفة في الامبراطورية ولكن حيث كان من الشروط المقررة
وقشتان البابا هو الذي يتوج الامبراطور في محل عام وكان مكسييليان
لم يتوجه البابا كان معتبرا انه امبراطور ولي بطريق الانتخاب لا غير
ولم ينه احد من المؤرخين على ان هناك فرقا بين امبراطور توجه البابا
وامبراطور ولي بطريق الانتخاب ومع ذلك فلم يثبت لمكسييليان في كل
من ديواني ايطاليا و المانيا سوى تلقية بملك الرومانيين وحيث لم يثبت
في التواريخ ان ملكا من ملوك الرومانيين قد جعل له قبل موته خليفة يجعل
عنه في الحكم وكان اهل المانيا يحترمون قوانينهم ورسومهم القديمة
ايوان يمكنوا كرلوس من هذا المنصب حيث لم يكن له فيه اسم مقيد في قوانين
الامبراطورية وامتنعوا كل الامتناع عن تنفيذ اغراض مكسييليان في هذا

الشان

ولما مات مكسييليان جدد كرلوس نفسه في طلب المنصب الامبراطوري
الذي اهتم جدّه قبل موته في اثباته له ولم ينجح وبارزه في طلبه الملك فرنسيس
الاول وحصلت بينهما مصادمة ومخاحمة عظيمة صارت مطمح انتظار ملوك
اوروبا لعظم مقام المتدابين الى هذا الغرض واهمية ما كانا يتطلبا به فكان
كل منهما يسعي في تحصيل هذا المنصب بثبات قلب كانه متيقن النجاح في سعيه
فاما كرلوس فكان يرى ان المنصب الامبراطوري منذ زمن طويل لم يخرج
من عائلة الاوسترياسي فهو حق ثابت له بطريق الوراثه لاسيما وكان لا يرى
في الامبراطورية اميرا صاحب قوة وشوكة ينازعه فيه وكان يعلم ان اهل
المانيا لا يرضون بترقية ملك اجنبي عليهم حيث ان المنصب الامبراطوري

مطلب

سعي مكسييليان في اثبات
التاج الامبراطوري
لخليفه كرلوس

مطلب

سعي كل من كرلوس
وفرانسيس في نيل
المنصب الامبراطوري

مطلب

دعوى كرلوس في شأن
المنصب الامبراطوري
ووجه طمعه في التاج

سنة ١٥١٩

منذ قرون عديدة لم ينتقل الى غيرهم لاسيما وفرنسيس الاول زيادة على كونه
اجنبيا منهم كل له اسباب اخرى تمنع من صلاحيته لان يكون اميراطورا
في المانيا منها ان رعاياه الفرنساوية كانوا سبائين لاهل المانيا
في العوايد والاخلاق والحكومة بحيث لا يمكن التأليف بين قلوب هاتين
الامتين هذا وكان كرلوس يأمل ان ما عسره مكسبيليان قبل موته
في شأنه ان لم ينجح فقد اتى ذكر كرلوس في اذهان الامراء المتخفين وثم امر
اخر كان يقو به في طلبه للتاج الایمراطوري وهو ان دولة الوراثية في المانيا
كانت حارزا حصينا تحمي اميراطورية المانيا من اغارات الدولة العثمانية
التي كانت تخشاه وقتئذ جميع عمالك اوربا وكان السلطان سليم الثاني
بفتوحاته العديدة الكبيرة ومعارفه الغزيرة والطامعة قد اوقع العرب في قلوب
الملوك الافريقية لانه هزم دولة المماليك ومحضهم عن آسره وضم بلاد مصر
و الشام الى دولته فحصل من ذلك الوقت في الدولة العثمانية اضطشان عام
وخلت عن التقن والتعكيرات الداخلية حتى كان يمكن لهذا السلطان الماهر
ان يشن الغارة على جميع ملوك الافريق ويوجه اليهم جيوشه التي كانت الى ذلك
الوقت تقطر حينما واجهت ولا يمكن لاحد من الملوك مصادمتها ومقاومة
قواها التي كانت لا تسلك ولا تقترظ بكن هنالك واسطة في حامية الایمراطورية
من قوى هذا السلطان التي كانت كسيل العزم احكم واتقن من كونهم يولون
على الایمراطورية ملكا مثل كرلوس له دول واسعة في البلاد الالمانية
التي كانت اذئذ عرضة لاغارات الدولة العثمانية بل وكان لا يصلح احد لذلك
اكرمه حيث كان قوى الشوكه فيمكنه عند الضرورة ان يقاتل جيوش
الاسلام بقوة عزم ونيات جنات لكثرة عساكره وامواله التي كانت ترد له من
محصولات معادن الدنيا الجديدة (امريكة) ومن تجارات البلاد الواطية
فهذه هي الاسباب التي كان كرلوس يعضدها مقاصده في شأن الاستيلاء
على الایمراطورية وقد استحسنها اولو العقول الزكية والاراء السديدة
بل ورواها انهارا هين قاطعة لا يمكن خدشها بشئ ومع ذلك فلم يقتصر هذا الملك

سنة ١٥١٩

على تلك الاسباب القوية بل اخذ يستميل عقول ارباب الحل والعقد في هذا الشأن بمبالغ جسيمة من الاموال حتى لم يبق شئ الاوفعله لاجل الظفر بمقصد و اخذ سرا على طرفة الجيش العظيم الذي كانت رتبته مشورة وكلاء اقليم سوابه وبالجمله قد استمال بالهدايا النفيسة عقول من يبيع عرضه قبول الرشوة وحل بذلك كل مشكل قوى واماضعاء الناس فانه اخرس السنتهم بالتصنيف والتهديد

مطلب

الاسباب التي بنى عليها
فرنسيس دعواه

واما فرنسيس الاول فكان ايضا يذل جهده مثل كركوس في اخذ المنصب الايمراطوري ويأمل النجاح والظفر فاذا عرسله الذين بعثهم سرا الى المانيا انه يجب على من يحب مصلحة الايمراطورية ان يفهم امر آة عائلة الاوستريا ان النجاح الايمراطوري اتصالي لا ورائي بمعنى انه يجوز لغير امر آة تلك العائلة ان يطلبه ولا يلق ان يبلغ من سفها وحققها ان تعتبره كانه متاع من امتعتها او شئ من املاكها لانه ربما لم يكن في امراتها من يصلح له وانه يلزم للايمراطورية ملك يكون بكبرسه قدرته له ملكة وصار له دراية وخبرة بكثرة تجاربه حتى يمكنه ان يتقن حكومة تلك الايمراطورية التي كانت وقتئذ في اضطراب واثقاب بسبب المذاهب الدينية الجديدة التي كانت متولعة بها عقول بعض الناس وكان يخشى ان تصير لها عاقبة مشومة شنيعة واذا عوا ايضا ان كركوس حيث انه صغير السن قليل الخبرة لعدم تجاربه وممارسته للامور ولم يظهر منه ما يدل على براعته في القنون الحربية لا يمكنه ان يقاوم عدوا مثل السلطان سليم الذي قضى عمره في الحروب وتغن من فتونها واتصر في غزوات عديدة ولا تصعب مقاومة هذا السلطان الجسور الذي فتح بلاد اسيا على ملك مثل فرنسيس ارغم في صغره اوف السويسين وقتل بجيوشهم مع انهم كانوا اهل ضبط وربط ودراية تامة بالعسكرية حتى كان لا يظن احد ان ذلك الوقت انه يمكن لاي ملك كان ان يقهرهم ويظهر عليهم فاذا حكم فرنسيس في الايمراطورية وضم الخيالة الفرنسية المشهورة بالشجاعة والشهامة الى القسراية الالمانية المشهورة بالضبط والربط

سنة ١٥١٩

والثبات تأتاه من مجموعهما جيش عظيم يزرع منه العدو وبذلك يمكنه عند اقتضاء الحال ان لا ينتظر الجيوش العثمانية حتى تأتي الى بلاده بل يبادر بالانغارة عليهم في بلادهم واذا عوا ايضا ان تولية كركوس على الامبراطورية مخالفة لقانون من قوانينها الاصلية وهوان كل ملك كانت يده مملكة نابلي لا يجوز له ان يحكم على الامبراطورية لاسيما و كركوس يتطلب دوقية ميلان فلا بد وان يحصل بينه وبين ايطاليا حرب عظيم فاذا اتى على الامبراطورية ربحا بر ذلك الحرب الى اضرارها وصارت عواقبه مشؤمة عليها

وبما كانت رسل فرنسيس الاول تبدي هذه الاسباب وما اشبهها في جميع دواوين المانيا اذ بلغ هذا الملك ان توليته على الامبراطورية فيما عسر لكونه اجنبيا عن ديارها ولا يعرف لغتها ولا اخلاق اهلها وعوايدهم فاخذ يبذل جهده فيما تكون به ازالة تلك الموانع وجعل يستميل ارباب العقد والحلل بالهدايا العظيمة والوعود الجسيمة ولين الكلام وزخرفة القول وحيث ان اوراق الحوالات لم تكن معلومة وقتئذ صار رسل فرنسيس يسافرون من بلدة الى اخرى ومعهم قطارات من الخيل محملة بالذهب ولاشك ان هذا الاجر مما يوجب العار والفضيحة لباذلها وقابلها

وكان ينبغي للملك اوروبا الاخرى ان يدخلوا واسطة في هذا الشأن الذي له سرمان عظيم وتأثير كبير في مصالح ممالكهم حيث ان مصلحتهم العامة كانت تقتضى ان تعصبوا مع بعضهم على هذين الملكين المتطلين للامبراطورية لانه ان ولي احدهما عليها تقوى شوكته وازدادت صولته حتى يخشى منه اضعاف حرية اوروبا باجمعها ولكن لم يمكن لاحد منهم ان يعرف حق المعرفة انه من الضروري اللزم لتحصيل الراحة والامن العالم ان يكون هناك ميزان تعادل بين قوى الممالك وبعضها بحيث لا يتعدى القوى منها على الضعيف لان اذا هانم اذذاك كانت لم تصل الى معرفة اهمية هذا التعادل لانه لم يندرج في مذاهبهم السياسية الا قبل تلك الحادثة بمدة قليلة هذا وكانت الاغراض متسلطنة على نفوس بعضهم وكان البعض الاخر عاجزا عن ادراك العواقب

مطلب
آراء ملوك الفرنج الاخرين

سنة ١٥١٩

والتبصر فيها لاسيما وكان منهم من يخشى ان يغضب احداً من الملوك المتطلين
للايمراطورية فلم يأخذوا في شيء من اسباب تلك العصبية او المعاهدة التي
كانت لازمة لتحصيل الراحة العامة ومن جلتها نفسه منهم على ان يكون واسطة
في هذا الشأن لم يبذل جهده كما ينبغي ولم يعتن به كل الاعتناء

مطلب
آراء الحريين

فاما اهل السويد فكانوا يخشون ان يرقى فرنسيس او كرويس الى
المنصب الايمراطوري و يرغبون في تولية ملك آخر يكون ضعيف الشوكة
قليل المالك والاراضي ولكن كانوا يفضلون الفرنسيون فبذلوا جهدهم
في تعطيل مقاصد فرنسيس وفساد مآذيره وأبدوا ان الاصوب تولية
كرويس على الايمراطورية

مطلب
آراء اهل جمهورية
البنادقة

وكذلك اهل البنادقة كانوا يرون ان مصلحةهم تقتضي ان يمنعوا كلاما من هذين
الملكين عن الاستيلاء على الايمراطورية ولكن كان بغضهم لعائلة الاسترسي
اكثر واشد لطمعها ولان مجاورتهم لهم كانت مشؤومة عليهم حيث اضررت
بعظم جمهوريتهم ونخاردولتهم فعدلوا عما كانت تقتضيه اصول السياسة
وقتشوا بادروا بالدخول في حزب ملك فرنسا

مطلب
آراء هنري الثامن

وكان هنري الثامن ملك انكلترا مقتدرا اكثر من غيره على منع كل من
ملك فرنسا والملك كرويس من الاستيلاء على هذا المنصب الذي يفوق
صاحبه سائر ملوك الافرنج ولكن مع ان هنري المذكور كان يقصر
غالباً بانه ميزان التعادل يلاذ اوربا لم يكن جامعاً لما يستدعيه هذه
الوظيفة من التبصر وادراك العواقب واصابة الرأي والتؤدة والمزحم فلم يستطع
ان يكتب بدون تصدق لهذا المنصب الايمراطوري بل يادرمع من يطلبه فكان
ثالث الاثنين المذكورين الذين كانا مطمح نظر ملوك الافرنج وبعث رسولا
من عنده الى بلاد ألمانيا لطلب التاج الايمراطوري فتلقاها امرأ ألمانيا
بالتبجيل والاکرام وكذلك رسول الياپا قابله باسنى التسليم والاحترام
ولكن لم يتيسر له شيء في شأن تولية سيده على الايمراطورية فبعد مدة قليلة كتب
اليه لم يجهد وسيلة في ذلك وان طلبه لهذا الغرض قد جاء في الزمن الاخير

سنة ١٥١٩

فلما وصل كتابه الى هنرى صدق ان تأخير هو السبب في عدم نجاحه وانه
لولا ذلك لم يحظه غيره والظاهر انه من وقتئذ ضرب صفحا عن هذا الفرض
حتى انه لم يتعرض فيما بعد لمنع كل من الملكين المذكورين عن الاستيلاء على
الايمراطورية ولا المساعدة احدهما على الآخر

واما البابا ليون العاشر الذي اشتهر بمعارفه السياسية وولعه بالشؤون
فهو الذي لاحظ دون غيره حركات كل من فرنسيس وكرويس ملاحظة عالم
ماهر يتمكن من الاسباب والمباني وهو الذي رأى عليه انه في حيرة عظيمة
من خوفه على قعد الاطمئنان والراحة من بلاد اوربا وهذا كانت احكام
البابا واحكام الايمراطور تتعارض في امور شتى وكان كل منهما يتعدى
على حقوق الاخر فكان البابا لا يأمن على اراضي الكنيسة الرومانية
الا اذا كانت شوكة من يجواره ضعيفة فكان لا يفيض اليه من ان يتولى على
الايمراطورية ملك ذو قوة كبيرة وقرية غزيرة فحصل عنده قلق عظيم خيفة
من تولية احد هذين الملكين فكانت نفسه لا تطيق ان يعطى كرسى الايمراطورية
لملك كرويس لانه كان ملكا على اسبانيا و نابلي والديا الجديدة
فكانت شوكة عظيمة لا تدوم معها. وكه الكنيسة الرومانية وكان يرى ايضا ان
من الخطر عليه وعلى كنيسته تولية فرنسيس حيث كان ايضا قوى الشوكة
فكان ملكا على فرنسا ودوقا على ميلان وملكهم جنويرة قادرين
هذا البابا ان تولية كل من هذين الملكين على الايمراطورية يضر بالكنيسة
الرومانية كل الضرر ويجسر الى سقوط استقلالها وحريتها فيفكر على بلاد
ايطاليا بل ويمكن انه يضر بحرية اوربا كلها ولكن حيث كان هذان
الملكان ذوي شوكة قوية وبطش شديد بحيث لا يأمن من عاداهما اذ كان
يمكنهما الانتقام منه بطرق مختلفة رأى البابا ليون انه لا بد لهذا الامر
عن اتخاذ والحزم فاستعمل كلام هاتين الوصيتين واخسر ايما امراء
المانيا على كونهم يخفون اميرامن بينهم ويجعلونه على الايمراطورية حيث
ان فهم كثيرا عن يمكنه ان يقوم بادارة مصالحها ويوفى بها حق التوفيق

وذكرهم بان كروس لانسوخ وليته على الايمراطورية بموجب القوانين
والرسوم القديمة لانه ملك على نابلي ومن كان بيده تلك المملكة لا يجوز له
ان يتقلد بالمنصب الايمراطوري هذا وكان يحرض فرنسيس على التثبت
في مقصده ولم يكن قصده بذلك نجاح فرنسيس اوانه كان يجب له ذلك
ترجيحه على كروس بل كان ذلك منه سياسة وخديعة لانه كان يعلم علما
يقينيا ان اهل المانيا يرجحون الملك كروس عن فرنسيس الاول
فكان يأمل انه اذا حث فرنسيس على تطلب الايمراطورية ودقق
فرنسيس ورأى ان اهل المانيا يرجحون كروس عليه يبدل غاية
جهده في اعطاء التاج الايمراطوري للملك آخر غير كروس واذا اتفق
ان فرنسيس هو الذي يجيد المساعدة والاعانة ورأى كروس انه لا يمكنه
الاستيلاء على الايمراطورية يسعى بلا شك في اعطاء تاجها للملك آخر غير
فرنسيس واعتقده بهذا الوجه ينجح في خداعه ويحرم كلا منهما من
الايمراطورية ولا ريب ان مقتضيات الاحوال كانت اذ ذلك لانسوخ البابا
ان يسلك في هذا الغرض غير تلك الطريقة فذبرها مع غاية من الحزم والحذق
الان اجراها لم يكن على ما ينبغي من انتيظ والتباهة وذلك ان الرسل
الفرنساوية كانوا يلاهم سيدهم ويقولون امله بان المنصب الايمراطوري
يثبت له واخذوا ايضا بقل وكيل البابا حتى نسي ما اوصاه به سيده واستمر
فرنسيس يدقق في كونه هو الذي يتولى على الايمراطورية دون غيره ولم يقل
باعطاء المنصب الايمراطوري لاحد غيره او غير غيره قصدت آمال البابا لليون
وخاب سعيه

مطلب
انعقاد مشورة الديت
في ١٧ من شهر حزيران

هكذا كانت آمال الخصمين وآراء الملوك الاخرين الذين كان لهم ما رب
تدعوهم الى التوسط بينهما حين انعقدت مشورة الديت اى العموم على
حسب العادة في مدينة فرنكفورت لان الحق في انتخاب الايمراطورية كان
منذ زمن طويل ثابتا بالسبعة اهرآة معتبرين يقال لهم متخبون بضم الميم
وكسر الحاء المحجمة وقد ينشأ في الاتحاد اصل انشاء هؤلاء المتخبين وبينما

سنة ١٥١٩

مطلب
اراء الامراء المنتخبين

صولتهم ووطنيتهم وما يتعلق بها وكان المنتخبون وقتئذهم الامير ألبرطة
دوبرندبورغ مطران ميانسه والثاني هرمان قوتة وسيد وكان
مطران تريوس والرابع لوز ملك جه والخامس القوتة لوز
وكان قوتة بالاطيبياى صاحب اطيان واملا على نهر الرين والسادس
فريدريك دوق سكس والسابع جاثم الاول من كيز برندبورغ
فاخذ حينئذ رسل المالكين المتقدمين بيدون علا واسيا بامنية الظاهر
فاسدة الباطن ويتوقعون بين ايدى المنتخبين ويكثرون لهم من الهدايا
النفيسة ومع ذلك لم يفس المنتخبون امر اسمها عندهم بعذونه اصل الحزبية
القوانين المبني عليها ترتيب الاميراطورية وذلك الامر هو ضعف شوكة
الاميراطور لان الجمعية الجرمانية كناية عن جمهورية كبيرة مستقلة على عدة
دول تكاد كل دولة منها تكون مسفدة بنفسها جميع اعضائها يحبون ان تكون
شوكة الاميراطور ضعيفة حتى لاتضع حقوقهم ومزاياهم وهذا الامر
كان موافقا لطبيعة الحكومة الاميراطورية ولازماتها لزوما ذاتيا حتى
ان ارباب السياسة من اهل المانيا كانوا لا يملكون فيه ولا يتحولون عنه باى
وجه كان ولذلك مكنت الاميراطورية عدة قرون من غير ان يولى عليها امير
يكون قوى الشوكة او تكون له اراض وعمالك واسعة ولولا هذا الامر لما نبي
عدة من عائلات المانيا الاعيان يتمتعون باستقلالهم ومزاياهم التي
اكتسبوها في طرف تلك البرهة الطويلة وحيث كان الامر كذلك رأى
المنتخبون ان توليتهم لاحد هذين المالكين تفضي بهم الى التبع والنعيب حيث
رأوا ان تولية احدهما كناية عن اعطاء الاميراطورية ليد يتصرف فيها كيف
شاء لارئيس تكون افعاله مقصورة على ارادة ارباب الحل والعقد في الدولة
ورأى المنتخبون ايضا انهم يصيرون كأحد الرعية بعد ان كانوا في رتبة

الاميراطور

مطلب
عرض المنتخبين الشايج
الاميراطورى على الامير
فرديريك دوق سكس

وبتلك الاسباب صرف المنتخبون النظر عن كل من كرولس و فرديس
وجعلوا مطمح نظرهم فريدريك دوق سكس وكان اميرا صاحب

معارف وآداب قد استوجب المدح والثناء الجليل من اهل عصره حتى كان
جديرا بان يقب بالحكيم العاقل واجعوا جميعا على اعطائه التاج
الايمراطورى الا انه سارمه وعقله لم يستمر وبق هذا التاج وبهيمته ولم يبادر
بقبوله كالتلف الذى لقره لا يتبصر فى العواقب لان هذا الامير كان يرى
ان هذين الملكين اللذين هما اقوى منه شوكة واعظم منه صولة وبطشا
لا يسلطان له فى هذا التاج الذى كانا يجتذان فى طلبه فتوقف مدة ليتفكر
فى العاقبة ثم ابى ان يقبله فتعجب الناس من وفور عقله حيث ان عظم التاج
الايمراطورى وعلو شان المنصب الذى كانوا يدعونه اليه لم يمنعه عن التبصر فى
العاقبة ورأى ان ضيف شوكة الايمراطور مع انه من عدة وجوه يعد من الامور
الصائبة المبنية على العدل الا ان عدم التحول عنه فى جميع الاحوال ليس من
الصواب بل لاشئ اكثر منه مخالفة لمسن السياسة والادارة فكتب فى رده
يقول فى زمن الامن فحتاج لايمراطور ضعيف الشوكة حتى لا يتعدى
على حقوقنا ومن اياما وامانى زمن خوف الحرب والهن فلا يد لنا من
ايمراطور قوى الشوكة شديد البأس حتى تكون فى أمن وامتنان وهما هى
الجيش العثمانية تصطف الان تحت لواء سلطان ماهر ذى بطش وقتل
قد تقوى عزمه بنصرته فى غزوات بجة ونظفه فى مشروعات مهمة وتتأهب
لان تغير على المانيا مع قوة لم يسبق مثلها فى القرون الخالية والاعصر
الماضية ولا شك ان لكل زمن مقتضيات مخصوصة تستلزم امورا جديدة
وتتطلب ما كان من الامور الضرورية معتبرا ومعدودا وبناء على ذلك يلزم
اعطاء التاج الايمراطورى للملك يكون اقوى منى شوكة وانته منى بطشا
وامانا فلا قدرة على تحمل اعباء الايمراطورية لانها ثقيلة على وعلى غيرى
من امراء المانيا حيث لم يكن لنا اراض واسعة ولا ابرادات جسيمة
ولا شوكة عظيمة تكفى فى مقاومة العدو اقوى البطش الذى يفضى منه الاغارة
على بلادنا وعلى كل حال فالتنا المراهنة تستلزم ان نمطى التاج لاحد الملكين
السابقين وهما فرنسيس وكارلوس فقد انحصر الامر فيما لان غيرهما

عقله
استناعه من قبول التاج

سنة ١٥١٩

لا يمكنه عند الاخطار ان يبادر بالجيش اللازمة لحاية وطننا والذب عنا ولكن
حيث ان كرلوس ملك اسبانيا قد ولد في المانيا بحيث يعد عضوا
من اعضاء الإمبراطورية ومن اممها بسبب الممالك التي ورثها فيها عن جده
مكسيميليان وبسبب ان بلاده متصلة بالاراضي الإمبراطورية التي يخشى
عليها من اغارات جيوش الاسلام اكثر من غير ما فيظهر لى ان استحقاقه في شأن
التاج الإمبراطوري مبني على اساس متين واصل مكين وانما ارى وليته على
الإمبراطورية انسب واليق من ولاية فرنسيس لانه اجنبي ليس منا
ولا يعرف لغتنا واما كرلوس فهو من دمنا ولحننا ومن بلادنا وبناء على ذلك
ارى ان التاج لا يعطى لسواه وهو مولود

ولاشك ان هذا الرأي الصادر عن مكارم الاخلاق والهمة العالية التي قل من
انصف بها من الرجال والمعضد بالبراهين المقبولة يكون له ثمرة عظيمة ولذلك
صار له موقع عظيم في قلوب المنتخبين فلما رأى كرلوس ان فريديريك
قد صنع مع سيدهم صنيعا جيلارسلوا اليه مبلغا جسيما من الاموال واخبروه
بان ملكهم سيكافئه اكثر من ذلك ولكن لا يخفى ان هذا الامير الذي اعرض
عن التاج الإمبراطوري لكرم نفسه لا يقدم على ما يوجب الدفاعة وتدنيس
العرض بقبول مثل هذه الهدايا وموافقهم على اغراضهم وذلك لانه ان قبلها
كان كانه باع رأيه بتلك الهدايا وهذا من اقبح ما يري بالمرءة والشرف فلم يقبل
شيئا منها فاخذ كرلوس اسبانيا يرجونه في ان يأذن لهم بتوزيع بعضها على
ارباب ديوانه فاجابهم بانه لا يمكنه منعهم عن قبول ما يعطى لهم لكنه يتردد
فورا من ديوانه كل من ثبت عليه انه اخذ منها ولو درهما واحدا

وحيث أبى فريديريك قبول المنصب الإمبراطوري وبين وجه عدم
صلاحيته له هو وسائر امراء المانيا ينس كل امير الماني من هذا
المنصب وانحصر في الملكين المتقدمين فوجب ان ينتخب واحد منهما ليتقلده
هذا وكان ثم اسباب تدعو لترجيح كرلوس كنسبه وقرابته ووضع دوله التي
ورثها عن آباءه وزيادة على ذلك كان رسله الذين بعثهم الى بلاد المانيا صادقين

مطلب

ودفريديريك للهدايا التي
ارسلها اليه رسل الملك
كرلوس

مطلب

ان عقاد مذكرة جديدة تبين
المنتخبين

سنة ١٥١٩

في خدمته باذلين غاية جهدهم في تنفيذ اغراضه واثبات حقه كيف لا وكان
 قبيحت الى المانيا الكرديتال دوعوركو والشهر ايراردولامرك
 اسقف ليجه فوفيا برساتهما على وجه اكسهما الشرف والفخار وابدوا من
 الحزم وحسن التدبير ما عجز عنه رسل الملك فرنسيس ولا غرو في ذلك
 فان دوعوركو مكث زمنا طويلا وهو وزير ونديم للايمبراطور مكسيليان
 فوقف على حقيقة اخلاق اهل المانيا وعرف كيفية المداولة معهم واما
 اسقف ليجه فكان الملك فرنسيس قد حرمه من المنصب الكرديتالي
 فلما لاح له تلك الفرصة صار يبدل جهده في تعطيل آماله واستعمل في ذلك
 جميع ما موله له نفسه الطماعة وحده على هذا الملك فن كان ارباب ديوان
 الانتخاب يميلون الى حزب كركوس شيئا فشيئا حتى ان وكيل البابا بعد
 ان مكث مدة طويلة وهو يعارض ولا يسلم في وليته رأى ان معارضة
 لاجدوى لها ولا طائل تحتها وان تولية كركوس لا يثمنها فبادر به فلما بيعت
 كركوس على رعايته وشموه بنظره حيث اذن له على سبيل النسيابة عن البابا
 ليون ان يجمع بين التاج الايمبراطوري وتاج نابلي مع ان ذلك لم يسبق
 لغيره وكان البابا يتعلل به في منع كركوس من الاستيلاء على الايمبراطورية
 ويدي انه ملك على نابلي فلا يجوز له الجمع بين تاجها والتاج الايمبراطوري
 حيث لم يثبت ذلك لاحد قبله كما هو مقتضى نص القوانين
 ولم يتم امر هذه المنازعة التي اوقعت حيثن بلاد اوربا في الحيرة الا في ثمانية
 وعشرين من شهر حزيران (سنة ١٥١٩) من الميلاد بعد موت مكسيليان
 بخمسة اشهر وعشرين ايام وكيفية انتهائها ان ستة اقصار من السبعة المتخبين
 انخطروا بهم على كركوس ملك اسبانيا واما السابع وهو مطران تريويس
 فلم يزل يدافع عن ملك فرانسوا ويبرهن على انه هو الخديرن بالمنصب الايمبراطوري
 فلما لم يجد توليته سيلا يتحول عما كان عليه اولوا ووافق الستة الباقين
 فعند ذلك ثبت التاج الايمبراطوري للملك كركوس بموجب اقرار هؤلاء
 السبعة ارباب ديوان الانتخاب

مطلب

انتخاب كركوس
 للايمبراطورية

سنة ١٥١٩

ومع ان المتخفين رضوا لعدة اسباب باعطاء التاج الایمپراطورى لكرلوس
ظهر عليهم الغم والحزن لانهم كانوا يحنون مولته وقوة شوكتها فاحذوا
يستعدون بجميع ما يحفظهم منه ويقيم بمعاها ان يقع من تعديده على
حقوق الجمعية الجرمانية ومن اياها الثابتة لهما من قديم الزمان وذلك ان هؤلاء
الامراء المتخفين منذ احزاب ماضية وقرون متوالية كانوا يلزمون
كل ايمپراطور عند توليته ان يقر تلك المزايا ويأخذون عليه الموائيق والعهود
ان لا يتعدى على شئ منها باى وجه كان ولما كان التاج الایمپراطورى لا يعطى
الامم لضعاف ليس لهم ما يخشون منه السطوة والبأس كاتساع الاراضى
وربحان العقول كان هؤلاء الامراء يرون ان التزام الملوك المذكورين
بمجرد المشافهة انهم لا يتعدون على مزايا الجمعية الجرمانية يكفى في صدقهم
واجتنابهم لكل ما يضر بحقوق تلك الجمعية ولكن لما كان كرلوس بمكانه
من الشوكة والصلوة رأوا ان الوعد منه مشافهة لا يكفى في امنهم على مزاياهم
فلو كرمه سلكا آخرا ليكفوا آمنين من بأسه وبطشه وحرروا قانونا
ينوافيه مزايا المتخفين وخصوصياتهم ومزايا امراء الایمپاطورية ومزايا
المدائن وسائر اعضاء الجمعية الجرمانية وذكروا ان المواد المذكورة في هذا
القانون لا يجوز للايمپاطور ان يتعدى على شئ منها ووضع رسل كرلوس
امضاءهم فيه على سبيل النياية عن ملكهم يعنى وضعوا عليه علامة الصحة
واقروه هو ايضا بنفسه حين لبس التاج الایمپاطورى ومن ذلك الوقت صار
المتخفون يلزمون كل من تولى ايمپاطورا باقرار تلك الشروط وبالجللة فهذا
القانون الذى هو كناية عن مشاورة بين الایمپاطور والرعية بعد الآن يبلد
المنايا كانه حاصر حصين بقى الاهالى من تعدى الایمپاطرة او كانه يعتبر
اعظم شرطة قانونية يأمنون به على حقوقهم ومزاياهم
وبينما كان كرلوس بمدينة برسولونه مشتغلا بما كان حاصله وقتئذ
من المعارضة حيث كانت منشورة وكلاء مملكة قسطنطينيا لاتسلمه في شئ
من المواد التى عرضها على اربابها ليتذاكروا فيها لاجاءه الخبر من مدينة

مطابق

اعلام كرلوس بانتخابه

ايمپاطورا

فرتكورت بان المنصب الايمراطورى قد تم له وانه ولى ايمراطورا بموجب
اراء المتخفين فعند وصول هذا الخبر اليه حصل لهن الفرح والسرور ما يقوم
عادة بنفس كل شاب طماع اذا فخر بما يترتب عليه تقوية شوكة وحظى
بمنصب عظيم يجعله فوق سائر ملوك عصره من ابناء جنسه ونظمت آماله
من وقتئذ بما رآه الفخار والمعالى التى شغلت فـكـر مـتـة حكمه وبـمـعرفة
احواله فى ذلك الوقت يقف الانسان على ازدياد الطماعه التى جعلت تاريخه
عامة تشوق اليه النفوس وترغب فى الاطلاع عليه

قد حصلت بعد ذلك بقليل حادثة وان كانت غير مهمة الا انها دلت على ما قام
بنفسه من الاقعة والشتم بسبب رقيه الى اوج المنصب الايمراطورى وتلك
الحادثة هى انه فى جميع الوثائق والاوامر الصادرة عنه بوصف كونه ملكا على
اسبانيا كان يلقب نفسه بلفظ ما جسته اى صاحب العظمة والزم رعايا مان
يلقبوه بهذا القرب الجليل حيث جعله علامة جديدة للتشريف والاحترام
وكان ملوك اوربا فى ذلك الوقت يلقبون بلفظ ألتيس اى علو الشان ولفظ
غراس فقط اى ولى النعم ولكن حيث ان الطبيعة البشرية تميل دائما الى ما فيه
شرفها وعلو مقامها اقتدى دواوين اوربا بدويان اسبانيا ولقبوا
ملوكهم بلفظ ما جسته وصار هذا اللفظ من ذلك الوقت دالا على علو الشان
ورفعة القدر حتى ان اضعف ملوك الافرنج فى عصرنا هذا صاروا يلقبون انفسهم
به واقوامهم لم يمكنه الى الان ان يفتح لقباً آخر اعظم منه واعلى شرفا ليقب به
قـمـه حتى يمتاز عن غيره

وكان من اللازم ان اهل اسبانيا يفرحون بارتقاء الملك كـلـوس الى
الكرسى الايمراطورى ويسرون بذلك كسر ورهبالا انهم كانوا يعلمون ان هذا
المنصب لابد ان يحرمهم من حضور ملكهم عندهم واقامته يلاذهم ويجعلهم
تحت حكم نائب من نوابه ومثل هذا الحكم فى الغالب لا يخلو عن الجور والظلم
فلحقهم غم شديد لذلك حيث كانوا يعلمون ان هذه الحادثة لابد ان تقضى بهم
الى سفك دماء ابناء وطنهم فى حروب لا مصلحة لهم فيها وان كنوزهم وخزائنهم

مطلب

غم الاسبانيين من هذه
الحادثة

سنة ١٥١٩

منفذ في مصالح غيرهم وان عقولهم ستغرق في لجج سياسات إيطاليا
و ألمانيا فيصيح هذه الاسباب وأوان تولية ملكهم كرلوس على
الإمبراطورية من المصادرات البينة التي تضر سيلاد أسبانيا وتذكروا
ما كان عليه أسلافهم من النجاعة وحب الوطن حيث منعوا في شورة
قبطية الملك ألقونس الحكيم عن الخروج من مملكته ليذهب الى
المانيا ويتوجه بتاج الإمبراطورية وظهور لهم اذ ذلك اذ ما يقتدى به
في مثل هذه الحادثة

ومع ذلك فلم يلتفت كرلوس الى ما لحق وعاباه لاسبانيوليين من الفهم والحزن
في هذا المعنى بل قبل التناج الإمبراطوري لدى اذ به لبقوتة البالا طبق
المسمى لوير في قل عظيم من امراء ألمانيا وقدمه اليه باسم الامراء
المنتخبين وظهر كرلوس انه يريد الارتمال في بلاد ألمانيا ليأخذ منصبه
الجديد لان ذلك كان من الضروري اللازم حيثما بموجب رسوم الجمعية
الرومانية وقوانينها لاجبور ان تجرى احكامه وامره في الإمبراطورية قبل
ان يسكنل بتاجها على رؤس الاشهاد في مثل عام

فلما اشتهر بين الناس ان كرلوس عزم على الارتمال في بلاد ألمانيا
ازداد غم الاسبانيوليين وذاطن الحزن على قلوب اهل المملكة على
اختلاف طوائفهم حتى اذ البابا ليون كان قد اعطى كرلوس عشر
الارادات القسبية التي تحصل من مملكة قبطية ليستعين به
في حربه مع جيوش العثمانية فاجتمع قسوس قبطية للمذاكرة في هذا
الشان وابوا ان يعطو مما اذن به البابا زاعمين ان هذا المبلغ لا يصح ان يطلب
منهم الا ان كان يخشى حقيقة على دين النصرانية من جيوش الاسلام فلما بلغ
ذلك البابا ليون وكان لا يطيق مخالفة امره حكم على المملكة بال منع وهو
عزل التسوس عن وظائفهم ولكن لم يعأ احد بهذا الحكم ولم يترتب عليه كبير
فائدة وجهه لكانه الناس من قبيل الظلم حتى ان كرلوس نفسه طلب من
البابا ان يطله ويرجع عنه وبهذه الحادثة حصل لطائفة التسوس الفخر

صف

مطلب
ازدياد غم الاسبانيوليين

سنة ١٥١٩

مطلب

الفتنة لتي حصلت بمملكة
بلسية في ذلك الوقت

حيث خافوا الباي في ظله ولم يرضوا بأمر كرلوس وعاد ذلك عليهم
بالمنفعة حيث اتفقوا انفسهم من الغرامة التي اراد الباي ان يفرضها عليهم
وقد حصل في اثناء ذلك بمملكة بلسية التابعة لمملكة اراغون فتنة
اشدها من الفتنة السابقة حيث نشأ عنها تنازع اعظم منها خطرا وطالت
مدتها اكثر من الاولى وكان منشأؤها ان راهبا من اصحاب الفتن صار يعظ
سكان مدينة بلسية التي هي تحت مملكة بلسية ويحثهم على حمل السلاح
ليفتكموا من بعض اماس جاوزوا الحدود واتبعوا سبيل التعسف والبهتان
فلما حمل اهل تلك المدينة السلاح ونجحوا في هذا الامر قام بانفسهم ان لهم
شوكه عظيمة وبأساقوا يفصموا على اتقا انفسهم من كل من قصدهم بسوء
وتعدى عليهم فبعد ان قعوا من اراد الراهب السابق قمعهم أبوا ان يتركوا
السلاح ويعودوا الى الصلح كما كانوا بل تعاهدوا معا ورتبوا فيما بينهم فرقا
على نسق الفرق العسكرية واخذوا يمارسون التعليمات الحربية ويواطبون
عليها حتى كأنهم جيوش منتظمة وكان الغرض الاصل لهم من تلك المعاهدة
واقوى الاسباب الباعثة عليها هو اتقا انفسهم من ظلم الاشراف والا كابر
لان المزايلا الاستوقراطية اي مزايلا الاشراف كانت بمملكة بلسية اكثر
واعظم مما كانت بغيرها من ممالك اسبانيا حتى ان الاشراف فيها كانوا
لا يعترفون انهم يدافعون ايديهم تسألهم عما يصدر منهم وتحتاسم عليه
فكانوا لا يعاملون من عدا طائفتهم من الالهالي معامل الاتباع قط بل كانوا
يعاملونهم معامل الاقرباء والاسرى فلما ذهبت هذه الفتنة التي لم تكن تخطر
ببالهم حصل لهم من هارعب شديد وفزع عظيم وخافوا ان تقوى شوكة الالهالي
ويستروا على خروجهم وعصيانهم حتى اتفقوا انفسهم من حكومة الاشراف
ويستقلوا بانفسهم فبذلوا جهدهم في اطفاء نارها بساولة طريق السياسة
والتدبير فلما راوا انه لا يمكنهم ذلك الا بواسطة السلاح استعانوا بالاميراطور
كرلوس وطلبوا منه ان يأذن لهم بالهجوم على العصاة وكذلك الالهالي
بشوا الى الاميراطور المذكور وكلا يعلمونه بالمظالم التي كانت حاصلة لهم

مطلب

ازدبادنيران الفتنة

سنة ١٥٢٠

سنة ١٥٢٠

من الاشراف ويتضرعون اليه ان يدخلهم تحت كنفه وحمايته فمن سعد الاهاالى
وصل رسالهم الى الديوان في وقت كان به **كرولس** في حلق شديد على
الاشراف غير انه لما كان يلزمه الارتحال الى بلاد المانيا وكان في قلق
بسبب تأخيره عن هذا السفر وكان الخاصة الفلنكيين رغبة عظيمة في رحلته
لينقلوا الى وطنهم الاموال التي جمعوها من مملكة قسطنطينة لم يمكنه ان يذهب
بنفسه الى مملكة بلنسية ليعقد مشورة وكلاء المملكة فعين الكردي نال
ادريان لينوب عنه في تلك المشورة وامره ان يأخذه على الاهاالى مباحية
على الطاعة والالتقياد وان يثبت لهم من اياهم وحقوقهم في محفل عام حسب
العادة الجارية وان يطلب منهم مبلغا من النقود على سبيل التسرع كما طلب
من ملكتي قسطنطينة واراغون ولكن رأى اشراف بلنسية ان ذلك من قبيل
العار بلادهم ومملكتهم حيث ان اهل الحق كغيرها من ممالك اسبانيا
في ان تتشرف بحضور الملك اليها وابدائه بحسب قوانين مملكتهم ورسومها
لا يجوز ان يسابعوا بالموكية اميرا لم يحضر عندهم ولان يعطوه امدادا
يستعين به واستروا مخرجين على ذلك حتى لم يمكن تحويلهم عنه باى وجه كان
فغضب **كرولس** من قبح سلوكهم واخذ بناصر الاهاالى وامرهم ان يبقوا
على ما هم عليه من حال السلاح على الاشراف فرجع رسل الاهاالى فرحين
مسرورين وثلة اياهم انشاء بلادهم باحتفال عظيم حيث كانت فحاة الوطن
على ايديهم وتكبر الاهاالى حيث تذوعتوا عتوا كبيرا وطفوا وبغوا حتى طردوا
الاشراف من المدن واتخذوا اجلة من القضاة اطلموهم حكاما في بلادهم وعقدوا
فيما بينهم معاهدة شهيرة سموها معاهدة الجرمانادا او معاهدة الاخاء
فصارت تلك المعاهدة فيما بعد اصلا لجميع الفتن التي وقعت بمملكة بلنسية
بل ولجميع المصائب الكبيرة التي حلت بها
وكانت مملكة قسطنطينة حيث تذو في اضطراب واتقلاب فلما شاع الخبر
ان **كرولس** قد عزم على الرحيل من اسبانيا اخذت عدة مدن كبيرة
تسكن من سفره وكتبت له ان يرجع عن ذلك وجذدت شكواها التي كانت

سنة ١٥٢٠

عرضته له سابقاً في شأن ظلم اتباعه التلمكيين وجورهم فحاول كرويس
الرسول الذين اتوا اليه من طرف تلك المداين ولم يأذن لهم بالدخول لديه
ليلقوا ما هم مرسلون به صده لكنه رأى انه يصعب بهذه الطريقة اطفاء نيران
فتن هذه المداين الكبيرة ف دعا ارباب مشورة وكلاء قسطنطينية بمدينة غاليسية
في اقليم قومبوسطيليه وكان غرضه من انعقاد تلك المشورة ان يطلب من
اربابها مبلغاً آخر يستعين به على مصاريفه لان وزراء التلمكيين كانوا
باختلاسهم قد اضر واخترأ منه فلم يبق عنده ما يكفي حتى يظهر في المانيا
بالمظهر اللائق بالمنصب الامبراطوري الذي هو مدعو اليه ولكن كان اقليم
قومبوسطيليه بعيداً عن مملكة قسطنطينية وكان الاجل المضروب لدفع
الملح الذي طلبه اولاً لم يقض فكان هذان الامران وهما عقد المشورة بهذا
الاقليم البعيد وطلب الاعانة قبل اعضاء الاجل من سوء الحوادث عاقبة
واشدّها هولاً وخطراً حتى انه عما قيل نشأ عنها حقن الامة الاسبانيولية
وغضبها حيث كانت ذات حرية رائدة وكانت عاداتها ان تقتصر على ملوكها
فيما يطلبونه لاقصم فكتب القضاة لكرويس يشكون من هذين الامرين
هذا وكان سكان مدينة ولادوليرة يأملون ان انعقاد المشورة سيكون
بريقتهم فلما رأوا ان كرويس يريد انعقادها بمدينة غاليسية غضبوا
واشهروا السلاح على الملك وحفده وبلغ منهم الغضب مبلغاً حتى صاروا كالبهاذين
بمحيط لولم تحصل ربح عاصفة ساعدت كرويس وجماعته على الفرار اقتتل كل
من كان معه من التلمكيين ولعسر عليه هو الرحيل الى اقليم قومبوسطيليه
فكان كرويس كلما مر بمدينة ينشكي اليه اهلها من كونه
امر بعقد المشورة في مدينة غاليسية الا انه كان قد صمم كل التصميم على عقد
المشورة بهذه المدينة فلم يلتفت لقول احد ممن تنشكي اليه في ذلك وقد بذل وزراء
كرويس ما في وسعهم من الشوك والحيلة ليكون ان تضارب ارباب المشورة من
اماس يساعدونهم على اغراضهم حتى لا يتوقفوا في قبول مقاصدهم ومع
ذلك كان غضب جمهور الملة شديداً بحيث انه عند افتتاح المذاكرة في المشورة

ملطبة

افتتاح المذاكرة بالمشورة
في اول يوم من شهر نيسان

سنة ١٥٢٠

ظهرت علامات الحزن والتم على وجوه كثير من رسل العمال ووكلاء الملك
حتى كان يخشى ان يناقضوا الملك كل المناقضة ويضدوا عليه وعلى وزرائه
جميع مقاصدهم فاماديتة طليطلة قطعت ما تقتضيه المادة الجارية
عندهم من قديم الزمان وهي ان الوكلاء يتخبون بطريق القرعة فوقعت
القرعة في تلك المرة على رجلين ثبت عليهما انهما اخذا رشوة من الوزراء
الفلنكيين فلما ثبت عليهما هذه الخيانة لم يرض اهل طليطلة
ان يبعنوهما في تلك المشورة ويأتمنوهما على مصالحهم وارسلوا بدلهم اثنين
اوصوهما بان لا يقررا صحة انعقاد المشورة في مدينة غاليه واما رسل
مدينة سلنك فابعدوا عنهم لا يأخذون على انفسهم ميثاقا بالصدق والامانة
الا اذا رضى كرلوس بانتخاب محل آخر لعقد المشورة غير اقليم قومبوسطيه
واما رسل مدينة تورو ومدينة مدريد وقرطبة وعدمقدآن اخرى
فأبوا كل الاباء ان يسلموا للملك في الامداد الحديد الذي طلبه قائلين انه
لم يسبق لهم مثل ذلك من ملوكهم بل هو امر مخالف لقوانين المملكة مع
عدم الحاجة اليه الان كرلوس ووزرائه لم يدعوا شيئا مما يوترق الجمعيات
الاهلية ويستعطف قلوب اربابها الا فعلاه فاخذوا يستعطفون بعض الناس
بالاموال وبعضهم بالنساصب والمواعيد وبعضهم بالتخويف والتهديد وكان
الامير شوره وغيره من الاسراء الفلنكيين لا يتفك عن مواساة طائفة
الاشراف بالتملق والمداينة وكان الاشراف في غيظ وغيرة شديدة من
استقلال الجمعيات البلدية الاهلية وحربتها الحاملة لها على العصيان
والخروج فانضم بعضهم الى حزب كرلوس وساعده فيما كان يطلبه
وبعضهم كف عن معارضته ومناقضته في نيل ما ربه وتنفيذ اغراضه وبالمجمله
فمع نكس الملك من هتك حرمة الرسوم القديمة المبينة عليها الحكومة انحط رأى
الجمهور في المشورة على اعطاء كرلوس ما يطلبه من الاموال على سبيل
التبرع فاخذ الان ارباب المشورة عرضوا عليه ان ينصفهم في المطالب التي
نسكت منها الله سابقا ولكن انما لم يكن ما كان يأمله ضرب صفحا عن هذا الامر

مطلب
ازيد اغم اهل قسطنطية

سنة ١٥٢٠

مطلب

جعل كرويس اناسا
ينوبون عنه ويقومون
بمخالص ممالك اسبانيا مدة
غيته

لعله انه لا يصيبه ضرر اذا رآه عليهم ولم يقل لهم شكوى في شأنه
وحيث لم يبق ثم ما منع الايمبراطور كرويس عن السفر اظهر مقاصده التي
كان انخرها الى هذا الوقت وهي انتخاب اناس يحملهم نابيين عنه في اسبانيا
ليقوموا بتدبير مصالحها مدة غيته فجعل الكرديشال اديان نائباً على
مملكة قسطنطينة والامير جواي دو نوزه على مملكة ارغون
وولي الامير ديسغ ماندوزه قوتة ميلطو على بلنسية فخرج
القسطنطيون بتولية الاخيرين واما اديان فمع انهم كانوا يحترمون
ويعظمونه دون غيره من مائرا الامراء التلكنيين لم يفتأ عن توليته الا ازدياد
كرهتهم لاهل التلكن وغيرتهم منهم حتى ان الاشراف وان كانوا قد تحملوا
من المظالم ما هو اعظم من ذلك غضبوا كل غضب ورأوا ان تولية هذا الرجل
مما يرزى بهم ويكسبهم العار والخزي فادعوا ان هذا الانتخاب فاسد لخالفته
لاصول المملكة وقوانينها وبذلوا جهدهم في ابطاله ولكن كان كرويس على
غاية من التشوق الى الارتحال الى بلاد المانيا وكان ندماؤه التلكنيون
في قلق عظيم من المكث في اسبانيا فلم يعن بشئ من القسطنطيين ولم يبحث
عن ادنى وسيلة يحترس بها من اضرارهم ان فتنة كانت وقتئذ آخذة في الظهور
بمدينة طليطلة وترتب عليها فيما بعد عواقب سيئة مشؤمة فركب البحر
من مدينة كورونيا في ٢٢ من شهر ايار وعجل بالرحلة الى المانيا
ليأخذ تاجه الجديد مع انه بهذه العجلة عرض نفسه لاضاعة تاجه القديم الذي
هو اعظم فائدة من الجديد واشد تمككاً منه

مطلب

ارتحال كرويس الى البلاد
الواطية

(المقالة الثانية)

من اتحاف ملوك الزمان بشاريح الايمبراطور شرلكان
قد كان ثم عدة مقتضيات تدعو كرويس الى الحضور ببلاد المانيا حتى
جعلت حضوره بهامن اشدة الاشياء لزوماً وذلك ان الامراء المتخفين كانوا
في قلق عظيم من طول غيته لان الكرسي الايمبراطوري كان خالياً عن يقوم
بإدارة الايمبراطورية وزيادة على ذلك كانت دول كرويس الوراثة في هرج

مطلب

لزم حضور كرويس ببلاد
المانيا

سنة ١٥٢٠

واضطراب بسبب الفتن الداخلية التي كانت وقتئذ تنمو في جهاتها وترداد
بارجائها وكانت المذاهب الدينية الجديدة تتقدم كل يوم قدما عجيبا حتى كان
الحقاء نيران الفتن الناشئة عنها يدعى زيادة الحزم والعزم ومع ذلك كله
كان ملتفتا لامر آخر جسيم وهو حالة ملوك فرنسا فان كرويس رأى
نفسه عرضة لآخطار العظيمة ان لم يحتسب بجميع ما في وسعه للمدافعة عن
نفسه من هذا الملك الشديد البأس والشوكة

مطلبهم

بنشأ العدوة بين كرويس
وفرئيس الاول
وازيادها بالتدريج

ولما اخذ كرويس وفرئيس الاول يتنازعا في شأن التاج الایمراطوري
تعاهدا ان يقيما مع بعضهما على المراعاة والاحترام بحيث لا يظهر من احدهما
لصاحبه ادنى شيء يندس عرضهما ويرزى بشأنهما فقد قال فرئيس الاول
مع خلو صلوبته كما هو عادته في معاهداته ما معناه نحن نسعى في تحصيل
غرض واحد فيلزم ان يندل كل منا بجميع وسعه في تحصيل هذا الغرض فاذا
ساعد احدانا لفظ ودعى الى هذا الامر وجب على الآخر ان يرضى بالمقدور
ويحفظ عهد الصلح وعلاقى المحبة انتهى ولا شك ان مثل هذين الملكين الشابين
ذوى الشيم وشرف النفس المتولعين على حد سواء بفيل العلا والفلاح
لا يستغرب منهما البقاء على هذا الميثاق لكنهما ادركا فيما بعد انهما قد تعاهدا
على امر لا يمكنهما مراعاته وحفظه حيث انه فوق طبيعة البشر لان النفوس
البشرية لضعفها لا تستطيع ان تمكث على حفظ ميثاق الصلح اذ ارات ان دورها
قد تغلب على غرض هواصها فانه لما رجع جانب كرويس عندها الى
اوروبا ودعى الى الكرسي الایمراطوري غضب فرئيس غضبا شديدا
وداخله من الحقد ما يقوم عادة بكل قس طماعه خابت آماله اذ لم تنشأ
العدوة التي لم تخمد نيرانها من قلوب هذين الملكين مدة حكمهما لاسيما وكانت
اغراضهما متعارضة وكانت اسباب الاختلال والفشل متراكمة حيث
فكادت نيران الحروب لا تنطفئ ابدا من بينهما فاما الاغراض التي كانت
تتعارض فهي ان كرويس لم يعمل بما في البند الاصلى المسطر في مناوطة
وايون السابق ذكرها (وحاصل هذا البند هو ان حناد البرطه متى طلب

ملكته من كرلوس ولا ينصفه جاز الملك فرنسيس ان ينضم الى حزبه
ويدافع عنه على اى وجه كان) فترفعن كرلوس بهذا الشرط وبان ينصف
حساد البرطه التى كان ملك فواره وطرد منها بدون حق لاسيما وكانت
مصالح فرنسيس وشعائر شره تدعوه الى اعادة حساد البرطه الى
كرسى فواره حيث سلب منه بطريق الاغتياث والتعدي واما فرنسيس
فكان يتطلب ناج قائل لانه كان للملكة الفرنسية تغلب عليه الملك
فريدنقظ ظالم وعدوانا بمن كان ملكا على فرانسأ قبل فرنسيس وضمه
الى ملكة اسبانيا وكان الاميراطور كرلوس يتطلب دوقية ميلان
لانها من اراضي الاميراطورية فتغلب عليها فرنسيس وبقيت في حكمه بدون
ان يقره عليها من يلزم اقراره وكان كرلوس ايضا يدوقية بورغونيا
من تخلفات ابيه واسلافه فتغلب لويز الحادى عشر ملك فرانسأ عليها
بعض الغتصاب هذا كان فرنسيس قد جدد حيث اذعمه ودحجة اكيدة
ينه وبين دوق غويلدروس وكان الدوق المذكور عدوا لكرلوس ولعشيرته
فاودع ذلك في قلبه غيرة شديدة

ولاشك ان مثل تلك الاسباب السابقة توجب الشقاق والحرب ولولين ملكين
آخرين خالين عن المعاداة والطمع وحيث كان هذان الملكان يعلمان ان الحرب
بينهما يكون خطرا وعواقبه شنيعة وانه بعد نصب ميدانه لا يرجي لهما عود
الى الصلح ظهر على كل منهما انه في حيرة كبيرة خوفا من العواقب الخطره التى
تفتأ ضرورة عن هذا الحرب فكث كل منهما مدة وهو يتبصر في عاقبة امره
ويختبر قواما العسكرية ويقابل بينهما وبين قوى خصمه ويسعى في استماله ملوك
أوروبا الاخرين ليعينوه في مشروعاته

وكان البابا ليون يخشى كلا من هذين الخصمين لانه كان يعلم ان من يغلب
منهما يستولى على بلاد ايطاليا ويتصرف فيها كيف شاء وكان احب
شي اليه ان يسعى في اضرار الحرب بينهما لانه رأى ان بلاد اللتيدية البنادقة
تصير ميدان الحرب والازدحام ولولا ذلك لبذل جهده في ايقاع القتل والتفاهم

مطلب
المذاكرات التى حصلت
قبل حصول الحرب بين
فرنسيس وكرلوس

مطلب
مداد لاتيها مع البابا

سنة ١٥٢٠

ينهما حتى تعدم قواهما في الحرب ولكنه كان يرى ان ذلك يعود عليه بالضرر
وانه بمجرد حصول الحرب بينهما سيرجش فرانس وجيوش اسبانيا
حتى تتلاقى بدوقية ميلان فتصير تلك الدوقية ميدان القتال بين الحزبين
وحيث انها قريبة من فتحته وله مصلحة كبيرة في هذا الحرب ولا يمكنه ان يمتك
خلياى لا يجعل لنفسه مدخلافه وينضم الى احد الحزبين اضطرر هذه
الاسباب الى ان يسلك على حسب مقتضيات الاحوال اذذاك واخذ اول
مع كل من الاميراطور كرلوس وملك فرانس وسلك طريق المداينة والتلق
ليستوجب محبتهم باخذ عنته قترجاه كل منهما الرجاء الكلى ان يكون ظهيره
وفضيره فظهر انه خلى الاغراض مع انه كان يضر حقيقة نيته ولا يسدى ما في
طى طويته واستعمل طرق الخداع والمكر الى امتاز بها في عصره ارباب
السياسة من اهل ايطاليا

مطلبه
مداد لاهما مع اهل
البنادقة

وكانت مصالح اهل البنادقة في هذا الحرب كصالح البابا فكانوا يبحثون
اذا علم ان لا تكون ايطاليا ميدان الحرب بين الفريقين وأق لا يكون
لجمهوريتهم مدخلة فيه ولكن مع تحاددة البابا ليون وما تظهره من
التخلى عن الاغراض كان ثم علامات جليلة وامارات واضحة تدل على انه ميل
لحزب الاميراطور وذلك اما لانه كان يحشاهما كثر من فرنسيس اول لانه كان يعلم
انه اتقع له منه واما اهل البنادقة فكان يظهر منهم انهم ان الجأتهم الضرورة الى
الدخول في احد هذين الحزبين لا يدخلون الا في حزب ملك فرانس لاسباب
عندهم مضاهية لاسباب التي بعثت البابا على الدخول في حزب
الاميراطور كرلوس ولكن كان لا ينبغي ان ينتظر كبير اعانته من ملوك ايطاليا
لانهم كانوا يشارون غير متشبهة بما عداهم من ممالك الافرنج ولا يجبون
ان تزيد شوكة مملكة متناعن الاخرى بل كان اهم مقاصدهم السياسية
الحفاظة على ابقاء المساواة والمعادلة بين شوكة هذه الممالك حتى كان لا يمكن
لاحد ان يحولهم عن هذا الرأى ويدخلهم في حزبه لاعتاته الان انظر لهم
المنافع الجسيمة والقوائد العظيمة

وقد بذل كل من الایمبراطور كرولس وملك فرنسا غاية جهده في استمالة ملك الانكلترة اليه وادخاله في حزبه لانهما كانا يعلمان ان هذا الملك يعين من يتعاهد معه اعانة قوية لا تؤمل من غيره وانه ليس كلوك ابطلانيا يجعل ذلك موقفا على احتراسات سياسية وكان ملك الانكلترة وقتئذ هو هنري الثامن وقد تولى على هذه المملكة سنة ١٥٠٩ وكان طالعه سعيدا حتى كان يؤمل ان حكمته ستكون اسعد الحكومات واعظمها بهجة وروقا وكان بامعابن حقوق عشيرة بورقه الملوكية وعشيرة لنكستره وهذه الحقوق كان يعارض بعضها ببعضها فمما سعى في معاهدته كل من كرولس وملك فرنسا وادعاه بالطاعة ازداد بهجة في اعين رعاياه وغبرهم حتى امكنه ان يتصرف في ادارة مملكته كيف يشاء وصار يحكمها مع شوكة قوية وكلة مطلقة لم يجاسر احد من ملقبه من الملوك على منلها الا ويكون عرضة لالهوال والاخطار بل وامكنه ايضا ان يجعل لنفسه مدخلية في مصالح الممالك الافريقية البرية القارة مع ان انكلترة مكنت قبله زمنا طويلا تبذل جهدها في هذا الغرض ولم يتمكن منه لما كان فيهما من الفتن والتقلبات الداخلية وزيادة على ذلك كان هنري المذكور قد ورث عن اسلافه خزائن واموالا لا تحصى فصار بها من اغنى ملوك الافرنج واعظمهم ثروة وذلك ان الملك الذي كان على انكلترة قبله عرف بحسن ادارته وحزمه ان ينشر الروية الامن في المملكة حيث اصبح الخلل والفساد الذي نشأ فيها عن الحروب المدنية الداخلية غير ان هذا الامن لم يحكث مدته طيلة حتى تعود للمملكة الانكليزية شوكتها ويوقى عزمها فلما شمت نفوس الانكلترة من الفضل والشقاق الذي كان بينهم ولحقهم الخزي والعار من كونهم مكثوا زمنا طويلا وهم يجعلون وطنهم ميدانا للفتك دماء ابناء ملتهم جزعوا كل الجزع رغبة في اظهار شهامتهم وشجاعتهم في حرب اجنبي اى مع ملة اجنبية لكي يحبو اذ كثر غار آباؤهم وما تراسلافهم وكانت طبيعة هنري تلايم حال مملكته وميل رعاياه فكان طماعا شادا مهارة وجسارة وكان متمارا بجانبه وخفته في سائر

سنة ١٥٢٠

انواع التعليمات العسكرية التي كانت في ذلك العصر الجزء الاهم في تربية
الاشراف وبذلك صار من صفوه ولوع عجيب بالحرب والقتال وكان متولعا
كل التولع بالتصدي الى حرب اجنبي كي يشهر اوائل حكمه بمحاذنة عظيمة
فبينما كان كذلك اذلاحت له تلك القرصة العظيمة وكان قد انتصر في واقعة
غبنقات وفي محاصرة مدينة تروانه ومدينة نورين فصار بتلك
النصرات يرقل في حلق الفخر والسودود وان لم يترتب عليها كبير جدوى لبلاد
انتكثرة وثبت عند ملوك الافرنج انه ذو شوكة عظيمة وتيقن كل من كرلوس
وملك فرانسَا انه يتقنع من تعاهد معه كل النقع وزيادة على تلك الاسباب
كان هنري آمناس من كل اغارة اجنبية بسبب وضع دوله خصوصاً وكانت
مدينة كالس من جملة بلاده فكان يسهل عليه بواسطتها ان يدخل في مملكة
فرانسَا ومملكة البلاد الواطية فهذه الاسباب القوية كان ملاذا للبلاد
اوروبا وراعيها حتى حريتها وكان لا يصلح غيره لان يكون حكامين ملك فرانسَا
والایمراطور كرلوس وكان يعلم انه بهذه الاسباب السابقة يرجع على غيره
ويعرف انه لاجل ابقاء المعادلة والمساواة بين ملوك الافرنج حتى لا يتعدى
ملك على آخر لانه ان يحافظ على ابقاء تلك المعادلة بين كرلوس وملك
فرانسَا بحيث لا يظهر احدهما على الآخر لان من قويت شوكته منهما
اضرب بالآخر وخشى منه على بقية ممالك اوروبا غير انه لم يكن خلياعاً
الاعراض ولا مستكماً للسياسة والحزم اللازمين لتجيز هذا المشروع الجسيم
بل كان صاحب اغراض سهل الاتقياد الى شهوات نفسه مريع الاجابة
لداي اطماعه وكان يميل الى المباهاة والتفاخر ومن كانت هذه مقته لا يمكنه
ان يدبر مثل هذا الامر السياسي الجسيم ولان يتبعه بدون فتور حتى يتم
ويتقضى امره في كل وسيلة احتسب بها لمدة الحرب بين كرلوس وفرنسيس
قل أن يراي المصلحة العامة او مصلحة نفسه بل كانت جميع تلك الوسائل تبعه
عليها شهواته النفسانية التي طمست على بصيرته فعمى عن ادراك مصالحه
الحقيقية وهذا هو الذي منعه عن ان يكون له صولة عظيمة ومدخلية كبيرة

في مصالح اوربا فلم يحن ثمة تلك الفرصة الجليلة التي كان يسهل عليه اجتثاثها بموجب مقتضيات الاحوال اذ الدول لا تحت هذه الفرصة ملك آخر اكثر منه سياسة وتحيلا ولو كان ادنى منه قريحته ومهتلا لاغتم منها فوائد جلييلة ومنافع جزيلة

ومع ذلك فلا ينبغي ان تقول ان منال هنرى وعيوبه الذاتية هي التي اوقعت في سبل الغنى التي ملكها في ادارته وتديره بل تقول ان الذى اوقعه في اغلبها هو خيانه وزيره ونديمه الكرديشال ولسى لانه كان شرها طماعا كثيرا اغراض قبيح السلوك حيث الطوية وكان من ارادل الناس فرق من حضيض الرماع الى اوج الامراء وصارت له صولة وشوكة لم يصل اليها قبله احد من الرعايا فكان له موقع عظيم في قلب هنرى وان كان اشده الملوك عنوا وتكبرا ولما كان هذا الوزير له معارف غزيرة في كل مادة امكنه ان يجمع بين امرين متناقضين وهما الوزارة والمناذمة وكان ذا عقل ثاقب وفهم صائب لا يكل من المداومة والمواظبة على الشغل وكان يعرف ظاهرا الدولة وباطنها حق المعرفة ويعرف اغراض الممالك الاجنبية ومقاصدها فامكنه ان يوفى على ما ينبغي بما يخص نصرته المطلق وكان ذا ادب في احواله واطواره نظير المنطق بدع العقل عميل النفوس الى مسامحته وحكاياته وتيسار الى سماع عباراته يحب السترين والتجمل له براعة عظيمة في العلوم الادبية التي كان هنرى مشغوقا بها وهم ذاك له استولى على قلب هنرى المذكور حتى صار ياتمه ويشق به كل الوقوف ويعتمد عليه في كل امر قل او جل وصارت شوكة تقرب من الشوكة الملوكية الا انه كان لا يستعمل تلك الشوكة في نفع الله الانكليزية او فيما يكسب ملكه العظم والجاه وكان طماعا مبذرا لما اقتبعت نفسه قط من الاموال والغنى ولم يكنف بما حصله منها بل كانت آماله متعلقة بتحصيل امور جديدة يزداد بها عظمه وعلا شأنه ولم ارأى انه صار ذا شوكة كبيرة وموقع عظيم في قلب الملك هنرى وان كان لا يستطيع ان يصغى الى مشورة غير في شيء اخذ بسلك الكبر والعنوا الذي

مطلب

سيان طباع وزيره الاول
وهو الكرديشال ولسى

سنة ١٥٢٠

تفر منه النفوس ولم يلتفت الى غير اغراضه وشهوانه النفسانية حتى اضطر
كل من اراد استمالته واستمالته ملكه هنري ان يتخلل له ويداهنه ويوفيه بما
يرضى فيه الخبيثة الطماعة

مطلب

مدولة الملك فرنسيس مع

الوزير ولسي

وفي ذلك الوقت كان جميع ملوك الافرنج يحشون من استماله هنري
الهم فسلخوا جميعا مع وزيره ولسي سبيل التلق والمداينة وارتكبوا
من الدناءة ما يرزى بتمام الملوك فلم يبق احد منهم الا وانحطه بهدايا نفيسة
او وعده بامور جسيمة ليستعطفه ويستميل قسه الطماعة الكثرية الشره
وفي سنة ١٥١٨ اختار الملك فرنسيس الامير بوتيو بيته وجعله
قبطان باشا وكان من احدثق ارباب ديوانه وامهر تدماته واكثرهم نشاطا
وامره بان يذل غاية جهده في استعطاف ولسي واستمالته الى حرب
فرانسا واطهر فرنسيس بنفسه الى ولسي المذكور ما يريد على
التجليل والاحترام وصار يثق به ويعتمد عليه في كل شئ فكان بشاورة في اهم
المصالح ويمتثل ما يأمر به ويقبل نصحه بدون توقف وجعله مر تباعا عليا
فاحبه ولسي وظهر منه ما يدل على ذلك حيث انه الخ على الملك هنري
بردمدينة تورني الى ملك فرانسا وحسن له ان يزوجه بنته مارية لابن
فرنسيس وان يجيب هذا الملك فيما كان يطلبه منه وهو ملاقاته والاجتماع عليه
ومن ذلك الوقت تجددت روابط اكيده بين ديواني مملكة آنكلتره ومملكة
فرانسا وكان فرنسيس يعتقد ان استماله الوزير ولسي اليه
واستعطافه اياه من اهم الاشياء واكثرها قضا فلم يرل يحافظ على ابقاء
الحبة بينهما وظهر له غاية ما يمكن من الاحترام والاکرام فكان لا يخاطبه
في مراسلاته الا بقوله الى والدنا ووصينا او ولينا وامي بنا واما كرلوس فقام
بنفسه غير عظيمه من تجديدي ميثاق هذه المحبة لكنه كان له قرابة قريبة بهنري
ملك آنكلتره فرأى انه احق بمحبته من الغير فبعد ان اخذناج مملكة
قسطيلة بقليل سعى في استعطاف ولسي واستمالته اليه ورتب له سوية
ثلاثة آلاف من الفرنكان (الفرنك اربعة قروش) وارل ما هتم به كرلوس هو

مطلب

مودة الاميراطور كرلوس

الوزير ولسي

البحث عما يمنع به مقابلة ملك انكلترة مع ملك فرانساً لانه كان يخشى
عاقبتها حيث ان ملك انكلترة وملك فرانساً كانا شابين فخر الجائز
انهما عند مقامهما قطع بينهما المحبة الاكيدة والمودة المتينة لاسيما وكانت
طباعهما تقتضى ذلك فيأخذ كل منهما بعقل صاحبه ولكن لم يمكن كدركوس
ان يمنع هذه المقابلة وبعد ان اعدت جميع الاشياء ومواد الاحتفال اللازمة
للمقابلة هنرى وفرنسيس واحترس كل من ديوان فرانساً الملوك
وديوان انكلترة كل الاحتراس حتى لا يخشى على هذين الملكين من تلك
المقابلة وعين زمانها ومكانها ولم يكن ذلك الا بعد مدة مستطيلة بسبب تجهيز
لوازم الاحتفال واتخاذ وسائل الاحتراس المتقدم ذكرها ارسلت البرد والسعاة
الى سائر الدواوين الملوكية ليدعوا منها الامراء للظهور بميدان السباق
والعاب التورنواس والمرمح التى ستحصل بين هنرى وفرنسيس
وامراتهما الشواربية اى الفرسان وكان لكل من هنرى وفرنسيس
حبة كبيرة فى مثل هذه المحافل فكان يصعب منعهما عن البراز بهذا المفضل
العجيب المبتدع وعن الخط والتفاز الذى يحصل لهما منه لاسيما وكانا يعلمان
انهما سيظهران فيه بظهور الابهة والروقى فيصير لهما موقع عظيم فى قلوب
الناس وكان للكردينال ولسى كذلك رغبة تامة فى اظهار مجيئه بمحضرة
ارباب ديوانى هنرى وفرنسيس ليرى الملكة الانكليزية والملكة الفرنسية
صولته العظيمة عند هنرى وفرنسيس فلما رأى كركوس انه لا يمكنه
منع مقابلة هذين الملكين اهتم بان يجعلها غير مجددة بحيث لا يخشى عاقبتها
ولا يتم لفرنسيس غرض منها ولا مأرب فبادر الى ملاقاته هنرى قبل ذهابه
الى فرانساً للملاقات الملك فرنسيس ولاجل ان يستميل الملك هنرى
وزيروه ولسى اظهر من الادب وشعائر التلق والمداينة اكثر مما فعله ملوك
فرانساً وذلك انه لما فر من ميناء تورون كاتقدم قصد انكلترة ورسا
على مدينة دورس ولم يخش على نفسه من شئ اعتمادا على كرم الملك هنرى
السامن ومروءته فتجيبت الملكة الانكليزية من مجيء كركوس الى انكلترة

• طلب
ذهاب كركوس الى انكلترة

سنة ١٥٢٠

على حين غفلة ولكن كان الوزير ولسي يعلم سبب محبته وجميع مقاصده وذلك
انه حصلت من قبل منازعة في هذا الشأن بين هذا الوزير ورواربا ديوان
اسبانيا الملوك فانحط الرأي على ان كرلوس يتوجه الى انكلترا ليزور
ملكها هنري وكان كرلوس اذا كاتب ولسي او خاطبه يقول المحب
الاعز واضاف الى المبلغ الذي كان رتبته اولا سبعة آلاف من الدوقات
(نوع من النقود) وحين رسا كرلوس على دورس المتقدمة كان الملك
هنري بمدينة كنتويري قاصدا الذهاب الى مملكة فرنسا فلما بلغه
مجيء كرلوس اسرع بارسال وزيره ولسي اليه في مدينة دورس
وسر بهذا الخبر سرورا عطيا وتلقى كرلوس مع غاية الترحيب والاكرام
والتبجيل والاحترام وكان الزمن عزيزا عند كرلوس فلم يكد انكلترا
الاربعة ايام لكنه في هذه المدة القليلة عرف بنبأهته وحزمه كيف يستميل
الملك انكلترا ويرغب الوزير ولسي حتى اخذ بقله ونقله من حزب
فرنسا وجعله في حزمه وذلك ان هذا الوزير لم يكن مكتميا بالقام والثروة
والصولة والكلمة النافذة التي كانت له بل كان دائما يبحث عن منصب
البابا الذي هو اعظم المناصب الدينية وحيث كان فرنسيس يعلم رغبته
في ذلك رأى ان وعده اياه باعانتة على تحصيل هذا المنصب هو اقوى واسطة
في استمالته اليه فوعده به عند خلو كرسى البابا بئذ غاية جهده في اجلاسه
عليه وكان الامبراطور كرلوس اعظم من فرنسيس صولة واثرة كلمة
في هذا الشأن فحين وعد ولسي بانه يعينه بجميع جهده على تحصيل منصب
البابا فرح ولسي كل الفرح وعدل عن العصية لفرنسيس واخذ
بئذ غاية جهده في تفتيز مقاصد كرلوس مع ان ما وعده به الامبراطور
كرلوس كان بعيدا عن الحصول جدا لان البابا ليون العاشر كان حينئذ
في عنقوان شبابه ولكن لم تتقدم مشاركة في ذلك الوقت بين هنري وكرلوس
واتما وعده هنري بانه بعد مقابلته للملك فرنسا يذهب اليه في البلاد
الواطية ويزوره في نظير زيارته

مطلب

استماله كرلوس للملك هنري

وزيره ولسي

مقابلة هنري لفرنسيس
الاول في ٧ من شهر
سيزان سنة ١٥٢٠

ثم ان مقابلة هنري مع ملك فرانس كانت في سهل متسع بين مدينة
غينه ومدينة ادروس وبهذا السهل اظهر كل من الملكين واتباعهما
اجمة وروثا عظيما حتى سعى هذا السهل معسكر الجوخ المذهب لما كان به يومئذ
من الخلع المرصعة والحلل المزركشة ومكت المسكان مع بعضهم ثمانية عشر
يوما وفي تلك المدة كان الامر آريا باب ديوان فرانس وديوان انكلترة
يدون ما يدعش العقل من ألعاب الفرسان والمحافل الطريفة وغيرها
من الملاعب البهية التي كان يتنازعها ذلك الزمن وسلك فرنسيس مع هنري
في تلك المدة سلك الادب وعامله المعاملة التي تستعطف القلوب فأثر ذلك
في هنري ومال الي فرنسيس الان الوزير ولسي اذهب بخداعه
ما كان قد رشح في قلبه من المحبة لفرنسيس ومحتة ايضا مقابله مع
الايمراطور كرويس بمدينة غزاوينوس نعم ان كرويس لم يقابلها مع
الوقت والجمعة التي تلقاهما فرنسيس قريبا من مدينة غينه لكنه
اعتنى بمصالحه السياسية أكثر من فرنسيس وفاقه في النجاج

في ١٩ من شهر تاموز

ما قام بنفس هنري من
عظم شوكتة

ولما رأى هنري ان كلام كرويس و فرنسيس كان يصح عن استمالته
والتودد اليه وهما اعظم ملوك الافرنج ظن ان ذلك منهما اعتراف له بأنه سيزان
التعادل بين الممالك الافرنجية ولم يرزل هذا الظن يقوى في نفسه حتى كان
دائما يلجج بقوله من ساعدته ايقن بالنجاج وظهر بالقصود وتمكن من نفسه
هذا الظن حين عرض عليه كرويس ان يكون حكاينه وبين فرنسيس
في جميع الامور وراى شي يدل على صفاء باطن كرويس وخلوص طويته أكثر من
كوبه يتقطن هو محب له ونخصه على حدسوا حكاينهما ولكن كان قد اخذ
بعقل الوزير ولسي فاختأه اهنري حكاينه وبين خصه كان في الواقع اعظم
الاشياء شناعة واسوءها عاقبة لملك فرانس كما علم ذلك مما حصل فيما بعد

تنويع كرويس بالتاج
الايمراطوري

ومع ان كرويس كان يحب البلاد الواطية لانها اصل غرسه ومسقط رأسه
لم يكتشها في تلك المدة متطيلة بل بعد ان هناه ابناء وطنه وفعلا و معه
ما يلحق بمقامه من الاكرام والتبجيل والاحترام سافر سريرا الى المدينة

سنة ١٥٢٠

في ٢٣ من شهر تشرين
الاول

اكسيلاشيلا ليلس فيما تاج الایمپاطورية لانه بموجب فرمان المذهب
كانت هذه المدينة محل تنويح الایمپاطرة فالبس كرلوس بتلك المدينة تاج
الایمپاطور شرلکانيا بحضرة جمعية كبيرة لم يسبق مثلها وسمى من ذلك
الوقت شرلکان ای كرلوس الخامس وكان تنويحه مع الروثن
والهبة التي يعتق بها اهل المانيا في محافلهم العمومية لاسيما محافل
الایمپاطرة

مطلب
تولية السلطان سليمان
الفاخر على كرسى الدولة
العثمانية

١٠ من بابا
٣٠ من اوستر
٢٠ من فرانس
١٠ من الملائكة

وبعد تولية الایمپاطور شرلکان بقليل تولى على الدولة العثمانية خصم
صعب وخطر عليه وهو السلطان سليمان الفاجر الذي فاق سلاطين الدولة
العثمانية في الخصال الحميدة الجليلة والمشروعات العظيمة وفاقهم ايضا في الفجاح
والظفر باعدائه وكفى ذلك العصر غرا ان وجده اعظم الملوك الذين ظهروا
الى ذلك الوقت ييلاد اوربا فلو كان السلطان سليمان والبابا ليون
العاشر والایمپاطور شرلکان والملک فرانس الاول والملک هنري
الثامن قد ظهروا في عصر مختلف لكنت معارف كل واحد منهم تكني
في غمار العصر الذي ظهر فيه فابالك وقد ظهروا كلهم كالنواكب الساطعة
في القرن السادس عشر فكان لهذا القرن من الروثن والهبة عالم يسبق
لغيره من القرون فلم يحصل حرب بين فرجين منهم الاوبادرا الى ميدانه بقوى
عظيمة ومعارف جسيمة فكانت اذا تعارضت قواهم وقرأ تحمهم تراها على
حدسواء فلا تفوق فرجة احدهم ولا قواها العسكرية فرجة الاخر ولا قواها
وتشأن ذلك حوادث جسيمة ووقائع عظيمة تثير الرغبة وتشوق النفوس
الى الاطلاع على تاريخ ذلك العصر ونشأ عنه ايضا منع ازدياد قوة احدهم ولا
الملوك على غيره وذلك من اهم الاشياء لانه لو زادت شوكة احدهم على
الاخر ربما اضرت ذلك بحرية اوربا وترتب عليه شقاء البشر وسوء
حظ العالم

مطلب
انعقاد مشورة الديتة
في مدينة وورس

واول شيء افتتح به الایمپاطور شرلکان تديره في ايمپاطورية المانيا
هو انه امر بقصد مشورة الديت ای مجلس العموم بمدينة وورس

سنة ١٥٢٠

في ٦ من شهر كانون الثاني سنة ١٥٢١ وكتب في مراسلته الى امراء المانيا
ان الغرض من عقد تلك المشورة المذكورة في معرفة الوسائل التي بها يكون منع
تقدم الاراء الدينية الجديدة حيث انها خطيرة يخشى منها تعكير بلاد المانيا
واضرار نيران القنن فيها ويخشى منها نسخ دين آباؤهم واسلافهم
وكان شرككان يعني بذلك المذاهب الدينية التي نشرها المشرع لوتير
واصحابه منذ (سنة ١٥١٧) فان هذه المذاهب كانت سببا فيما لحق دين
النصرانية من النسخ واتخذت بعض أوروبا من اسر البابا وحكمه
واضعفت هذا الحكم في البعض الاخر حتى صار لاثباته وترتب على ذلك
اقتلايات وتغييرات كانت اكثر نفعا للنوع البشري واكبر من سائر التغييرات
التي حدثت منذ ظهر دين النصرانية فاذن ينبغي مزيد الالتفات الى معرفة
الحوادث التي كانت سببا في ظهور هذه المذاهب الدينية الجديدة ومعرفة
الاسباب التي نشأ عنها سرعة التقدم وقبولها فتقول

مطلب
منشأ ما وقع في دين
النصرانية من النسخ

قد اتفق محققو المؤرخين ممن تجل قريحته عن ارتكاب الخرافات واتباع
سبل البدع والسهوات على ان نجاح لوتير في مشروعه انما هو محض
مقدرات الهبة واحكام ربانية كيف لا وقد نسخ ديننا قديما تمسكا من قلوب
الناس منذ قرون خالية واعصر ماضية ومؤيدا باهل الشوك والسوط
وله من يدافع عنه ويذب عن شعائره مع القطنة والحزم دين جديد يغيره ثمة
وغاية ونجى هذا المشروع الجسيم الصعب من غير ان يكون له شوك قوية حتى
يحمل الناس ويكرههم على قبوله فان الله عز وجل اذا تعلقت ارادته بشئ
ولوعده اذ كان الناس من المستحيلات دبر امره بامهل الطرق وقضى بتخيذه
وقد استدلل الناس على نصر الله عز وجل لدين النصرانية في عهد عيسى عليه
السلام بآيات باهرة ومجربات ظاهرة اثبتت ان هذا الدين حق صحيح لا ريب
فيه وبنا على ذلك لو فرض ان من نسخ دين النصرانية بما استظم رمن المذاهب
الدينية ليس ملهما او منعما عليه بفيض رحمانى او اودع سرا الهيا اخرجها
عن طور البشر من بعض الوجوه تقول ان من العجيب الذي يعد من خوارق

سنة ١٥٢٠

الصادات كون الدهر بمقتضياته قد ساعد هؤلاء المستظهِرين المشرعين
حيث مهد العقول الى قبول مذهبهم قطفروا بجرامهم مع ضعف شوكتهم
وساستهم وانتصروا على اعدائهم مع انهم كانوا اصحاب شوكة وسطوة ونشروا
اعلام مذهبهم ونمّاعن انفا خصاصهم فهذا يدل على ان التقدير جل جلاله
كانه هو الذي شرع دين الصراية اقتضت حكمته ايضا ان يخرج عنه دين
جديد ويقتل من حالة الضعف والخلول التي كان عليها في مبدء امره الى اقصى
درجات القوة والظهور

مطلب —
ضعف اسباب الدين
الجديد في مبدء امره

واساب هذه الحادثة العظيمة (اي تغيير الدين) كانت في مبدء امرها واهية
ضعيفة ولم تكن بحسب الظاهر الامر قليل الصدقة والاتفاق وذلك ان البابا
ليون العاشر حين جلس على كرسي الكنيسة الرومانية لم يجد شيئا من
ايراداتها لانها كانت قد هتكت في المشروعات الكبيرة التي تعلقت بها آمال البابا
اسكندر السادس والبابا جاليوس الثاني الذين كانا قبله على كرسي
الكنيسة وكان هو ضيا كريمة الطبع فلا يمكن ان يملك التوفير
والتقريب مع انه كان لا بد منه في اعادة خزائن الكنيسة الى ما كانت عليه
فكانت مصاريفه كل يوم في ازدياد لانه كان يريد ارتقاء عائلته وبحسب المباحاة
والتفاخر في امور معيشته ويعطى لارباب العلم والمعارف والقرانج والعوارف
العطايا الجزيلة ويصلهم بالصلاة الجليلية فلما رأى ان ايرادات الكنيسة لا تكفي
في ذلك اخذ يبحث عما يكون به ازدياد تلك الايرادات من الوسائط والوسائل
واستعمل في ذلك ما يمكن اختراعه لقرانج القسوس التي لا تضاهي في هذا
المعى فكان من جملة تلك الوسائط ان اخترع هذا البابا طريقة بيع الغفران
وتغيير السيات (يعني ان من اقرض ذنبا يعترف به للبابا ويدفع له مبلغا
معلوما فينجب وزنه ويعفّر ذنبه) وذلك انه على حسب الدين الروماني يقال
ان ما عله القديسون البررة من الاعمال الصالحة يؤخّضه ما يريد على ما لا بد
منه في نجاتهم وسلامتهم ويضم الى حسنات سيدنا عيسى عليه السلام ودعواته
الصالحة للبشرى ويودع في كنز لا يعترفه فراغ ولا تقاد ولواستعار منه

مطلب —
بيع الغفران الذي جرده
البابا ليون العاشر

جميع العباد واعطيت مقاليد هذا الكرسي مارى بطرس خليفة المسيح عليه السلام ثم توارثها عنه الباباوات فيقتضونه متى شاؤوا فاذا اعطى احد النصارى البابا الذى هو خليفة عيسى عليه السلام مقدار من الاموال وسمح له البابا فى نظيره ذلك بشئ من هذه البرصكات غفرت خطاياه وذنوبه وكذلك اذا احب انقاذ روح ميت من العذاب ودفع المبلغ فى نظيره ذلك فان روح الميت تطهر من ذنوبه وتخلص من العذاب واول ما ظهر هذا الغفران فى القرن الحادى عشر وكان على يد البابا اوربان الثانى حيث كان يجعله جزاء لمن يحمل السلاح ويسير الى فتح ارض القدس واخذها من ايدي الاسلام ثم صار هذا الغفران يعطى لمن يحضر رجلا يقاتل فى تلك الغزوات ثم توسع فيه حتى صار يعطى لمن يدفع مبلغا من الدراهم يستعان به على تجميع بعض امور دينية امر بها البابا فلما حكم البابا جالوس الثانى عم هذا الغفران وجعله لكل من بذل شئ من الدراهم لاجل بناء كنيسة مارى بطرس فى مدينة رومة ولما بذل ليون العاشر رحمه بعد جالوس فى تقيم هذه الكنيسة الفائزة الكثيره المصاريف على جماعته سلفه فى بيع الغفران ثم ان البرطه منتخب ميانسه ومطران مكديبورغ هو الذى انيط باذاعة هذا الغفران وجعله فى نظيره ذلك نصيب من ثمن تلك البضاعة فكل البرطه المذكور رهايا من رهبان عبد الاحد يقال له تيريل باذاعة هذا الغفران فى بلاد سكس وكان هذا الراهب شرس الاخلاق الا انه كان جيدا فى الرحمة متماريا بالصاحبة التى تميل اليها قلوب العامة يراعى مقتضيات الاحوال وزيادته على ذلك اعانه رهبان طائفته فوفى به هذه الوظيفة على ما ينبغي وشجع فيها غاية النجاح لكنه سلك سبيل السفاهة والوقاحة فكان هو ورهبان طائفته يبالغون فى مدح الاسرار والبركات التى اودعها الله فى غفران الكنيسة وكانوا يبيعونها بمن ينجس حتى ربحت تجارتهم بين الاخلاط الذين يعتقدون ما يلقنون ويثقون بكل ما يسمعون وتجاوز هؤلاء الرهبان حدود الحياء والادب فى غنا طباقتهم وسلوكهم واما لك تنفر منها القلوب وتشتتر منها

سنة ١٥٢٠

النفوس حتى اغضبوا الناس ودنسوا نعمة القسوس واشتد غضب الملوك
والامراء والاشراف حيث رأوا ذهب اتباعهم ذاهبا الى كزاليا با ليون
العاشر ليصرفهم مع الاسراف والتبذير وكان القديسون من النصارى يتأفون
على ضلال العامة ويرفون لحالهم حيث كانت تقول على هذا الغفران وتعمل
في شعائر الدين وعلم العبادة وتعدل عن الفضائل التي يحث عليها دين النصرانية
حتى انتهى الحال أن صار اجمل الناس واعمالهم بصيرة تأذى من قبح سلوك
تزييل واحماله حيث انهم كانوا يتقون في اللعب واللهو والسكر والمعاصي
الموجبة للعار والفضيحة جميع الاموال التي كانت ترد لهم من التجارة
في الغفران مع العامة التي باعقاداتها الباطلة واوهامها العاطلة لا تبخل
بيذل ما تكون به في السعادة الابدية والتجارات السرمدية وبالجملة فصار جميع
الناس فيما بعد يتنون بابطال هذه التجارة المضرة بالجمعية والدين

مطلب

في الكلام على لوتير
ومناقبه

ثم ان المشرع ماوطن لوتير رأى انه لا يجد فرصة اعظم من هذه لتغيير ما به
وانه لا يمكن ان تصير عقول ابناء وطنه مستعدة لسماع مقالاته اكثر مما كانت
عليه وقتئذ فاخذ يجهشهم في شأن فساد هذا الغفران ويبرهن لهم على انه باطل
لا اصل له ويبين قبح سلوكهم كانوا يسمعون به وفساد عقائدهم وزيفهم
وفسدهم وكان لوتير المذكور قد ولد في مدينة اسلايان بمملكة سكس
وكان اهلهم من ذوى الثقافة والفقر ومع ذلك تربى تربية جيدة وعلم من العلوم
وفي اثناء تعلمه اظهر امورا عديدة مما يدل على انه من ذوى الهى والقرائح
النادرة وكانت نفسه تميل بالطبع الى كل امر صعب تقصر دونه هم الرجال
وترغب في التشفق الدينى الذى يزهده المرء الدنيا وزخارفها ويحب العزلة
والخمول والتورع فاعتكف في دير من اديار الطاقة والرتبة الاولى غسطينية
(هى رتبة من القسوس متمسكة بمذهب عابدين شهرى ان ارواح القديسين
لا تصعد الى السماء الا بعد يوم الحساب حتى يعلم مالها وما عليها) وبذل افاره غاية
جهدهم في تحويله عن هذا المقصد فلم يمكنهم منعه عنه حيث كان يميل اليه
بالطبع فدخل الدير المذكور وليس حلة اقسته فلم تمض مدة قليلة الا واكسب

فيه شهرة عظيمة بالتقوى وبالتصصيل والاجتهاد العجيب حيث كانت همته لا تقربدواخذ عن مدرسين عظام الفلسفة السكولاستيكية وعلم اللاهوت السكولاستيكي (راجع سكولاستيكي في الاتحاد) وكان كل من هذين العالين اذا ذكر كجورناخ يفرق في لجه واسع التريجة وغزير العقل فبذهنه الشاقب وفهمه الصائب امكنه ان يدرك اسرار دقاتهما ويوقف على مكنون حقايقهما ولكن لما كان ذوقه سليما وذهنه حاد مستقيما تمكن من هذه المعارف ورأى انها عديمة الجدوى وعرف انها من الامور الهزئية التي لا طائل تحتها فعدل عنها بالكلية وسُمّت منها نفسه واخذ يبحث في الكتاب المقدس عما هو اقوى وأكدمنها في الاصول الدينية والعلمية فوجد نسخة من كتاب العهد القديم والجديد كانت مهملة في كتبخانة الدير الذي كان به فاخذها وبذل جهده في مطالعتها وتفرغ لها بالكلية واستمر على ذلك مع الرغبة الزائدة حتى انه بعد مدة قليلة تنجب منه سائر اقراءه حيث كانوا لم يعودوا على اقتباس شيء في علم اللاهوت من الكتاب المقدس وحصل له تقدم عظيم في هذا الامر الجديد وازداد صيته وشهرته في المعارف والعبادة حتى ان الامير فريدريك منتخب سكس لما انشأ مدرسة في مدينة ويتنبرغ التي كانت دار اقامته اختاره من بين اقراءه وادخله تلك المدرسة ليعلم بها اولو الفلسفة ثم علم اللاهوت فوفى لوتير بمادعي اليه على وجه عجيب حتى كان يعتبره زينة المدرسة ومجتها

وكان لوتير ذا كلمة نافذة وشهرة عظيمة حين اخذ الراهب تيريل في اداعة الفخران بالبلاد التي حول مدينة ويتنبرغ وهو يعزوا اليه خصوصيات وفصائل بدعية خيالية قد اثرت تأثيرا قويا في عقول الناس بغير تلك البلاد وصار لها في قلوبهم موقع عظيم ولما كان اهل اقليم سكس ليسوا اكبر معارف من غيرهم من اهل الاقاليم الالمانية حصل لهذا الراهب عندهم في بدء الامر نجاح عظيم حيث وجد فيه اناسا امنة كما وجد في غيره وكان لوتير يتأذى ويتألم غاية الألم من زور من كانوا يبيعون الفخران

مطلب
قصدي لوتير لبيع
الفخران

سنة ١٥٢٠

وبمسانهم وحقق من كانوا يشترونه وحقافة عقولهم وكان بيع الغفران مبيعاً على
مذهب الشهير توماس داكين وغيره من العلماء السكولاستيكية وكان
لوتير لا يثنى بآراء هؤلاء العلماء ولا يقول على مذاهيبهم لكونه قرأ الكتاب
المقدس واتخذهم ليل في حقائق علم اللاهوت فلم يجد فيه شاهداً يعضد بيع
الغفران الذي هو من البدع المضرة الخلقة بالمرءة والديانة وكان شديد الحمية
فلم يمكنه ان يخفى رأيه ويكتم ما في ضميره وقد رأى اهل بلاده متوغلين في اودية
الغفلة ضالين في عرصات الزيف والتي فصعد على منبر الكنيسة الكبرى بمدينة
ويتسبيرغ وصار يندح ويبالغ في فساد من كانوا يبيعون الغفران ويؤذيهم
بلسان حادوياني ببراهين قاطعة جليلة تقضي بان هذه الحادثة من البدع
الفاسدة والاوله والهم الكاسدة وافهم الاهل انه يحضى عليهم الاعتماد في نجاتهم
على غير ما ذكره الله سبحانه وتعالى في كتابه المقدس * وحيث ان النفس تشوق
لسكل امر جديد وترغب فيه غاية الرغبة صارت آراء لوتير مطمح انظار
الناس كافة لاسيما وكان له شهرة عظيمة من قبل وحين صعد للخطابة كان كانه
قس عاكظ اوسحيان ولئن لم فاخذ بشنع على ضلال من كانوا يبيعون الغفران
ويبيعونه ويضد هذا المذهب وينذر الناس بلثم لاتسلم لهم عاقبة ان يعتمدوا
في نجاتهم على غير ما هو منصوص في كتاب رب العالمين فحصر الالباب
بصاحته واستولى على القلوب بيلاغته فلما رأى ان العامة قد جنحت الى مذهبه
واخذت تدرك اسرار ما ربه ثبتت قدمه وقوى عزمه فكتب في هذا الشأن
الى منتخب ما ينسب (وهي جزء من اقليم سكس) كان تحت حكم هذا
المنتخب كما تقدم) وبالغ في قبح سلوك الرهبان والاقسة الذين اناطهم باذاعة
الغفران ونشره بين الناس وفي تنفيذ آرائهم وعقائدهم ولكن كل هذا الكاظم
يجب فحاج هؤلاء الرهبان فلم يفكر في قمعهم عن سلوكهم القبيح الذي تجاوزوا
فيه الحدود واول شيء اهتم به لوتير هو انه اعنى باستالة عقول العلماء اليه
ليواظبوه على آرائه واقترح لهذا الغرض خمسة وتسعين مسألة تتضمن
آراء في شأن الغفران ونشر هذه المسائل بين الناس لكن لم ينشرها في صورة

مطلب مسأله

نشر لوتير مسائل لاجل
ابطال بيع الغفران

مسائل يقينية يحجز وهمها بل في صور ومواد ظنية قصده بنشرها المناظرة فيها حتى يعلم صحه هل من فاسدها ودعا العلماء الى نقض ما لا يستحسنونه منها اما بالكتابة او بالشفاهة وعن الايام التي جعلها لاجتماع العلماء عليه لاجل المذاكرة فمع ما ومع ذلك كله اظهر انه متقاد غاية الاقياد لكنيسة رومة وانه مطيع لكل ما يحكم به البابا فخصت الايام التي اعدتها لاجتماعهم من غير ان يظهر له معارض ولا منقوض فعما قليل انتشرت تلك المسائل في جميع بلاد المانيا وقرئت في سائر ارجائها مع رغبة غريبة وهمة عميقة ونجيب كل الناس من فرط جسارة لوتير التي ادته الى الشك في صحة ما اقتره الباباوات الذين هم عماد دين النصرانية والى القدح في عرض الرهبان الدومينيقيانية اى رهبان عيد الاعدم مع انهم كانوا رؤساء محكمة التفتيش والقصاص في امور الدين فكافوا وما بين يمتشى بأسمهم كافة الناس

ثم ان قسوس الطائفة الاوغسطينية الذين كان لوتير من زميرتهم كانوا مطيعين كل الطاعة لكنيسة رومة كغيرهم من قسوس الطوائف الدينية الاخرى ومع ذلك فلم يعارضوا لوتير ولم يصدقوا لما نقضه اراءه وامنع عنه عن اذاعتها واشهارها بين الناس لانه كان له عندهم هبة كبيرة وموقع عظيم بسبب معارفه واخلاقه الا انه كان الى ذلك الوقت يحترم احكام البابا احتراماً مصادفاً ولا يجتري ان المنافسة والبغضة الباطنية لا تتقطع ابدان بين طوائف قسوس الكنيسة الرومانية اعدم اقتطاع طمع الرهبان وغيرتهم من بعضهم وبسبب ذلك حصل لقسوس الطائفة الاوغسطينية غاية السرور والفرح من قدح لوتير ونعمه في قسوس الطائفة الدومينيقيانية وتشجيعه عليهم لانهم كانوا اعداءهم وفرحوا حين رأوا ان ذلك يجزى الى احتقار قسوس تلك الطائفة وبعضها عند سائر الالهائي واما منتجب سكس الذي كان وقتئذ اعقل امراء المانيا وكان لوتير من رعاياه فلم يلقه غم ولا عيظ من تصدى لوتير لنقض بيع القفران بل كان بعض رؤساء رايودان تكون المنازعة التي حصلت اذئذ بين القسوس في هذا المعنى سبباً في تحقيق مظالم كنيسة رومة التي بذل

مطلبه

تعصيدة قسوس الطائفة
الاوغسطينية التي كان
لوتير من جلة اربابها راى
وتأيدهم لمذهبه

مطلب
فيما كتبه عدة من علماء
اللاهوت في مناقضة لوتير

الامراء جهدهم زمانا طويلا في ابطالها ولم ينجحوا
وقد تصدى عدة من العلماء لمناقضة لوتير وبذلوا غاية جهدهم في تأييد
الاراء والمذاهب التي كانت اساسا لشوكه الكنيسة الرومانية ومغشاة لثروتها
وغناها فكتب الراهب تنزيل رده على مسائل لوتير ونشره بمدينة
فرنكفورت التي على نهر اودير وكذلك العالم التيولوجي (اي اللاهوتي)
المسمى اكسيوس بذل وسعه في مناقضة آراء لوتير واما الراهب
بريورياس وهو احد رهبان الطائفة الدومينيكانية وكان رئيس المحكمة
ومفتش عموم ا قضية محكمة القصاص والتفتيش الدينية فقد كتب على
مسائل لوتير وشنع عليه كل التشنيع الا ان لوتير كان قد حسه في بيع
الغفران من قبله على رايهين فاطعة جليلة مستنبطة من العقل او مقتبسة من
الكتاب المقدس واما اخصامه فكانوا لا يجتنبون عليه في ردهم الا آراء العلماء
السكولاستيكية واوامر البايات والاصول القيسية التي كانت موجودة
اذا لم تكن ادلتهم غير كافية واحتجاجاتهم غير شافية حتى ظهر للناس انهم
عاجزون عن الردوان مجادلهم مبنية على مجرد الاعراض النقصانية وصاروا
لا يثقون باقوالهم حيث رأوها مخالفة لما يقتضيه العقل والنقل وما أنت به
الشرعية التصراتية

مطلب
عدم اعتناء ديوان رومة
بمذهب لوتير في مبداء امره

واما ديوان رومة فلم يخش من ظهور مذهب لوتير وان كانت به بلاد
المانيا في اضطراب واتقلاب بل لم يعبأ باصلا وذلك ان البابا ايمون العاشر
كان ذا قول عظيم بالمرسات والقنون وكان دائم شغول الفكره بمقاصد
سياسية جسدية وكان لا يميل الى المجادلات التيولوجيكية اي اللاهوتية
وان لم يكن يمتقرها لوفور عقله فحين وصلت اليه الاخبار بما صدر عن لوتير
في بلاد المانيا من التشنيع والتدح في الاصول الدينية لم يحمله ذلك على
الفتش بل عذمه من جملة المجادلات والمشاكلات السكولاستيكية حيث
رأى ان لوتير ليس الا راهبا من آحاد الرهبان المهملين الذين لا يعابهم رأى
رايا في مسائل سكولاستيكية اخذ يعضده في جزء صغير من المانيا وانما سلك

سنة ١٥٢٠

في عبارته مسلماً غير مألوف حيث افرغها في قالب خشن غير مقبول هذا
ما ظنه البابا المذكور وكان لا يحطريه بل ولا يسأل كوتير نفسه ان عاقبة
هذا الامر تضر بالكنيسة الرومانية لانه كان بعد المجادلة الحاصلة في هذا المعنى
بين الطائفة الاغورطينية والطائفة الدومينيكانية من جهة المجادلات التي تقع
عادة بين القسوس بسبب بعضهم وغير بعضهم من بعض حتى ظهر منه انه
قد عزم على عدم التصدي لهذه المجادلة وصمم على ان يترك امرها الكلي من
الطائفة الاوغسطينية والطائفة الدومينيكانية لتتقاضي كرها مع
ما في قلوبهم من العداوة لبعضهم

مطلبه
تقدم آراء كوتير وانتشارها

ولكن لما غضب كوتير اخصاصه بقدحه فيما حرره رداعليه وخطأ اقوالهم
وما اقوه في كل عبارة صاروا يلحون على البابا ويحثون ديوان رومة على
عقاب كوتير في قتل جراحته وجسارته الزائدة عن الحد لاسيما كانت آراء
كوتير قد اثرت تأثيراً قوياً في جميع الاقطار الالمانية فاستيقظ حيث ذ ديوان
رومة من غفلته واخذ يبحث عن كل وسيلة يسلم بها من عاقبة تلك الآراء
واضطر ليون العاشر نفسه الى البحث عما يدفع عن الكنيسة الرومانية سوء
عاقبة الآراء المذكورة حيث صارت من الامور الخطيرة التي لا ينبغي اهمالها
والسكون عنها فامر كوتير ان يحضر بعد ستين يوماً الى مدينة رومة
في الديوان بيندي العالم بـريورياس وكان من جهة من ردوا عليه وتصدوا
لتفسيده وقض آرائه كما تقدم ولذلك وكله البابا بالنظر في آراء كوتير والحكم
عليه بما يراه مناسباً وكتب هذا البابا ايضا الى الامير منتخب سكس يتوجه
ان لا يتعرض لحماية رجل دنس اثناء النصرانية يدعه وضلاله وكتب لرئيس
الطائفة الاوغسطينية ان يزجر هذا الراهب السفیه الذي دنس الطائفة
الاوغسطينية باجمعها وعكر على الملة المسيحية في مائر الاقطار النصرانية
فلما رأى كوتير مراسلات البابا وعلم ان العالم الذي اطاله البابا بالنظر في آراءه
والحكم عليه هو عدوه بريورياس ادرك حقيقة الحال وعرف ما يقضي
به في شأنه اذا هو توجه الى رومة

مطلبه
امر البابا الصادر الى
كوتير بالحضور الى رومة

سنة ١٠٢٠

مطلب

امر البابا وكياله بان يحكم
على لوتير في ألمانيا

فذلك بذل غاية جهده في عدم الذهاب الى رومة وطلب ان يحكم عليه
في بلاد ألمانيا بحضور جمعية خلية عن الاغراض وليست محلا للهمة وكان
علماء مدونة ويتأخر يحبون لوتير ولا يستطيعون ان يلحقه ادنى
ضرر او اذى لما ان الطائفة الاوغسطينية كانت به في شرف ومهابة فكتبوا
للبابا بترجونه ان يعافى لوتير من الحضور الى مدينة رومة والتمسوا
منه ان يוכל في التنظر في قضيتهم والحكم عليه بعض اناس من بلاد ألمانيا
يكونون من الثقة المشهورين بالمعارف وقد طلب ذلك ايضا الامير منتخب
سكس من وكيل البابا ومن مشورة العموم الألمانية التي كانت بمدينة
اوكسبورج وكان لوتير وقتئذ لا يقصد مناقضة احكام البابا ولا الخروج
عن شوكته بل كان يجزم بان اصل هذه الشوكة سر الهى اودعه الله في البابا
فكتب الى ليون العاشر كتابا في غالب التضرع والابتهال والاعتقاد والامتنال
ووعده انه يقبل او امره من غير توقف فلي دعوته وعافاه من الحضور الى مدينة
رومة وامر نائبه في ألمانيا ان يبحث عن حقيقة الحال ويحكم بما يستحسنه
وهذا النائب هو الكريستال كاتيجان احدا باب الطائفة الدومينيكانية
وكان له شهرة عظيمة بين العلماء السكولاستيكية وكان قائما بخدمة الكنيسة
الرومانية على ما ينبغي ويحب نفعها ورعى بجميع جهده في تحصيل ما تكون
به فائدتها ومصلحتها

مطلب

حضور لوتير بين يدي
نائب البابا

وكان يمكن لوتير لاسباب مقبولة ان يأبى فصل دعواه بين يدي كاتيجان
لانه كان من جملة اعدائه الخطرين عليه الا انه لم يتوقف ابدا في الحضور بين
يدي كاتيجان المذكور حيث توجه فوراً الى مدينة اوكسبورج ليقابل
هذا النائب بعد ان اخذ من الاميراطور تذكرة الطريق فنقله كاتيجان
بالترحيب والاكرام والتجليل والاحترام واخذ اوليا سلك معه سبيل الدين
والرفق ليرده عن آرائه لكنه لما رأى انه لا يلبق بمثله ان يتجاوز معه كانه قرن له
الزمه بموجب امر البابا ان يرجع عن آرائه الفاسدة التي اذاعها بين الناس
في شأن النضران والقدرح في الدين وان لا يتقوه بعد ذلك بمثله ولكن كان لوتير يعلم

سنة ١٥٢٠

ان آراءه على منبج الحق لا خطأ فيها لاسيما وكانت مستحسنة مقبولة عند اعظم علماء ذلك العصر واكثرهم معرفة وديانة فتعجب من قول كاتيجيان حيث دعاه الى الرجوع عن آرائه قبل ان يبين له وجه فسادها وعدم صحتها مع انه كان يأمل قبل ذلك انه في محاورته مع هذا النائب العالم الغزير المعارف يسهل عليه ان يبري نفسه مما اتهم به اخصامه الذين هم ما بين جاهل لا يدرك خوى آرائه ومتمحامل يريد اطفاء اضوائه فينكر الحق ولو حصر وظهر ويؤيد الباطل وان خفي واستتر فلما رأى ان كاتيجيان يسلك معه مسلك الامارة والنفوس خاب له فيه ونش كل اليأس ولكن لم يرع من تهديده فقال للنائب مع ثبات جشانه وطلاقة لسانه ان نمتي لا تأذن لي بالرجوع عن آرائه هي الحق ولا محالة حيث لم يظهر في ثائتي يحملني على جدها بعد اقرارها ونشرها لاسيما وبجدها مثل هذا الامر بعد من الجبن وما يخط الله جل وعلا ونغضبه ثم افادانه لا يزال في طاعة الكنيسة والامثال لا امرها وان لم يقصد بذلك الا رآه اضراها بل غرضه ان يعرض مسائله التي حررها على بعض العلماء الماهرين فيقصون فيها ما يروونه مناسباً او بعد ذلك انه لا يكتب فيما بعد شيئاً فيما يتعلق بالغفران لكن بشرط ان يسكت اخصامه ولا يتقوا شيئاً في هذا الشأن فلم يعن نائب البابا بقوله بل استمر على تهديده والزامه بالرجوع عن اعتقاده من غير ان يشترط شيئاً قل او جل وهدده بانه يصير مطروداً من الكنيسة رجمها محرماً من نعمها ونعيمها ان لم يبادر بالاذعان ويمتثل ما يأمر به وامر ان لا يدخل عنده مادام مصمماً على عقيدته وظهور زيادته على ذلك مقتضيات اخرى يخشى منها على لوتير تخاف عليه احباؤه وظنوا ان تذكره الطريق التي اخذها من الاعيان اطوار لا تكن في حايته من نائب البابا السادة حقه وغضبه منه فحملوه على الخروج من سترامن مدينة او كسبورغ ليعود الى وطنه فقبل لوتير نصيحتهم الا انه قبل خروجه من تلك المدينة استعان بامر قد سبق بمثله وهو انه قرر حيث ان البابا لم يقف على حقيقة آرائه يريد فصل دعواه بين ابدى جمعية قيسية عامة تضم سترها فيظهر الحق من الباطل

مطلب
جسارته في سلوكه

مطلب
وقع دعواه الى غير كاتيجيان

سنة ١٥٢٠

مطلبه

اعانة منتخب سكرتير

للاهاب لوتير

فغضب كاتيجان من هروب لوتير وكتب الى فريدريخ منتخب
سكن يقسم عليه عجبته لراحة الكنيسة وابقاء شوكة سيدها ان يقبض على
لوتير ويرسله اسيرا الى مدينة رومة او يطرده من بلاده وكان فريدريخ
الى ذلك الوقت يدافع عن لوتير ويمانع عنه ولم تكن الاسباب الحاملة له على
ذلك اسبابا تيمولوجية اى ناشئة عن عمارته لعلم اللاهوت لان هذا الامير كان
لا يترضى ابد الجادلات التبولوجية والمحاورات اللاهوتية ولم يكن له
فيها رغبة اصلا وانما كان الباعث له على محاماة لوتير مجرد اسباب سياسية
كانت قد تم وكان لا يتظاهر به بل ولا يقدم عليها الا بعد الاحتراس التام وكان
لم يسمع قط وعظ لوتير ولم يقرأ شيئا من مؤلفاته وعلى ما كان له من الشهرة
العظيمة يلاذ المانيا لم يحضره فريدريخ اصلا ولم يقبله في منادسته لكن
لما طلب منه كاتيجان ان يقيه او يرسله اسيرا الى رومة رأى انه لا بد له
ان يسلك غير ما كان يسلكه اولا من المحافظة على عدم التظاهر في اعانة لوتير
وذلك لانه كان قد صرف مصاريف كثيرة في انشاء مدرسته واعتنى بها غاية
الاعتناء حتى صارت مهمة جدا عند جميع امراء المانيا وكان يعلم
ان بعد لوتير عنها يضرب شهرتها فتعلل بامور عديدة وأبى ان يقبل مادعا
اليه الكردينال كاتيجان في حق لوتير واطهر انه لا يسلم ابدافيا يكون به
اضرار لوتير وانه يدافع عنه كل المدافعة هذا وكتب انه مع ذلك سلازم
اعتبار الكردينال كاتيجان وقطيع البابا واحترامه

ثم ان تشديد الكردينال كاتيجان في الزام لوتير بالرجوع عن مذهبه
اغضب من وقتئذ من تملك بمنهج لوتير المذكور حتى لامه على هذا التشديد
عدة من المؤلفين القائلين بغيره ولكن كان لا يمكن للكردينال كاتيجان
ان يسلك مع لوتير خلاف ذلك وذلك ان قضية رومة الذين طلب لوتير
اولا الحضور بين ايديهم لفصل دعواه كانوا على غاية من التشوق والرغبة
في تحققة آرائه وافسادها حتى انهم قبل فراغ الستين يوما التي جعلها البابا
مهلة للوتير حكموا عليه بانه خارجي مبتدع بل وصفه البابا ليون نفسه

مطلبه

الاسباب التي حالت

كاتيجان على ان يدع لوتير

لوتير ما ملكه اولا

سنة ١٥٢٠

في عذمة من اوامره ومكاتباته بانه ليس الامن عداد الشبان الذين هم مطية
للملأثم والقوا حش او الارجل لا الا لا يعتد به وبناء على ذلك لم يكن ثم مات سلم به
الكنيسة الرومانية من عاقبة مذهب لوتير وتبقى على شرفها واحترامها سوى
جبر هذا الرجل على العدول عن مذهبه واقاراره بانه صادر عن خطأ لاسيا
وكان من قواعد هذه الكنيسة ان لا تتساهل في حكم من احكامها واتى لها
ذلك وقد حرمت على نفسها بادعائها العصمة عن الخطأ والزلل

ومع ذلك فكان لوتير في حالة خطورة جدا بحيث لو كانت لغيره لمزمت عليه
الامن والراحة وكان لا يظن ان فريديريخ يخاطر بنفسه في حياته والممانعة عنه
لما انه كان صاحب رأى وتدير وحزم واحتراس شهير فلا يعرض نفسه لعضب
الكنيسة وبطرس البابا الذي يحق بأسه وصولته بعض افسراد من عظماء
امبراطورة المانيا واقواهم شوكه وكان ايضا اذ ذل الاسباب اخرى تمنع لوتير
من انتظار الاعانة من فريديريخ وذلك انه كان يعلم ان الناس في ذلك الوقت
يحترمون اوامر الكنيسة وينقادون لاحكامها ويخشون غضبها ويعلم ايضا
انه لاشئ اسهل من تهديد فريديريخ وتخويله وجهه على ان يسلم فيه وحل
عنه لما ان اصل محاماته كانت لعل سياسة لا لكونه من مسيحية وشوقا
مؤلفاته على صحتها واقربها حتى يدافع عنه ولا يسأل وكدان يعلم ايضا انه
ان طرد من بلاد سكس لا يجده ملأ آثر ولا مأوى بأوى اليه ويصير
عرصة لاذي كل حقوق واجترأ كل حسود ومع انه كان يعلم انه في حالة خطورة
تجدد كل التجلد ولم ينظم عليه رعب ولا فزع بل مازال يبرهن على حجة آرائه
وحسن ملوكه واستقامته ويخطئ اخصامه ويفسد آرائهم ودمع ذمهم
كما كان يفعله اقولا

ولما رأى لوتير ان ديوان رومة لا يسلك معه سبيل الحق والاستقامة حث حكم
عليه ببدون تحقيق به من الفرق المبتدعة علم ان البابا ليون لا بد وان يعذره
ويحث عن انصراره ويلقيه الى التهلكة فحث عما تبقى به نفسه من نصب البابا
ولم يكن له في ذلك الاوسيلة واحدة وهي أن طلب فصل دعواه بمحضرة جمعية

مطلب
لما لا الخطورة التي كان
عليها لوتير

مطلب
جمعية عومية
من القسوس

سنة ١٥٢٠

عومية متقدمة من القسوس على سبيل النيابة عن الكنيسة القانوليقية
وما يخط عليه الرأي فيها يكون العمل بمقتضاه لان حكمها حجة يوثق بها كثر
من حكم البابا الذي هو فرد من جملة افراد الانسان وكل انسان قابل للخطا
فان ماري بطرس مع كونه اعظم البابات واكلمهم وقع في الخطا
غير مرة

مطلب
فرمان جديد لتأيد عادة
الغفران وتضيدها

وبعد ذلك بقليل ظهر ان لوتير لم يخطئ فيما ظنه بديوان رومة وذلك انه
صدر من البابا فرمان تاريخه قبل تاريخ عرض لوتير يتضمن طلب عقد
تجسس قيسى عام لفصل دعواه ودرج الغفران بعبارة لم تسبق لاسلافه بل
ولا في اعصر الجهالة والخسونة وامر فيه بجمع النصارى ان يعتقدوا صحة
الغفران ويعتبرونه شطرا من دين الكنيسة القانوليقية وذكر فيه ايضا انه يصح
بسببهم غضبه كل من عضد او اتبع مذهب من يقول بعدم صحة الغفران مع ان
مقتضيات الاحوال كانت وقتئذ تمنع التفوه بمثل ذلك وتستدعي حسن التدبير
والمواساة ولم يؤثر هذا الفرمان في قلوب اصحاب لوتير بل اعتبروه من
الامور التي لا يمكن ان يتس اياها وجه يؤيد شارعلوان البابا لم يأمر به الا لاجل
بقاء المحصولات المستمرة الواردة عليه من بيع الغفران ومع ذلك فلولاموت
الاميراطور مكسييليان نفذ هذه حكمه البابا على لوتير وضاع حقه عند
معظم اهل المانيا لان هذا الاميراطور كان دائم الميل الى تنفيذ مقاصد
الكنيسة وتأيد احكامها لاسيما وكان البابا وقتئذ صاحب شوكة وصولة
عظيمة واوعده بانشر ارم من يتبع مذهب لوتير او يؤيده فبعد موت هذا
الاميراطور انتقل الى الامير فريدريك منتخب سكس ما كان من بلاد
المانيا شكومابا اقوانين السكسونية فصار لوتير بذلك في جن هذا الامير
الذي كان يرفع عنه وبقيه من حقد اعدائه وانشر ارم وصار على غاية من
الامن والاطمئنان ومكث مذهب جاري بين الناس بدون حرج في خلال المدة
التي كانت بين موت مكسييليان وانتخاب شرلكان اميراطورا بدلا عنه حتى صار
تأييد مستقرا في عدة محال وتمسك كل قلوب كثير من الناس وزيادة عن ذلك

مطلب
كون موت الاميراطور
مكسييليان من الامور التي
اعانت لوتير

سنة ١٥٢٠

كان البابا ليون العاشر وقتئذ مشغولاً بشأن انتصاب الإمبراطور لكون ذلك أهم عنده من المجادلة التبوليجية حيث كان لا يدري فيها شيئاً ولا يمكنه أن يتصرف في عواقبها طارأ أن فريدريك يميل إلى حزب لوتير ليدقق في دعواه خوفاً من أن يغضبه وهو ذو شوكة عظيمة وصولاً ~~كبيرة~~ في ديوان المنتخبين ولم يجعل بالحكم على لوتير بالكفر والخروج عن دين الكنيسة الصحيح مع أن لوتير كان له أعداء كثيرون لا يغفلون طرفه عين عن حث هذا البابا وتحريضه على إيذاء لوتير واضراراه

ولما كانت تلك الأسباب والمال رب السياسية قائمة بنفس البابا ليون العاشر حاول في أمر لوتير حتى مضت ثمانية عشر شهراً ولم يحكم عليه بشئ لاسيما وكان البابا يكره بطبعه كل مجادلة ومحاوره تسابق في ميدانها الاختصام ولكن في تلك المدة لم تنقطع مذكرات رومة في شأن انتهاء هذا الأمر بالتي هي أحسن وبهذه المذكرات عرف لوتير فساد ديوان رومة واختلاله وعلم أنه لا وجه له في التحويل إلى ربابه عن بدعهم وأوهامهم الفاسدة وضلالهم في اعتقاداتهم الكاذبة وأنهم لا يتبعون الحق ولو ظهر بالبراهين الرادعة والادلة القامعة حتى ظهر عليه أنه داخله الشك في كون شوكة البابا من الأسرار الالهية وحصل بمدينة لبسيك على رؤس الاشهاد مناظرة في هذه المسئلة بينه وبين العالم اكسيوس وكان لسعة علمه ودقة فهمه من علم اخصام لوتير واشدهم خطر اعليه ولما انتهت هذه المناظرة كغيرها من المناظرات السكولاستيكية بدون أن يترتب عليها ثمة ولم يلزم أحدهما الاخرجة بل بقي كل منهما على رأيه ولم ينهيا شيئاً في شأن المسئلة المذكورة

وكان بلاد سكس نفرت من دين الكنيسة الرومانية لكثرة جورها وظلمها كذلك بلاد السويد حصلت فيها مثل ذلك فان الاسباب بعينها اثارت في ذلك زمن تقرير الماعول وحلهم على هت حمة دين تلك الكنيسة وذلك ان رهبان طائفة فرنسيس لما امروا باذاعة بيع الغفران في بلاد السويد سلكوا سبيل الاختلاس والظلم الذي اوجب بغض الرهبان الدومينيكانية

مطلب
تأخير الحكم على لوتير

مطلب
الشيخ ييلاد السويدية

سنة ١٥٢٠

الى الاحدية في بلاد المانيا ومع ذلك فلم ير الواعظ تشريع القفران بدون عائق حتى وصلوا الى مدينة زوريكه فلما ارادوا ان يذيعوا بها بيع القفران برزاهم العالم زيوتفل ولم يكن دون لوتير في الجسارة والرغبة في مساعدة النوع البشري فعارضهم وابى ان يقر هذا الامر الرديء الذي يفسد المولى ويضر بالعباد وكانت حكومة السويسة وقتئذ حكومة جمهورية فلم يكن زيوتفل كاونير مكبولا بقيود الحكم بل كان حرا مطلقا التصرف في حركاته وسكناته فمن ثم تنبع مقاصدهم مع ثبات القلب والجسارة على رؤس الاشهاد ولم يخش بأس احدوهم على هدم قواعدين الكنيسة ومحو اثره بالكلية ففسر لوتير لذلك حيث وجد له ظهيراً يؤيد مذهبه وبعض آراءه وفرح فرحاً شديداً من قبول هذا الراهب وانتشار آرائه الا ان اعداءه اقتصروا عليه من وجه آخر في مدرسة كولونيا ومدرسة لوان حيث فقد علماء هاتين المدرستين آراءه وحكموا عليها بانها خطأ محض

ولكن كان لوتير جسوراً لا يخشى بأساً فلم يزد تعصب اعدائه وتدقيقهم الا غضبوا به فاخذ يقدح في دين الكنيسة ويخص مع التدقيق عن اصوله ويفسد هادوا احداً بعد واحد حتى زلزل القواعد المتينة التي تأسست عليها شوكة ديوان رزمة وثر وثها فاقن البابا ليون العاشر انه لا يمكن ارجاع لوتير بالقي هي احسن هذا واخذ جماعة من الاحبار المتبحرين في المعارف واقنعوا اعداء لوتير ويلومون البابا على حمله واغضائه عن نفسه وجسارته مع قدسه في الكنيسة بكل منقصة ويتعجبون من كونه لم يغضب عليه ولم يحكم بكفره حتى يحرم من نعم الكنيسة الرومانية التي قدح فيها وهتك حرمتها مدة ثلاث سنوات وكانوا يقولون ان عظم شأن الكنيسة يقضي بعقاب هذا الرجل العقاب الشديد في نظيره وفاحته ومبته لها وان الامبراطور الجديد بعضد البابا ويكون نصيره وظهيره ومن البعيدين الامير فريديريك منتخب سكس يترك سبيل السياسة والحزم وما هو دأبه من الاحتراس والتبصر ويتصدى لحماية هذا الرجل ويبعدى البابا والامبراطور واقعدت في ذلك مشورة الكردينالات عدة

مطلب
جسارة لوتير وتقدم
مذهبه وازدياد قبول
آرائه

صفحة ١٥٢٠

مطلب

فرمان حرمان لوتير
والحكم بقتله وطرده عن
باب الكنيسة

مرات لتعتبر هذه القضية وتقف على حقيقتها فاصدر حكمها في شأنه على وجه
مقبول لا يجتعل نقضا ولا ردافرا جعوا القوانين ليجشوا فيها عن صيغة حكم
صححة لا تقبل الخدش بوجه من الوجوه فلما كان اليوم الخامس عشر من شهر
حيزران (سنة ١٥٢٠) صدر في شأن لوتير فرمان الحرمان الذي كانت
عاقبته مشروومة على كنيسة رومة واستخرجوا من مؤلفات لوتير احدى
واربعين مسئلة حكمها واعليها بانها من عقائد الفرق الزائفة التي تزرى بالمروءة
والانسانية وتناذب مكارم الاخلاق وكان هذا فرمان ينضم ايضا تحريم
قراءة مؤلفات لوتير وان من تجاسر وقرأها حكم عليه ايضا بالحرمان
والطرد وفيه ايضا امر بان من عنده بعض نسخ من تأليفه يجب عليه ان يذوقها
في النار وبعد ستين يوما ان لم يرجع لوتير عن مذهبه ويعترف على رؤوس
الاشهاد بان ذلك من الخطاء المحض ويحرق ما تركه يعقد من الفرق المبتدعة
ويحكم عليه بالحرمان حتى يصير مخذولا مدحورا ويصير من استهونه
الشياطين فعقد عن الحق وحاد وصل عن سبيل الرشاد وكان في هذا فرمان
ايضا امر لسائر الامراء ان يقبضوا عليه ويذيقوه من العذاب ما استوجب
لنفسه بسبب ما ارتكبه من الموبقات والكبائر ولما انتشر هذا فرمان يبلاد
المانيا اضطربت الآراء وتعددت المذاهب فكانت آراء الناس تختلف
بحسب اختلاف البلاد والمحال فاما اعداء لوتير واخصامه فقصرحوا
كل القرع فلما بان هذا فرمان يكون به ابطال مذهبه ومحج اخصائه واما
احزاب لوتير فكان احترامهم للبابا كل يوم في التناقص فلما تراءوا فرمان
ازداد غضبهم ومخطوا على البابا بل في بعض المدن تصدى الاهالي لمنع اشاعة
هذا فرمان وفي بعض آخراسي من تصدى لاشاعته ومنزق فرمان كل بمنزق
ووطئته الاقدام

مطلب

تأثير هذا فرمان في لوتير
في ١٧ من شهر تشرين
الثاني

ولم يترحم لوتير بهذا الحكم حيث كان يعلم من قبل انه لا يسلم منه وانه لابد
من وقوعه فبعد ان رضع فصل دعوا الى مجلس قسيس عام كتب بعض
ملوك طائفتا قاضيها فرمان الحرمان وكان يعلم ان البابا ليون قد سلك

سنة ١٥٢٠

في الحكم عليه ملك الجور والتعدي فقال على رؤوس الاشهاد ان هذا الباب هو
السلج الذي نص على ظهوره كتاب العهد الجديد وصار يصفه بالظلم
والتعدي وبسالخ في ذمه والقدر فيه اكثر مما كان عليه اولاً ورض جميع ملوك
الافرنج وامراءهم على القيام عليه والخروج عن طاعته حيث ان احكامه
لا تكسبهم الا العار والمذلة وصار يتدح ويغتر على رؤوس الاشهاد بانه استوجب
غضب البابا في نظير جسارته على حماية حرية البشر ورغبته في حفظ السعادة
البشرية ولم يكتف في اظهار احتقاره للبابا بغير دالخطابة والكلام بل لما رأى
في الفرمان الامر يهرق كتبه في رومة اراد ان يفعل في حق البابا مثل ما حكم
عليه به بجمع المدرسين والطلبة الذين كانوا وقتئذ بدويرة ويسانبرغ حتى
صارت جمعية كبيرة وروى في النار كآب القساوسة الروماني واصحبه بفرمان
الحرمات وتأسى به في ذلك عدة ممن مدائن المانيا ثم ان الطريقة التي سلكها
في تركية نفسه وتحليل هذا الفعل وانه من قبيل الصواب كان فيها اساءة ادب
اكثر من الفعل نفسه وذلك لانه استخرج من القساوسة الروماني بعض مسائل
يستبعد عنها العقل تضمن ان شوكة البابا فوق شوكة كل ملك وامير وحقير وخاطر
ووضع على هذه المسائل شرحا فيه فسادها وبرهن على انه مع تداول الايام
يترتب عليها بحق الحكومات الملكية ودمارها

هكذا كانت حالة مذهب لوتير حين دخول شرلكان في المانيا فلم يكن
احد من الامراء والملوك الى ذلك الوقت اتبع المذاهب الجديدة وعمل بها
ولم يكن حصل ادنى تغيير في صورة الدين ولا ادنى تعد على حقوق القساوس
واحكامهم وبالجمله فلم يكن المخط الرأى على ترجيح احد المذهبين على الآخر
فانه وان كانت نيران الجدال قد اضطربت بين الحزبين الا انه لم يحصل بت
ولا انتهاء في هذا المعنى بل كان كل من الفريقين يسأل ويجيب ويصاوب ويصيب
وتتعارض الادلة فيسقط المعلول بسقوط العلة ومع ذلك فقد اثرت هذه المجادلة
في عقول الناس تأثيرا قويا وقل احترامهم لدين الكنيسة ورسومها وادركوا
ضعف الاوهام الكاسدة والبدع الفاسدة وبالجمله فلم ترل العقول من ذلك

مطلد ضابط

الحالة التي كان عليها الشعب

حين دخول شرلكان

في بلاد المانيا

الوقت تردد تظنا واستيقاظا حتى وفرت من يومئذ اسباب الفتن التي انتشرت
فبرئها فاجاب بعديلاد المانيا قتل زلت ارباؤها واضطربت كل الاضطراب
فكان الطلبة بائون افواجا من سائر اقاليم الامبراطورية الى مدينة ويتايرغ
لاخذ عن لوتير قدس الى تلك المدينة الشهير ميلانغتون والحبر
كرستاد وغيرهما من المدرسين العظام واخذوا عن لوتير المذاهب الجليدة
وقلواها الى ابناء وطنهم فقلقوها عنهم مع الرغبة التامة التي تكون عادة للنفس
في كل امر جديد مرغوب فيه يعتقدان صحته قطعية لا تنكر وكان ديوان
رومة في اثناء تلك الحوادث يحكمه رجل يعد من امهر الباباوات الذين حكموا
في الكنيسة الرومانية ومع ذلك فلم يبد هذا الديوان في تلك الواقعة ما اشتهر به
غير مرسيلاد اوروبا من الحزم في تدبير مقاصده والعزم في تنفيذها حيث
كان يتخذ الا فرج قدوة في حسن السياسة والتدبير وذلك ان لوتير حين
قدحه في بيع القفران كان هناك لوطر يشان لوسلاف البابا احدهما لافسد على
لوتير مشروعه ولوسلاف الاخرى لسن هيجانه واخذ لهيبه وكان يلزم بمجرد
عدوه عن الدين ان يبادر بالقبض عليه ويعامله بالتعزير والتعنيف حتى يرجع
او يحكم عليه بما يريح الكنيسة منه ولنين هاتين الطريقتين فنقول لوقبض
على لوتير من مبداء الامر قبل تمكنه وهذا يقضب الكنيسة عليه وصدر في
حقه فرمان بالحرمان لزجر هذا القرمان الامير فريديريك منتخب سكس
ومنعته عن التصدي لحجابه لوتير ومنع الالهالي ايضا عن اتباع مذهبه
بل وكان لوتير نفسه يلحقه العرب والفرع ولا يتجاسر على فعل شيء مما فعله
وكان اسمه لا يعرف الا بين الانام الا يكونه قد بذل جهده في امر عدو وهو
شروع في نحو مظام ديوان رومة الا انه استجمل بهذا الشيء قبل اوانه
فعوقب بحرمانه والطريقة الاخرى التي كان ينبغي للبابا سلوكها هي انه كان
ينبغي له ان يظهر من مبداء الامر الغضب من قبح سلوك من كك انوا موزرين
باشاعة بيع القفران وانهم جاؤوا الحدود وفعلاوا اكثر مما يجب عليهم وكان ينبغي
له ايضا ان يمنع المجادلة على رؤوس الاشهاد في اي مسئلة كانت من المسائل

مطلب
ملحوظات في شأن سلوك
ديوان رومة

الخلافة المشكلة لانه يخشى على الكنيسة من الجدل في تلك المسائل العويصة
اذا كان الى ذلك العصر لم يظهر من يقوم حقيقة بجل مشكلاتها وذلك
معضلاتها وربما كان ذلك يمنع لوتير عن تقوية مذهبه وتوسيع دائرته ولولا
ان ديوان رومة شدد عليه والزمه بالبحث عما يدافع به عن نفسه لمحدث
نيران مجادلاته وتلاشت شيا فشيئا اوبعدت عن اسماع الناس وانحصرت
في المدارس وضاعت بين المحاورات السكولاستيكية ولا يمكن لليونان رومة
ان يحاجه في هذه المسئلة من غير ان يضرب بالكنيسة الرومانية في شيء
كالم يحصل لها ضرر بسبب غير هاتكون كسئلة حل مريم عليها السلام من
حيث عدم الاضرار بالكنيسة حيث لم يترتب على ما وقع فيها من الاختلاف
بين قسوس طائفة فرنسيس وقسوس الطائفة الدومنيكانية ضرر
ولا اختلال وكذلك مسئلة عضواه التي حصل الخلف فيها بين الطائفة
الجنسيناسية والطائفة اليسوعية ولكن كان البابا ليون يترددين هاتين
الطريقتين فضاغت منه غرتهما حيث شدد على لوتير اكثر مما يلزم فغواضا
عن كونه يقمعه بهذا التشديد ويرده عن حيته لم يرده الا تعجيبا وعنادا
وكان حلم البابا وصره عليه وامهاله في غير محله حيث استعان به لوتير على
نشر مذهبه من غير ان يخشى بأس الكنيسة وكان صدور فرمان الحرمان اخيرا
ظلم ثور في عقول الناس ولم يكن له موقع في قلوبهم ولو صدر قبل الوقت الذي
صدر فيه لاثرتا تأثيرا قويا وتم الغرض منه

ومن الغريب ان ديوان رومة لم يحكم سياسته ولم يتقن ادارته في هذا الامر
مع انه قل ان استوجب لنفسه لومافى سياسته اوقيل في حقه انه لا يعرف
مصلحة نفسه ولا من اين يוכל الكنف واغرب من ذلك ما لبده لوتير من الخزم
والتيدير في هذا الغرض فانه وان كان لادراية له بمواقع عواقب الامور بسبب
حجة طبعه وثقة خلقه احكم السياسة والادارة في انظم مذهب ونشره حتى
شجعت مناعيه كل النجاج بحيث لو كانت يدا احد من ارباب السياسة المتكئين لما
شجعت اكثر من ذلك وحين تصدى لمناقضة الراهب تتريل في مبدء الامر كان

مطلب
سلوك لوتير

لا يظن ان عاقبة آرائه تصل الى هذه الدرجة في الاضرار بالكنيسة ونسخ دينها
ولو خطر حينئذيه هذا النسخ العام الذي صار فيما بعد فيخبره لا ترتعدت
فرائعه واضطربت من القزع والخوف علمانية لا طاعة له على تخييره لكونه
من المشروعات الصعبة التي تجل عن امثاله هذا وعلم الحقيقة لم ينطبع في قلبه
دفعة واحدة اى لم يكن له من الامور الدنية او الالهامية بل كان عمرة
مطالعة وممارسته للعلوم بحيث لم يصل اليه الا بالتدريج وكان مذهب
الكنيسة الرومانية مرتبطة اجزاء ببعضها ارتباطا كلياً حتى كان ظهور
الخطا في قاعدة واحدة يجبر الى الخطا في الباقي فكان بناء هدم بعضه يؤدي
الى ترجيح اساس بقية اجزائه بل ربما ترتب عليه هدمها بالكلية فلاجل
ان يزيل **لوتير** من عقول الناس ما كان قائماً بهم من استحصان
بيع الغفران وقراره اضطر الى البحث عن السبب الحقيقي الذي يكون به
برأة الانسان من خطايا وذنوبه والعقوبة فيما جنى فلما علم هذا السبب
بنى عليه عدم لزوم الحج والاحتفالات والتضرع الى القديسين في الشفاعة
والتوسل بهم وعدم لزوم المواسم التي تعمل لاجلهم وبطلان الاعتراف
بالذنوب للقسوس مشافهة واستنبط منه ايضا انه ليس هناك محل تطمرفيه
ارواح المذنبين لتستوفي ما استوجبه بذنوبها ومعاصيها وقد وصله بمحنة عن
تخطئة هذه الامور وفسادها الى معرفة حقيقة القسوس الذين كانوا
متكلمين بتخييرها ورأى ان منشأ فسادهم انما هو غشاهم المفرط وتجرعهم
الزواج على انفسهم وتنفيدهم كل التشديد في شأن المناسك الدينية والرسوم
الرياسية وبناء على ذلك كان قريسا من ان يشك في كون شوكه البابا من
الاسرار الالهية حيث ان هذا البابا يبيع مثل تلك الامور الفاسدة الباطلة ويبدل
جهده في تأييد تلك الاوهام العاطلة وبعد ان اثبت ذلك بنى عليه امر اجديدا
وهو انكار عصمة البابا عن الوقوع في الخطا وصحة ما تنص به الكنيسة
والقسوس وغيرهم من امثاله الذين قائلوا لا يتسك الانسان الا بنص كتاب الله
الذي لا تفسير ولا تبديل لكلماته فهذا هو الاقرب للصواب وعين الحقيقة وهو

سنة ١٥٢٠

قاعدة صحيحة تعرف بها الحقائق التبولوجيكية فلما كان لوتير يسلك على
هذا المنوال البديع وبعض دأمر أبامروين شيأ على شئ نفع في مساعيه
كل النجاح وحل بذلك في ذرى القلاح حيث كان لا يعرض على الناس من اول
وهله ما تمجه اسماعهم بأن يكون مخالفا بالكلية لادهامهم القديمة اوبعيدا
عن اعتقاداتهم الراضة في اذهانهم بل صار يلعب عقولهم ويتعلمهم من
عقيدة الى اخرى من غير ان يشعر واشئ تنفر منه قلوبهم فكان كلما استكشف
شيأ جديدا تنشرح منه صدورهم وقبله عقولهم بحيث تتزج بهم كاستراج
الروح بالجسد ونشأ ايضا عن سلوكه على هذا المنوال ان البابا ليون امله
في اول الامر ولم يعتن بصنعه فامكنه ان ينشر مذهبه بين الناس وصار له
موقع في قلوبهم قبل ان ينظن احد الى ادراؤه واقبه ولوتير من
اول وهله في القديح في الكنيسة الرومانية لبادرت الى الانتقام منه بغاية
وسعها الا انه كان في مبدء امره غير مصمم على هذا المشروع حتى مكث زمنا
طويلا وهو يظهر للبابا كل الانقياد والطاعة ويحترم احكامه كل الاحترام
بحيث كان لا يترأى عليه انه سيعصاه ذات يوم او يقدح فيه وينتقد احكامه
ويزيها بكل ما يمكنه ولذلك اهل البابا في مشروعه واغضى عنه فصار يسي
كل يوم في افنيه ازدياد مذهبه واضاعة جبهة الكنيسة الرومانية ولم يشعر البابا
وديوان رومة بان عاقبة مشروعه تضر بهم كل الضرر ولم يبحثوا عما يملون به
من تلك العاقبة السيئة الا بعد ان صار الداء عضالا لا يتفقه دواء
نعم ان لوتير قد ساعد في تأييد مذهبه وتعظيمه حسن سلوكه وتدينه وقلة
نبحر اخصامه وفتح ادارتهم لكن لا ينبغي ان تنحصر اسباب تقدم مذهبه
في هذين السببين بل كان ثم اسباب اخرى اعانتها اتم اعانة حيث ان عدة من
الاحبار الماهرين كانوا قد كتبوا قبل وجوده بزمن طويلا في التشنيع على
الكنيسة وسلوكها وسلوكه في القديح في احكامها وتفنيد آرائها ورسومها
وبرهنوا على ذلك بمثل البراهين التي تمسك بها حتى ظهر في القرن الثاني عشر
الحبر ولدوس وفي القرن الرابع عشر الشهير وكليف وفي القرن

مطلب
الاسباب التي اعانت
تقدم النسخ

الخامس عشر الماهر الحاذق حنا هوس وكلهم ينشوا ضلال
الكنيسة الرومانية وزيفها مع الجسارة التلمة واقاموا على بطلانها
وتخطئها براهن جلية تجل عمايتهم في اهل اعصر الجبهات التي كان
هؤلاء الاحبار موجودين بها الا ان جميع مشروعاتهم في شأن النسخ لم تنفع
وخاب سعيهم فيما لانها كانت في غير اياتها وقبل اوانها فلم تكن في تلك الاعصر
الخشنة الاكاشعة ضعيفة من وراء حجاب فلم يمكنها ان تغرق الغيوم الكثيفة
التي كانت تخيمة على الكنيسة الرومانية فعما قليل ذهب ضوءها وانكشف
فورها وعلى فرض ان مذهب هؤلاء الاحبار القديسين كان له موقع في قلوب
الناس وكان له تأثير في البلاد التي انتشر بها فكان تأثيره ضعيفا ودأثره ضئيلة
بمعنى انه لم يتمكن ولم يتثبت به كثير من الناس لان معظم الاسباب التي اعانت
لوتير على تأييد مذهبه وانتشاره كان مقفودا في عصر هؤلاء الاحبار او كان
قليل التأثير والجدوى في مثل ذلك العصر بخلاف مذهب لوتير فظهر في اياته
حيث كان الوقت وقت شدة واضطراب فوجدت ثم مقتضيات احوال كثيرة
اعانتها على تميم مقاصده وتخير اغراضه ومشروعاته

هذا وقد حصل في الدين نزاع كبير وشقاق كثير ~~سكت~~ زمانا طويلا حيث
استغرق القرن الرابع عشر وبعض الخامس عشر فأورث الكنيسة العار
والامتهان وقل احترام الناس للبابا وذلك ان اثنين او ثلاثة من البابايات كانوا
يطوفون في آن واحد بلاد اوروبا ويتلقون لمن يريدون اسمائهم من الملوك
ويظلمون البلاد التي كانت تحت حكمهم ويحكمون بالكفر على من خرج عن
طاعتهم فكل ذلك جزا إلى غزبي عرض البابايات والى احتقارهم واحتقار
مناصبهم حتى قرت منهم القلوب وانكر الناس عصمتهم عن الخطأ والزلل
ولما كان كل فريق من المتشاكسين يرفع دعوته الى محكمة اللايين (اي
الامرآة) اخذ اللايين يعدون ان حكمهم لاحكم فوقه وبالفوا في ذلك
حتى صاروا ينتخبون من شاؤوا من القسوس ويجعلونه بابا وازداد احتقارهم
لكنيسة رومة بسبب الاوامر التي صدرت في شأنهم من المشاور القسيسية

مطلب

الشقاق الطويل الذي
حصل مدة القرن الرابع
عشر

سنة ١٥٢٠

التي انقضت بمدينة قونستنة ومدينة باله وكبرت جسارة هؤلاء
اللايين وعظمت شوكتهم حتى كانوا يعزلون من شاوراويولون من شاورا من
البابايت فعلم الناس من ذلك انه يوجد في رتب الكنيسة رتبة اعلام من رتبة البابا
التي كانت قبل ذلك معتبرة انها اعلام مراتب الكنيسة واعظمها شوكة
وصولة

وقبل ان يبرأ الجرح الذي اصبحت به شوكة البابا بسبب اقتنيات اللايين
نولى الباباية اسكندر السادس ثم جاليوس الثاني وكانا لا يوفيان
بمقوق العصاة القيسية وان كانا ماهرين بالنسبة الى حسن تأديت
الاحكام الملكية فظهر منهما ما اكسب الكنيسة الرومانية عارا على عارها
في جميع الاقطار النصرانية اما اسكندر السادس فكان فاسدا لاخلق غير
مستقيم الحال في معيشته وادارة نفسه وكان ذا خداع ومكر ظلو ما غشوما
جبارا في ادارة المملكة فعدلهذه الاسباب من الطوائف الجبارين الذين
دنوا نوع البشر واما الثاني فكان خاليا عن التهنات القبيحة المشؤومة التي
اوقعت سلته امكندر السادس في الخطايا العظيمة والذنوب الجسيمة التي تنفر
منها النفوس الكريمة لكن كان طمعه فوق كل نهاية وحرصه لا يقف عند حد
وغاية فكان لا يحترم حقوق من له الفضل عليه وينتهك حرمان الادب
والحشمة اذا كانت مراعاتها تؤدي الى تعطيل مقاصده وافساد ما ربه فكان
يعسر على الانسان ان يعتقد ان اسرار دين النصرانية الذي يحرس
على الاحسان والمروءة قد اودعت في طيب الجاحد اسكندر والفيه
جاليوس ومن ثم كانت آراء من ارادوا جعل احكام الجمعية القيسية
العمومية فوق احكام البابا في ايامها حالة محل القبول هذا وكان امبراطور
المانيا وملوك فرانس في جدال وقتال مع ديوان رومة فاغضوا
عاصد من رعاياهم في حق هذين الظالمين من الدم والقدح والمسبة فدار على
اللسن من وقتئذ سب البابايت وذهمهم فلذا لم يغضب احد من لوتير واتباعه
حين هذفوا كنيسة رومة وبالقوافي ذمها والاستهزاء بها

مطلب
في الكلام على البابا
اسكندر السادس واليه
جاليوس الثاني

ثم ان هذا الظلم الشديد المفروض لم يكن خاصا بالبابا الذي هو رئيس الكنيسة
لان اغلب كبار القسوس على الاطلاق كانوا من عائلات الاشراف والاعيان
ولم يؤثر الدخول في خرقة القسوس الاطعمهم في الوصول الى ذرى
المناصب العالية والتمتع بارزاقها الواسعة فكانوا يعملون بالكلية ما تقتضيه
وظائفهم القديسية من الواجبات ويتبعون اهواءهم ويركنون الى ارتكاب
الرزائل التي هي من عادة ارباب الثروة والدعة واما صغارهم فكانت فاقهم
تنعمهم من التأسى بكبارهم في الرفاهية والزينة لكنهم لتوغلهم في الجهالة
والفساد وافرطهم في الموبقات والاثام كان الناس يحتقرونهم كما كانوا
يغضون كبارهم وهذا امر صعب مخالف للطبع البشري وهو ايجاب وهبانية
تلك الخسرة ومنع تزوجها فقد ترتب عليه من المضاعف والفقر ما تقصر عنه
العبارة حتى انه في عدة محال من الامبراطورية الالمانية لزم ان يؤذن للقسوس
بالاجتماع بالحظيات ومرافقة الاجنيات لقيامهم مقام الزوجات بل وامروا
بذلك فعاجلة داء الرهبانية بدواء مخالف لدين النصرانية يدل دلالة قوية
على كثرة فساد القسوس وفسقهم وتشدق قبل القرن السادس عشر بمدة
طويلة طهر عذمتهم ثقات المؤلفين المشاهير كتبوا في هذا الشأن فينبوا فساد
اخلاق تلك الخسرة ووصفوها باوصاف يستبعدها العقل في عصرنا هذا
وبالجملة فسادهم اغضب الناس كافة واورثهم من الخزي والعار ما لا مزيد
عليه وليس هذا المجرد كون مثل تلك الاخلاق الفاسدة لا تليق بوظائفهم
المحترمة بل لانهم كانوا في الاصل من رعايا الناس وسفلتهم ثم ارتقوا من
حضيض القاعة وعدم الاعتبار الى اوج العلا والتفاخر وصاروا بما كان من القنى
والثروة فكان اللائيك يتأثرون منهم كل التأثر ولا يغضون عن هفواتهم
كغيرهم من القسوس العريقين في النسب المتاصلين في الثروة ولما كان حسدهم
لهؤلاء اشد من حسدهم للاخرين كان قد حسدهم فعم ايضا الشدة واعظم فبئس على
ذلك كان لا احب على الناس من سماع قدح لوتير ودمه في القسوس فكان كل
من اصغى اليه وجد في ملحوظاته في هذا المعنى براهين وضحية وادلة صحيحة ترى

ان ذمه لهذه الخرقه صايف محلا

وقد ازدادت مفاسد القسوس حتى تجاوزت الحدود لانه كان يسهل عليهم
كالعامة نيل الغفران مما يجنبونه من القبائح وبذلك صارت شوكة القضاة
والحكام المدنية واهية في جميع دول أوروبا حتى كادت تنعدم بالكلية لانه
لما كان الحكم حينئذ على الوجه السابق قبيح الترتيب ردى الادارة اضطر هؤلاء
القضاة الى ان يسلكوا في احكامهم طريقة التساهل وعدم التدقيق في اقامة
شعائر العدل والانصاف حتى كانوا يتجاوزون عن القواحيش والكبائر
بواسطة دفع مغارم عيبتها القوانين ولما كان ديوان رومة دائما يبحث
عما يكون به ازدياد ايراد الكنيسة الرومانية اتسع هذا العادة وادخل تلك
المغارم في المصالح الدينية حتى صار يعفو عن كل مذنب بدفع المغارم المذكورة
وحيث ان كفارة الكبائر بدفع هذا المقدار من المال كان موجودا من قبل وكان
الناس متعودين عليه لم يتفروا منه حين اتخذ ديوان رومة وسيلة
في ازدياد ايراداته ولذلك صارت تلك العادة عامة بين الافرنج كافة حتى انه
لاجل منع ما يمكن ان يتطرق اليه من الفساد والتدليس صنف قضاة رومة
كأيا كنعر غرامة محتوية على تعيين المقدار اللازم في كفارة كل جنابة
بمضموها فكانت كفارة القتل اذا وقع من الشماس دفع مغرم قدره عشرون
ريالا وكان يمكن لكل من الاساقفة ورؤساء الاديان ان يقتل النفس بشرط
ان يدفع للبابا ثمانية من الفرنكات وذلك الف ومائتان من القروش وكان
ايضا يجوز لكل قسيس ان يسلك سبيل الفساد وينهمك على المحارم والمآثم
بشرط ان يدفع ثلث المبلغ المذكور وطما المعاني عن جنى جنابة عظيمة
او ارتكب كبيرة فادارة الوقوع بل ولا يخطئ الايصال القساق الجبارين الخاليين
عن اللزومة والانسانية في تقدير دفعه مغارم بسيرة هينة ولكن لما حسفت
الاحكام في دواوين الامراء والالايك وصارت تجري على منهج الاصول
الدينية والادبية ظهر للناس ان هذه العادة التي كانت لاديوان رومة في تكفير
الخطايا والذنوب مخجلة بالديانة والادب وانها من شأنه لالات القسوس وعدم

سنة ١٥٢٠

مطلب

سهولة نيل الانسان العفو

فيما جناه على نفسه كقتل

او غيره

مطلب
سعة ثروة الكنيسة
الرومانية وزيادة اموالها
عن الحد

اتباعهم نهب العدل والاستقامة
وربما كان يمكن الاغضاء عن فساد اخلاق القسوس لولم يفتروا بكثرة اموالهم
وسعة ثروتهم وشوكتهم حتى صاروا يظلمون بقية طوائف الالهالي ويعاملونهم
اسوء المعاملة ومن المعلوم ان دأب اولى البدع الفاسدة والاهام الكاسدة
الميل الى الزينة والمباهلة وفرط السخاء على من يعتقدون حرمتهم بل يرون
ان ما يملكونه في حقهم قليل لا يفي بما يجب لهم عليهم حتى يرقوهم الى اوج الغنى
والثروة والشوكة فهم ذاهبون شأثر ثروة كنيسة رومة ونفوذ كلمتها في سائر بلاد
اوروبا حتى شمت منها طائفة اللايين مع ان كرمهم القوط واسراذهم
كان هو السبب في ذلك

مطلب
فرط غنى الكنيسة وظلمها
في المانيا

واعظم ظلم القسوس كان يلاذ المانيا ولذلك ترى ان الالمانيين مع
شدة ميلهم الى عوايدهم القديمة كانوا مستعدين اكثر من غيرهم من الملل
الاخرجية لتباعد من يسير عليهم بطلب الحرية وانفלוخ من اسرار الكنيسة
ففي انشاء المشاجرات والمناسعات التي مكثت مدة مستطيلة بين الالمانيا واطر
والبابايات في شأن التقليد بالمتاسب والوظائف هل هو حق البابا او حق
الالمانيا وروفي مدة الحروب التي تسببت عن هذه المشاجرات انضم اغلب
كهنة المانيا الاقوياء الشوكة الى حزب البابا وكانوا في مدة عصيانهم على
الالمانيا وروفي يغلبون على ايرادته ويجوزونها لانضمامهم بالقهر والغلبة وافتاوا
ايضا على احكامهم الخاصة به فيما تعلق ببارشياتهم وبعد انعقاد الصلح استمروا على
حفظ ما كانوا غضبوه كأن طول مدة وضع اليد عليه بمحض التعدي جعله حقا
شرعيا لهم وكانت شوكة الالمانيا بطرسة حيث ضعيفة بحيث لا يمكنهم
ان يسترجعوا ما غضبهم منهم هؤلاء الكهنة فاضطروا الى ان ينزلوا لهم عن جميع
الارضى الواسعة التي غضبوا منهم لتكون التزامهم فصار الكهنة من وقتئذ
يتمتعون بجميع المزايا والخصوصيات التي كان يتمتع بها الاساقفة
والبارونات بموجب المذهب الاتريخي ومن ثم صار معظم الاساقفة ورؤساء
الاديار ملوكا داسوسا وصارت طبائعهم واخلاقهم كطبايع دواوين امراء

سنة ١٥٢٠

مطلب
تغلب القسوس على بعض
الاراضى

اللايك لا كتبائع القسيسين الذين من دأبهم العفة والديانة والزهد في زهرة
الحياة الدنيا

وزيادة على ذلك كانت حكومة المانيا مضطربة لاستقرار على حال وكانت
الحروب لاتقطع منها ابدا فاعان ذلك القسوس على تحصيل غناهم وازدياد
شوكهم وفي مدة الحروب التي كانت بها بلاد المانيا في اسوء الاحوال
لم يسلم من ظلم الاكابر والاعيان واهوال الحرب الا اراضى الكنيسة والتزامات
القسوس لان الناس وقتئذ كانوا يحترمون القسوس كل الاحترام ويخشون
ان يحكموا بالحرمان والكفر على من يعتدى على اراضيهم لانهم كانوا دائما
يعاقبون باللعن والطرده من تعدى على املاكهم ولذلك اضطرت عدة من
الملترمين الى ان ينزلوا على اراضيهم للقسوس ثم يسترجعوها فتكون تحت ايديهم
على انها من التزامات الكنيسة وانما فعلوا ذلك لانهم كانوا بعد صيرورتهم بذلك
في حوى الكنيسة واندر ارجهم في زمرة اتباعها يصيرون في أمن عظيم لا يمكنهم
تقصيره ببعض قواهم وشوكهم

ولما ترتب على ذلك كثرة اتباع الكنيسة تقوت شوكة القسوس وصار لهم صولة
عظيمة لاسيما وكانت الاراضى التي يعطيها صاحبها لغيره على سبيل
الاتزام ترجع اليه غالباً بموجب الرسوم الموجودة اذ ذلك في شأن الاقطاعات
الموجلة فعمال قليل كثرت اراضى القسوس واتسعت دائرة التزاماتهم

مطلب
من ايا القسوس الذاتية

وكان اعتناء القسوس بتحصيل الامن لانفسهم اكثر من اعتنائهم بتحصيله
لاملاكهم واراضيهم فكان فجاجهم فيه اعظم وذلك ان الانسان عند دخوله
في خرقه القسيسين كان ينصب له موكب واحتفال عظيم ثم بعد دخوله فيها
وعده من زمرة اصحابها يعتاز عن بقية طوائف الاهالى في الملابس والعيشة
وتثبت له من ايا وخصوصيات لا يشركه فيها غيره من النصارى فصار
القسوس بذلك محترمين كل الاحترام وكان كلما ازدادت الاوهام والبدع ازداد
اعتقاد الناس فيهم واعتبروهم كلهم خلق آخر غير اللايك الذين هم مطية
الخطايا والمعاصى فاذن لا ينبغي معاملتهم كعامله الناس ولا الحكم عليهم

بموجب القوانين المرتبة لكافة الناس ومن فعل ذلك معهم فقد أتم أشاعظيا
وبعدان كانت معاقبتهم من الاحكام المدنية اولاليسن الاعلى سبيل التفضل
والاكرام طلبوا ان تصير لهم من بخله حقوقهم الذاتية التي لا يمكن نزعها منهم
ولا انفصالها عنهم وايدهم في ذلك البابا والاوامر الصادرة من المشاور
القسيسية واقترحهم عليه ايضا اعظم الاميراطرة فكان الانسان مادام موصوفا
بوصف القسيسية محترم الذات لايجرى عليه شئ من الاحكام المرتبة ولا يقضى
عليه بين يدي قاض من القضاة الا بعد عزله وانسلاخه من الطائفة القسيسية
وكان عزل القسيس من خصوصيات المشاورالقسيسية فكان اذا ارتكب
قبيس ذنبا لا يعاقب غالبابما جنى لان صاحب الحق كان اذا اراد خلاص
حقه من احد القسيسين يلزمه مصاريف واسعة حتى يتوصل الى عزل خصمه
وقل ان امكنه الفوز بعزله بعد المشقة والعناء ولذلك عهدان كثيران اشرار
الناس كان يدخل في خرقته لمجرد التمتع بتلك المزية العنيفة وليخو من العقاب
الذي استحقه بسبب الذنوب والمفاسد الكبيرة التي ارتكبها وطالماتشكي
اشراف المتأسي من كون هؤلاء القديسين الاشرار انما دخلوا في خرقه
القسوس ليتخلصوا من القتل الذي وجب عليهم بما جنوه حيث ان الواحد
منهم بعد دخوله في تلك الطائفة لا يلحقه اذ في ضرر ولو كان قبل ذلك فعل
ما فعل ويفهم مما كتبه الاشراف في تسكينهم من هذا الامر انهم كانوا يتضررون
كذلك من معاقبة القسوس من الاحكام السياسية ويعتدوهم انهم
المزاي التي تضر بالناس وتعين على فساد اخلاق القسوس وتزيد في طغيانهم
وبغيم

وكما كان القسوس يذلون غاية جهدهم في انبات مزايهم كانوا يعتدون ايضا
على مزاي الااليك حيث زعموا ان جميع الدعاوى المتعلقة بالنكاح والوصايا
والرأبوا ثبات كون الولد متولدا من حلال او حرام وكذلك ما يتعلق بالارادات
القسيسية كل ذلك من الامور الخاصة بالدين فلا يجوز فصلها في محاكم
اخرى غير المحاكم القسيسية ولم يكنوا يتغلبون على هذا الامر الذي يدخل تحته

مطلب
تقلب القسوس على
الاحكام المدنية

سنة ١٥٢٠

نصف المحاصيات والدعاوى التي تقع بين الاهالي حتى تحيلوا وجعلوا سائر
الدعاوى انما اتهم في محاكمهم ودواوينهم وحيث ان ذلك العصر كان عصر
جهالات ومعارفه البيرة مقصورة على طائفة القسوس كانت معارف
القضاة من القسيسين فوق معارف قضاة اللايك حتى ان الناس في بدء
الامر ظنوا ان مصلحة حالهم تقتضي ان يساعدوا القسوس ويعينوهم على
توسيع دائرة فتاواهم واحكامهم لانهم كانوا ينقون بهم اكثر من الاخرين
من طائفة اللايك لما كانوا رونه فيهم من كثرة المعارف بالنسبة لقضاة
اللايك وترتب على ميل الناس للقسيسين ان صارت احكام اللايك
تضمحل شيئاً فشيئاً حتى كادت تنعدم بالكلية وكان ذلك ايضا من جملة الاسباب
التي اعانت على ازدياد شوكة القسيسين حيث اتسعت دائرة ايراداتهم بما كان
يردهم من فصل الدعاوى

مطلب
خوف الناس من
القسيسين

وكان الناس حينئذ يخشون بأس الكنيسة ويخافون غضبها لان الحرمان لم يكن
الفرض منه بسبب الاصل الا ابتداء طهارة الكنيسة واذهاب الرجز عنها
فكان لا يقع الحكم به الا في صورة ما اذا اريد طهيرا الجمعية النصرانية من كل
فاسق عنيد له عقاب زائلة تجعل عيشته بين الناس موجبة لتدنيس دين
النصرانية ولكن توسع فيه القسيسون فيما بعد حتى جعلوه آلة يستعينون بها
على ازدياد شوكتهم الديوية فكانوا يحكمون به على الانسان في نظير اشياء
هيثة لا تترى بمرورة ولا انسانية فكان كل من احتقر شيئاً من احكامهم
ولوى الامور المدنية المحضة يحكم عليه بالحرمان فتداب منه جميع المزايا
النصرانية ويجرم من الحقوق الثابتة لانباء وطنه بل ومن حقوق كل انسان
من الجمعية من حيث كونه انساناً ونبأ على ذلك كان الناس يخشون عاقبة
الحرمان فكنت تراهم على اختلاف احوالهم يتجادون لاوامر القسوس
ويعتزلون احكامهم لا فرق بين صغير وكبير وحقير وخطير

مطلب
تحليل القسوس في تحصيل
الوسايط التي يأمنون بها
على ما ثبتوه لا قدمهم من
الحقوق والمزايا

وكما ان القسوس سلكوا سبل التحيل والمهارة فيما يكون به ازدياد ثروتهم وغناهم
ونفوذ كلمتهم لم يعملوا كذلك في تحصيل الوساطات التي بها يأمنون على بقاء تلك

الثروة لهم حتى لا تنفذ عن خرقهم على مدا الأيام فاعلنوا ان اراضي الكنيسة
واملاكها لا تباع ولا تشرى ولا ترهن ولا تنقل الى ملك غيرها بآى وجه كان
لانهم موقوفه لوجه الله تعالى ومن المعلوم ان الاموال التى تكون دائما
فى الزيادة من غير ان يضيع منها شئ تباع فى الكثرة اقصى الدرجات ولا يكون لها
حد تقف عنده فيجوب الحسابات التى حررت فى المانيا وجدين ايدى
القسوس ما يريد على نصف اموال الملة وكانت هذه النسبة تختلف باختلاف
الممالك ولكن كانت اموال القسوس فى كل محل قد بلغت مبلغا لا يزيد عليه
وايضا كانت اراضيهم الواسعة معا فاة مما كان مفروضا على املاك اللايك
من الخراج والجبايات فى بلاد المانيا كان القسيسون معافين من سائر
انواع الجرائم وكان اذا طرأت عوارض جسيمة غير المعتادة واعطى القسيسون
شئ للدولة لتستعين به يكون ذلك بمحض تفضلهم واحسانهم ولا حق الحاكم المدينى
فى الزامهم بذلك بل ولا فى مجرد التماسه منهم وبسبب هذه الاشياء التى لا يرضاه
عاقل كان على اللايك فى المانيا جميع ائقال الجرائم والمغارم وكان
القسوس معافين من ذلك كله ولا يجب عليهم شئ مما لا بد منه فى اعانة الدولة
والمدافعة عنهم انهم كانوا اغنى الناس واكثرهم عقارا واملاكا
ومع ان اهالى الجمعية الجرمانية كانوا يضربون من مزايىا القسوس وسعة
ثروتهم تقول انه لو كانت تلك المزايى ايدى قسوس طائفتين ببلاد المانيا
لما تضربوا منها بهذا المشابه وذلك لانهم لو كانوا طائفتين بهما لما طغوا وتمردوا
لكثرة اموالهم ولما بغوا وجاوزوا الحدود بسبب الحقوق التى كانت ثابتة لهم
الا ان اساقفة رومة كان لهم من مبدء الامر دعوى عريضة لم يصدر مثلها
عن النفوس الطماعه وهى انهم كانوا رؤساء دين النصرانية وانهم معصومون
عن الخطاء والزال وكانوا يسلكون سبل المخادعة والسياسة من غير ان يفتقر
لهم همة او تقة بهم العواثق الجمة ويغتمون كل فرصة لاحت لهم من جهل
الاهالى وقتئذ ومن يدع بعض الملوك واضطرار البعض الاخر فخر برأوا كذلك
حتى توصلوا الى التجاح فى تلك الدعوى وان كانت مخالفة للعقل والمصلحة

مطلب
القسوس الذين كانوا
بألمانيا كان أغلبهم اجنبيا
منها

سنة ٥٢٠ هـ

العامه فكان القسوس في بلاد المانيا مطلق التصرف اكثر من غيرها حيث كانوا يتقون اعظم ايمراطرتها او يعزلونهم متى شاؤوا وكانوا يوقعون الفتنه بينهم وبين وزرائهم ورعاياهم بل واولادهم حتى يقوموا عليهم ويخرجوا عن طاعتهم وفي اثناء هذه الفتن والمنازعات كان البابات لا يغفلون عن توسيع دائرة مزاياهم وكاؤا يلبون من طائفة الالايك والامر آء اعظم خصوصياتهم وحقوقهم وبالجملة فبلاد المانيا حصل لها غاية المشقة والتعب من شدة ظلم هؤلاء القسوس الاجانب وفرض طمعهم الذي باورالحد

مطلب
كان قسوس المانيا
يصحهم البابا

وفي اثناء الفتن والتقلبات التي حصلت بتلك البلاد تغلب بابات رومة على حق اقطاع الاراضي فكان ذلك سببا آخر في تقوية شوكتهم الدينية وازديادها وكان ايمراطرة المانيا وامر آءها قبل ذلك بزمن طويل يتمتعون بهذا الحق فكانت به سطوتهم ساطعة وازدادتهم واسعة فلما اغتصبه منهم البابات صارت السطوة لهم حتى كان يمكنهم ان يعلوا والايماطورية من اتباعهم واشرافاتهم فكانت ترى في كل اقليم اناسا كثيرين قد تعودوا على عدم الطاعة للايماطورة وصاروا يتقادون للكنيسة الرومانية وفي جميع البلدان كانوا يعطون الاقطاعات الواسعة النفيسة للقسرياء لالاهاى فكانت خزائن ممالك اوروبا تنفذ في تزيين ديوان رومة وزخرفته وازداد عتو القسوس وبعيهم حتى ان البدع الكثيرة والاهام التي كانت تحمل الناس في تلك الاعصر الجاهلية على احترام القسوس لم تمنع فقور الناس من ظلم القسيسين ومجاوزتهم الحد وقد كثر اهل المانيا الشكاوى وعيل صبرهم حتى خشي البابات ان تكون عاقبة ذلك مشؤومة عليهم ففساهلوا ورضوا بالنزول عن بعض حقوقهم واكتفوا بحق اقطاع الاراضي التي يمكن بدون مال مدة ستة اشهر من السنة وتركوا ماعيدا ذلك لامرآء والسادات يتصرفون فيه كيف شاؤوا

مطلب
الوسائط التي استعملت
لتضييق دائرة شوكة
البابات ولم يكن لها ثمرة

ولكن لم يمكن ديوان رومة مدة الا ووجد له وسائط يتخلص بها من هذا

الامر الذي ضاقت به دأثرة شوكتهم وذلك انه كان ثم عادة قديمة تشكي منها
الناس غير مرمية وهي ان البابا كان له في كل بلدة بعض اراض مخصوصة
لا يقطعها الا هو فبعد ان ضاقت شوكتهم من المهمة السابقة جعلوا تلك
الاعداء مطمح انظارهم وتوسعوا فيها حتى جاوزت حدودها القديمة فجعلوا
من جملة ما صدقاتها جميع الاقطاعات التي على حكمها للكرديشالات وارباب
الوظائف بدويان رومة الذين كان لا يحصى لهم عدد وجميع ما انفصل من
اقطاعات القسوس الذين يقيمون في مدينة رومة او يقيمون بالبعد عنها
بمسافة اربعين ميلا سواء كان الميت ذاهبا اليها او آيئامنها وكان يدخل تحتها
ايضا جميع الاقطاعات التي تبقى خالية بعد انتقال مالكها الى محل آخر وكذلك
اقطاعات اخرى لا حصر لانواعها وبالجملة فالبابا جاليوس الثاني والبابا
ليون العاشر توسعا في ذلك بقدر ما امكنهما حتى ان اغلب الاراضي التي
اقطعها لم تكن من جملة ما هو مقرر في الشروط على وجه الصراحة وتعللا
بانهم ابقيا لانفسهم في المذهب والنية حق الاختصاص بهذه الاقطاعات
مع ان حق ابقاء الاختصاص ذهنا ونية كان وقتئذ لا يعمل به الا في شأن
الاقطاعات التي تكون خالية عن الولي او المالك عند عقدية الاختصاص
فلاجل ان يتخلص البابا من ذلك ويصكو فوا مطلق التصرف في شأن
الاقطاعات كما كانوا اولاجددوا الامر آخر سموه بالانعامات المترتبة ان تكون
محلولة وهوان يكون لهم الحق في تعيين من يكون له الاستيلاء على ارض عند
خلوها من المالك فهذه الوسطة صارت الاميراطورية الالمانية مشحونة
بقسوس لا يتقادون الا بدويان رومة ولا يميلون الى حزب غير حزبه بسبب تلك
الاقطاعات المترتبة التي لا يكون الحق فيها سواء وحرم الامر آ ثانيا من اغلب
مزايدهم وصارت حقوق امر آ اللابيك عرضة للزوال والواقع لها

وبما ملكه القسوس في هذا الشأن من الطرق الخبيثة ازداد بغضهم عند الناس
وشمت منهم النفوس وجاوزت اطعامهم ومظالمهم الحدود حتى صار يضرب
الملك بدويان رومة في ذلك اذ كان هذا الديوان يبيع الاقطاعات جهره على

مطلب

بيع ديوان رومة
للاقطاعات

سنة ١٥٢٠

رؤوس الاشهاد حتى صار التجار يشترون من مرتقة البابا اراضي الابريشيات
الالمانية بمجمله ويسعونها مرتقة فيكسبون فيها مكسبا عظيما وكان الاختيار
يتضررون من هذه القفال التي هي بيع الدين بالنيا ولا تليق بالاقسة حيث
انهم عماد دين النصرانية فكان اهل الدول وارباب السياسات كانوا يتأسفون
كل الاسف على ما يعرض للدول من المنسارة بسبب تلك التجارة التي كانت
تذهب باموالها الى الدولة الرومانية

مطلب

كان ديوان رومة
يستغرق اموال سائر
الدول ويجوزها

وبالمجمله فالمبالغ التي كان يأخذها ديوان رومة من جميع البلدان التي تحت
حكمه كانت جسيمة جدا بحيث لا يستغرب قهرا اناس من ضرب مغارم اخرى
عليهم زيادة على ذلك وان كانت قليلة جدا ما لم تكن ناشئة عن ضرورة ظاهرة
جلية وذلك لان كل قسيس اخذ ارضا كان يدفع للبابا ايرادتها في السنة
الاولى فكان يحصل من ذلك مبالغ جسيمة ومقادير عظيمة وزيادة على ذلك
كان البابا يطلب دأتمامن القسوس مبالغ اخرى على سبيل التبرع وكان له
العشر في محصولاتهم متعللا بأنه يصرفها في الحرب مع المسلمين مع ان ذلك
لم يكن يحطره ببال فاذا تأمل الانسان في تلك الابواب التي كان يأتي منها ايراد
ديوان مدينة رومة علم عظم المبالغ والكميات الجسيمة التي كانت تحوزها
تلك المدينة

مطلب

بمجموع نتائج هذه الاسباب
السابقة

هذا ويمكن للانسان ان يستدل بذلك كله على فساد اخلاق القسوس وفسارط
غناهم وثروثهم وعظم مزاياهم وشوكهم قبل تظاھر لوتير بتقضى دين
الكنيسة ويستدل ايضا على ظلم الباباوات وبجحافهم بالتصاري وعلى اعتبار
الناس لهم في اوائل القرن السادس عشر ❦ ولا يخفى اني لم اقل هذه الاشياء
المتقدمة عن مؤلفي ذال العصر الذين كانوا يقدحون في الكنيسة ويناقشون
امورها حتى يتوهم ان ذلك من قبيل المبالغة لما ان هؤلاء المؤلفين كانوا يريدون
دمار الكنيسة فيالقوا في ذمها وتعدا خطاياها ومفساد احكامها وانما
استنبطتها من مواد صحيحة يعتمد عليها فاستخرجتها من دفاتر مشاور الديوت
الالمانية ومن تقارير شركواها حيث يوجد في تلك الدفاتر جميع النظام التي

كانت تشكى منها الايمراطورية وتطلب ازالها لاسيما وكانت تلك المظالم
مذكورة بعبارات باردة تدل على انها خالية عن المبالغة والاطراء حيث
ان عباراتها ليست عبارات المتحامل فاذا علم الانسان ان هذه المشاور مع
صولتها وتعود كلها اذ كان ذلك كانت تشكى من هذه المظالم وتطلب ازالها اعتقد
ان الاهالي كانوا يشكون اكثر من ذلك وكم كانت تزهق نفوسهم من ظلم
القسوس

مطلب
استعداد الناس
وصلاحياتهم لاتباع
مذهب لوتير

ولما كانت العقول حينئذ بهذه المثابة وكان الناس يحبون التخلص من اسر
ديوان رومة كان لوتير متيقنا النجاح في مشروعه فبعد ان انشربهم ظلم
هذا الديوان كل الاضرار ومكنوا زمنا طويلا وهم في كرب شديد من ظلم
القسوس وبغيمهم فرحوا كل القسح بتلك القسرة التي تنقذهم من هذا الظلم
فنم استخسفت الاراء والمذاهب الجديدة وقبلت مع غاية الفرح والسرور وعما
خليل انتشرت في سائر اقاليم ألمانيا نعم ان حجة لوتير وما سلمه من الطرق
في نشر مذهبه وذهم من لم يتابعه عليه اوجبت له اللوم في العصر التي تهذبت
فيها الاخلاق وعدت من المثالب التي زرى بعرضه ولكن لم تنفر منها النفوس
في عصره بل انتشرت منها الصدور لان الناس وقتئذ كانوا في كرب عظيم
من ظلم البابا وفساد الاخلاق القبيسية التي كان لوتير يريد
اصلاحها

فلم تنفر نفوسهم عما ذكره في مؤلفاته من اساءتهم والقبح فيهم ولا من خضرته
واستهزائه بهم حتى كان في بعض الاحيان يمزج الجحد بالهزل لانه في تلك
العصر انخسفت كان الناس في مجادلاتهم مع بعضهم لا يتجنبون المسبة
والفحش بل كانوا يأتون بالهزل في كل مقام جليل وكان ذلك من الاسباب
الاكيدة التي اعانتته على افهام الناس ضلالات البابا ومظالم القسيسين التي
تقرت منها الطلوب وحلت الناس على التخلي عن حزب الكنيسة

مطلب
اختراع فن الطبع واعانتته
على تقديم النسخ

وقد انضم الى هذه الاسباب المستندة من نفس هذا المشروع ومن مقتضيات
الاحوال ان ذلك الاسباب اخرى اجنبية استفاد منها لوتير فواتد جلية

لم تنسر لمن سبقه في التصدي لتخطئة الكنيسة الرومانية فن أقوى هذه
الاسباب الاجنبية واعظمها نفعاً اختراع فن الطبع الذي كان موجوداً من
قبله بنصف قرن وذلك ان هذا الفن النقيس كان قهقهه عيما حيث سهل به
اكتساب العلوم وانتشارها على وجه عجيب فانتشرت به في اقرب وقت
مؤلفات **لوتير** ييلاد الافرنج بأسرها ولولا هذا الفن لما وصلت هذه
المؤلفات الى البلاد البعيدة الامع غاية البطي وربما كان لا يترتب عليها ثمرة
اذا كانت المؤلفات لا تقرأها الا العلماء والاغنياء لانه قبل اختراع فن الطبع
كان لا يقيس افرار الاغنياء بمحصل الكتب لغلوها وتدرتها واما مؤلفات
لوتير فكثرت بأيدي الناس وقرأها الغنى والفقير والجليل والحقير وكان **لوتير**
يعرض عليهم مذهبه بصورة الاستهتام عن آرائهم هل يوافقون عليه ام لا
فاغترأوا بكونه جعلهم حكايته وبين اخصامه ويحتملوا في اصول الدين واحكام
الكنيسة ورفضوا ما لم تستحسنه عقولهم وانما كانوا مكرهين على اتباعه
واعتقاده من غير ان يعرفوا اصله ولا كيفية استمداده من الدين
وقد حصل في ذلك الزمن ايضا احياء علم الادب فكان من الاسباب الطارئة
التي اعانت **لوتير** كل الاعانة على تقدم مذهبه وذلك ان الناس اشتغلوا
بمطالعة كتب قدماء مصنفى اليونانيين واللاطينيين فعرفوا منها اللطائف
التي تؤدب الانسان وتهذب ذوقه وطبعه واستيقظت بذلك العقول وخرجت
من غياهب النفل بعد ان مكثت فيها عدة قرون فبرئ للناس حينئذ على حين
غفلة ما سلكه التفكير والتعقل التي كانت قد قدت منهم ولما فتحت لهم تلك الابواب
وانضحت لهم السبل اخذت عقولهم تجول في كل مادة من غير ان تخشى
الجولان فيها حيث ظهرت لهم معالمها وانضحت لهم مسالكها فصاروا
لا يخشون التمسك بالمذهب الجديد حيث كانت الافكار ترز كل مادة وتعرف
غناها من سميتها وتبرهجاتها من هيجتها وصار الناس يرغبون كل الرغبة في كل امر
جديد ويعتبرون فضل مجدها بالكل اذا كان في مادة شريفة كادة الدين
فلذا لم يفرغوا من **لوتير** حين تجامر على كشف الغطاء عن ضلالات الكنيسة

مطلب
اعانة علم الادب على تقدم
النسخ

الباطلة وترهات العاطلة بل حصل لهم غاية السرور من جسارته واعانوه على
تتيم مقصدهم لم يكن قلم لوتير في التأليف سيالا ولا عياراته عذبة منسجمة
الا انه بذل جهده في احياء الادب القديمة وتوسيع دائرته فاقان لما كان
يعرف ان الانسان لا يمكنه كشف امر الكتاب المقدس ولا الوقوف على
دقائقه الا بعد التمكن من العلوم الادبية فشرع بكلمته لمعرفة اللغة اليونانية
والعبرانية حتى صار له في هاتين اللغتين الحظ الاوفى وقد نتج عنه من تلامذته
في تلك العلوم نجما عظيما منهم الشهير ميكفتون ثم ان جهلة الرهبان
الذين وقفوا في مذهب لوتير وتصدوا لابطاله وتخطتته بذلوا جهدهم
في منع دخول العلوم الادبية لبلاد المانيا حيث قالوا ان ما هو واقع من
قبول الناس لمذهب لوتير انما هو من جهة ما ترتب على تقسيم تلك العلوم
فمن ثم كانت هي ومذهب لوتير معتبرين كأنهما امران متلازمان لا يفتك
احدهما عن الآخر وكان لهما في كل بلاد مساعدة ومعاند وبالجمله فجمهرة
الادباء فاق الناصحون اخصاصهم حتى كانوا يجمعونهم ويلزمونهم الحق في كل
مادة جادلهم فيها وذلك ان الناصحين كان لهم سعة اطلاع ومزيد ثبات ويمكن
وهذه ناقب له اقتداره على الجولان في المواد العويصة وكانت عبارات تأليفهم
تأخذ بجماع القلوب لروعتها وعذوبتها واشتمالها على الملح الادبية والتسكات
المستحسنة فكان يسهل عليهم الخيام الرهبان حيث كانوا وقتئذ جاهلين
لامعرفة لهم بعلم الميزان فلا يحسنون اقامة برهان ولا تركيب قياس بل كانوا
يأتون بعبارات ركيكة مستعجبة تجلبها الاسماع فلم يكن لهم اقتدار على تعصيد
ضلالات الكنيسة التي لم يمكن لمن تصدى من نجباء المتأخرين لتأييدها ان يستروا
عيوبها مع انهم اعظم منهم علما وحرما

فلما انتشرت العلوم الادبية في بلاد اوربيا وانسلت العقول من احوال الفةلة
صار الناس يهضمون عن كل شيء ويرغبون في معرفة اصوله وفروعه فاعان
ذلك كثيرا على تقدم النسخ ونجاحه وتوسيع دائرته حتى ان عة اناس كانوا
قبل ذلك لا يرغبون في نجاح لوتير اعانوه على مشروعه اتم الاعانة وحسنوا

للتاس قبول مذهبه واتباعه بل ظهر لاغلب ذوى العقول الذين اجتهدوا
 في العلوم الادبية القديمة في اواخر القرن الخامس عشر واول ثل القرن السادس
 عشر فساد عدة من اصول الكنيسة وقواعدها فعرفوا ان ما اتاهه الرهبان
 والقسوس على تأييد تلك القواعد لا يقوم دليلا على ذلك مع انه لم يكن لهم
 غرض في نسخ دين الكنيسة
 فصار هؤلاء العلماء يقدحون في عدة من احكام الكنيسة ويخطئون كثيرا
 من اصولها ويحرقون جهالة القسوس الذين كانوا يعضدونها وآل امرهم
 ان صاروا يسخرون من تلك الاصول التي هي مبنية على الخطاء والضلال
 ويشنعون بها على الكنيسة فحسن تشيعهم هذا لعقول الناس ذم لوتير
 وقدحه في الكنيسة واضاع من قلوبهم احترامهم لاختصاص لوتير وقدم
 ذلك سائر الاقطار لاسيما اقطار بلاد المانيا فانه لما شرع اهلها في احياء علوم
 الآداب القديمة وكان قسوسها اجمل من قسوس البلاد الاخرى تصدوا لمنع
 هذا المقصد وبذلوا في تعطيله غاية جهدهم غير ان المتولعين باحياء تلك العلوم
 جدوا في ايداء هؤلاء القسوس وذممهم والوقوف في اعراضهم بكل كريمة
 فطالما شنع الشهير روتلين والماهر هوتان وغيرهما من احيوا
 الآداب في بلاد المانيا على الكنيسة الرومانية وتجاوزها الحد في المفاصد
 وبالغوا في ذلك حتى ان مؤلفاتهم لم تكن في هذا المعنى دون مؤلفات لوتير
 ومما ترتب على علوم الآداب ايضا ان الشهير آيراسم كان يقذف الكنيسة
 احياءا وبيين ضلالا لها ويطير في ذم جهالة القسوس وردا ثلهم وكان
 له في اوائل القرن السادس عشر شهرة عظيمة وكلمة نافذة يلاذ اوروبا
 فلذا كان الناس كافة يرغبون في مؤلفاته وتفسر صدورهم بطلانها
 حتى ان ما ترتب عليهما من الترات حري بالذكر هنا حيث انه من اعظم الاسباب
 الاكيدة التي فصح بها لوتير فقولان آيراسم اعتمد من مبدء امره
 للدخول في الكنيسة فمارس من صفه علوم القسوس حتى فاق احبار
 عصره في القمص عن اسرار العلوم التبولوجيكية اى علوم الالهوت

واستكشف به هذه الثاقب وفهمه الصائب واتساع دائرة علمه مقدارا جبا
من ضلالات الكنيسة الرومانية وبدعها في المعاملات والعبادات وانكر بعض
هذه الضلالات بأدلة قاطعة البساحل فضاحته الساطعة وشنع على البعض
الاخر ورماه بنبال الاستهزاء والذم وكان يحسن الرمي في هذا المعنى حتى اثار قوله
في قلوب الناس تأثيرا قويا وبالجملة فقد عثر هذا الحبر الشهير على العقائد الفاسدة
والعواید السكاسة التي كانت في كنيسة رومة وشرع لوتير في محوها
ونسخها وشنع عليها ذلك الماهر كل التشنيع قبل لوتير ولم يقته منها الا القليل
النادر فلما اخذ لوتير في القدح في تلك الكنيسة وافساد قواعدها اجابه
ابراسم بالتهليل وسعى في تجديد المحبة بينه وبين عدته من اصحاب لوتير
واحرابه وبذل كل جهده في ذم اخصله وقع اعدائه واستحسن آراءه على
رؤوس الاشهاد واعانه على قهر الاحبار الذين كانوا يدرسون بالمدارس العلوم
التيولوجيكية وشنع على القسوس الذين كانوا يعظون الناس ويحثونهم
على اتباع مذهب الكنيسة الذي يوجب المضرة والمعزة واعانه ايضا اتم الاعانة
على استماله عقول الناس الى مطالعة الانجيل واتخاذ قدوة يرشدهم الى
حقيقة دين النصرانية ويحربهم ان لا يعملوا الا بما نص عليه من العقائد
والاحكام

ولكن كان ثم عدته اسباب منعت ابراسم عن اقتفاء اثر لوتير في النسخ
وتلك الاسباب هي انه لم يكن عنده جسارة حتى يخاطب نفسه مثل لوتير بل
كان شديد الخوف والفرع مجردا عن ثبات الجنان الذي به يتأثر الانسان
ان يقتحم اخطار مثل هذا المشروع الجسيم وهو نسخ شيء من قواعد هذا الدين
الذي كان متمسكا من قلوب الناس ومتسلطا عليها حتى صار لامناته اعنى
القسوس سلطة كبيرة على جميع البشر وصار اجلالهم من الامور الواجبة
على كل انسان لاسيما وكان ابراسم المذكور يطبع الاكابر وارباب المناصب
ولا يرد لهم امر او ذلك لاسباب منها انه كان يخشى ان يميز دوه عما تعموا به عليه
من المرتبات والمزايا ومنها انه كان يحب دولم الصلح والراحة ويغض التعكير

والذين فكان لا يرضى ان تصدى لنقض دين الكنيسة الرومانية لعله بما يترتب عليه من الشقاق بل كان يأمل انه مع الرقي والملاطفة وطول الزمن يمكن ازالة مظالم الكنيسة وضلالاتها ومحومفسادها شيئاً فشيئاً وبالجملة فكانت مقتضيات الاحوال اذذاك تحمله على العدول عما صدر منه في مبدء الامر من التشجيع على الكنيسة حتى صار اشبه بمجتلبين لوتير واخصامه لاظهره يأخذ بناصره فيما شرع فيه من النسخ لكن وان عدل ايراسم عن مذهبه الاول وصار من جملة من يلوم لوتير على جسارته وجهته حتى زعمه فيما بعد ان يؤلف كتاباً شنع فيه على لوتير الا انه كان في الواقع حليفه وظهره في نزاهة في ميدان المنازعة مع كنيسة رومة كما انه كان اول من فتح له ابواب هذا الحروب ومهد له سبيله فهو الذي غرس اول زرع و لوتير عاناه واعتنى به حتى طابت ثمرته فنهاها فسخره ايراسم من الكنيسة ونكاهه اللطيفة في التشجيع عليها هي التي مهدت السبل للوتير في نهما والتشجيع عليها على رؤوس الشهداء كما يشهد بذلك احزاب الكنيسة الرومانية من كان معاصراً لآيراسم وذلك لا يخفى على من قرأ تاريخ ذلك العصر وعرفه حق المعرفة ولا يخفى اني فيما ذكرته من الاحوال التي اعانت لوتير وحسنت مذهبه للعقول واعيت اخصامه واعداً لم اعرض لذكر شيء من المناقشات في شأن قواعد الكنيسة الرومانية ولم ابرهن على ان هذه القواعد مخالقة لصحوى دين النصرانية وانها لا اصل لها في العقل ولا في الكتاب المقدس بل ولا في رسوم الكنيسة بحسب الاصل بل تركت ذلك لمؤرخي القسيسين لانه من خصوصياتهم ولكن اذا نظر الانسان الى هذه الاشياء المتنبسة من الدين ونظر ايضا الى الاسباب السياسية التي كانت موجودة وقتئذ لا ينبغي له ان يستغرب ما نشأ عن هذين الامرين على حين غفلة من التأني في عقول الناس وذلك ان عصر في لوتير كانوا على شدة القرب من محل الواقعة فلم يمتحنوا اسبابها مع التؤدة والتأني لما داخلمهم من مزيد التعجب من امرها وسرعة غياجها او كان لهم فيها مصلحة وغرض فلم يحكمهم ان يتقوا على حقيقة تلك الاسباب

سنة ١٥٢١

واشكى على بعضهم سرعة انتشار مذهب لوتير فعد ذلك من الانتصافات
العجيبة التي صارت بها عقول الناس مستعدة لقبول هذا المذهب والحق ان
فتح لوتير في ذلك انما نشأ عن عدة اسباب معلومة اعانته حق الاعانة على
تعيم مقصده هذا ونأمل ان ما ذكرناه في بيان هذه الحادثة القريبة المهمة
ومعرفة اسبابها لا يعتمد من باب الاقتضاب المجرد عن القائدة ولترجع الى
موضوع تاريخنا الاصل فنقول

مطلب

مذاكر مشورة

الديت بمدينة وورمس

سنة ١٥٢١

لما انقضت مشورة الديت بمدينة وورمس طالت مدة المذاكرة كما هو
العادة في المشاور العمومية من البطي والتدقيق ومكث اربابها مدة طويلة
في وضع قوانين داخلية لضبط الايمراطورية وربطها وانتوافها للمجلس
الايمراطوري ان تكون الكلمة العليا في الحكم وان يكون المرجع اليه
وجعلوا صورة مستحسنة لاقامة الدعاوى به حيث ابدلوا طريقتها الاولى
بطريقة اخرى احكم منها واتقن وجحدوا مجلسا يقال له مجلس النيابة
او المعاونة اعتمدوا لسان الامير فرديناند على تدبير امور الايمراطورية مدة
غيبه اخيه الايمراطور شريك لان له فكرة عمالكة ومصالحة كان لا يمكنه
ان يستمر على الاقامة بالمانيا ثم تفاوضوا في شأن الدين وكان هنالك اسباب
تدعو الايمراطور شريك الى حماية لوتير واعانته على تعيم مقصده
ولو باطنا لانه كان له في المانيا اراض واملاك كثيرة ولولم يكن له من الالتزامات
سوى الجفالك الموجود فيها ولا من التيجان سوى تاج الايمراطورية لكان
فذلك كافيا في حله على اعانة لوتير وحمايته حيث انه كان يدافع عن
الخصوصيات التي مكنت ايمراطرة المانيا يدافعون عنها من بايات رومة
زمناطو بلاغير انه لما كان الملك فرسيس ملك فرانس يسبح دائما
في اضراؤه وتعطيل مصالحه الجأته الضرورة ان يسلك في مقاصده مسلكا
اوسع مما يسلكه امير من امراء المانيا فلم يجسر على اعانة لوتير وحمايته
لما رأى ان ذلك يضرب بمصالحه في غير بلاد المانيا ورأى انه لا بد له من استماله
قلب البابا والتودد اليه فاساء لوتير واغلظ عليه طنان ذلك اعظم واسطة

سنة ١٥٢١

في استماله البابا الى حربه فمن ثم كان لا يبعد ان يسلم لقسوس ألمانيا فيما طلبوه
من ارباب مشورة الديت من الحكم بقتل لوتير على الفور حيث
ان البابا طرده وحبسكم عليه بالحرمان وعده من الفرق المبتدعة المخذولين
المطرودين عن باب الكنيسة المحرومين من نعمها الا انه لما ظهر لارباب مشورة
الديت ان هذا من محض الظلم والتعدي انحط رأيهم على ان يدعوا لوتير
اليهم ليسألوه هل هو باق الى الآن على آرائه واعتقاداته التي اوجبت له غضب
الكنيسة او يرجع عنها ومحا مجاها بالتوبة فاعطاه الاعبراطور شرلكان
تذكرة الطريق وكذلك جميع الامراء الذين يلزمه ان يميز يلاذهم عند ذهابه الى
المشورة المذكورة وكتبه شرلكان ان يأتي الى مشورة الديت
بدون تراخ ولا يخشى اساءة احد ايد ابجرد وصول الامر الى لوتير تأهب
للسفر ولم يتوقف اصلا وسافر معه رسول الاعبراطور وتذكرة الطريق حتى
وصل الى مدينة وورمس التي كانت متعقدة بها الشورى وكان كل من قابله
في الطريق من احبابه يتذكرة ما وقع للعالم حشا هوس وكان مثل لوتير
في الذنب وكان معه ايضا تذكرة طريق من الاعبراطور فلم تنفعه فصاروا
يحذرونه وينصهونه ان لا يذهب الى مشورة الديت ويلقى بنفسه الى
التهلكة لكنه كان ثابت الجنان فاسكتم بقوله اني مطلوب الى وورمس
وها انا ذاهب اليها باسم الله فلا ابالي ولو تحزب على من هؤلاء الشياطين ما يبلغ
قدره عدد الحجر والحصى

مطلب

دخوله بمدينة وورمس

ولما دخل مدينة وورمس تلقاه اهلها بالاكرام والتبجيل بحيث لو كان
غرضه من التشنيع على الكنيسة مجرد التفاخر بين الناس وحب المحمدة
والشهرة لكان ما حصل له في هذه المدينة كافيا في جزائه على معيه واجتهاده
وذلك انه احدق به من الناس المتشوقين لرؤيته اكثر ممن اجتمع منهم حول
الاعبراطور شرلكان حين دخوله تلك المدينة مع الموكب والاحتفال
وكان يتردد اليه الناس كثيرا حتى كان المهل الذي نزل به يمتلي كل يوم من
الامراء والاعيان واحسنوا معاملته واحترموا احترام من له اقتدار على

سنة ١٥٢١

الحكام الخصم والزمانه الحجة ولا شك ان مثل هذا الاحترام من اولى الفضل
العظام اشرف واخبر للانسان مما يستوجب به علو مقامه وشرف منصبه
او بحسبه ونسبه لما انه يكون صادرا عن صدقية وخلوص طوية ولما حضر
لوتير في مشورة الديت سلك مع اربابها مثل الحشمة والادب واطمرفها
ما يدل على ثبات جنانه وعلو شأنه حيث اعترف انه تجاوز في مواقفه الحد
واطمرف في تشييعه على الكنيسة لكنه قال لا التحول عن آرائى ولا ارجع عن
مذهبي الا اذا اقيمت لي ادلة قاطعة وبراهين ساطعة على بطلانها وخطائها
وابى ان يقبل من البراهين الا ما كان مستتباً من كلام الله ونصوص
الانجيل

فلما لم يقع معه التهديد ولا التحذير وابتلى ان يرجع عن مقصده عرض بعض
القسوس على ارباب الديت ان يتأسوا بجمعية قونستنة القسبية
ويبادروا بقتل هذا المنسوع ويريجوا منه الكنيسة قبل ان يفر من ايدهم
فلم يسمع ارباب المشورة قول هذا البعض لما رأوا ان ذلك يحل بمروءة اهل
المسيحية ويكسبهم العار حيث كان معه منهم ورقة الامان وكان الايبراطور
شريكاً كان ايضا لا يجب ان يدنس مبادئ حكمه بمثل هذه القعلة الذميمة
فخلوا سبيله وانطلق آمن مطمئناً الا انه بعد ارجاعه من مدينة وورمس
بعض ايام صدر امر باسم الايبراطور ومشورة الديت ان لوتير قد
استحق القتل وهو مذموم مخذول يجب تجريده عن سائر المنايا التي يتمتع بها
بوصف كونه من رعايا الايبراطورية ولا يجوز لاحد من الامرأه ان يدخله
في جهابيل يجب عليهم ان يقضوا عليه بعد فراغ الاجل المسمى في ورقة الامان
التي معه ولكن لم يجز العمل على مقتضى هذا الامر وذلك لسببين احدهما
ان الايبراطور عرضت له اشغال كثيرة لما حصل اذ دال الثمن التعكيرات والتفنن
في امبانيا والحروب التي وقعت في ايطاليا ومملكة البلاد الواطية
وثانيهما هو ان الامير فريديريك منتخب سكسن كان يجب لوتير محبة
صادقة ويبدل جهده في محاماته والذب عنه فتعيل في انتقاده من ذلك

في ٢٦ من شهر نيسان
مطلب
الامر الصادر بالقبض
على لوتير

مطلب
القبض على لوتير واخفائه
عن اعدائه في وارتنبورغ

هنة ١٥٢١

باحتراسات مبنية على الحزم وسداد الرأي وذلك ان لوتير عند رجوعه
من مدينة وورمس مرتقب مدينة ألتنستين في اقليم نورنجه
فخرج عليه من اجهة هنالجماعة من الخيالة متكررة فاحتاطت به وبجميعاته
وكان فريدريش هو الذي اخفاهم بهذا المحل لذلك الغرض فبعد ان صرف
الخيالة من كان مع لوتير اخذوه واولاه الى وارتنبورغ وهي قطعة قريبة
من الابجة التي قبضوا عليه فيها فامر فريدريش حالا بان يعطى له
كل ما يحتاج اليه وان يجاب في كل ماطلبه الا انهم ضيقوا عليه باخفائه
في محل مجهول من هذا القصر لئلا يطلع عليه احد ومكث على تلك الحالة حتى
تغيرت احوال اوربوا وخذت نار حقد أعدائه وكانت مدة مكثه في هذا المحل
تسعة اشهر وكان يسميه البتوس وفي هذه التسمية اشارة لطيفة لان البتوس
اسم للجزيرة التي نفي فيها الخواري ماري يوحنا ولم يرل في تلك المدة بعض
مذهبه ويؤيد آراءه ويرهن على بطلان مذهب اخفائه مع الحية والذئبة
التي كان عليها قبل ذلك وكتب في هذا المعنى عدة ناليف ونشرها
بين الناس فاحيت ميت عزم اصحابه واعادت لهم فتمت بعد قنورها الفيتية
عن اعينهم

مطلب
تقدم مذهبه

ولم يرل مذهبه في عزله اخذ في التقدم والانتشار حتى تمكن من عقول
الناس في اغلب مدائن سكس وفي ذلك الزمن تقوت قلوب قسوس الطائفة
الاوغوسطينية الذين كانوا بمدينة ويسنبرغ بسبب قول مذهب لوتير
في الاوونورسيتة (بجمع العلماء ومنبع الاحبار) ونصدى فريدريش حمايته
لانه كان ظهيره ونصيره في الباطن وشرعوا في احداث امر جديد في كيفية
العبادة فأبطلوا اقامة صلوات القديس الصغير واشركوا طائفة اللايين
في كل من نوعي القديس الكبير والصغير وكان لوتير يسلي في حجه بما بلغه
من الاخبار في شأن اجتهد اصحابه ونجاحهم وتقدم مذهب في وطنه الا انه
حصل في اثناء ذلك حادثان نعتتا عليه عيبه حيث رأى انهما ما نعتان من
انتشار مذهب في مملكة كتي قرانسا و انكثرة اللتين هما اعظم عمالت

مطلب

الامر الصادر من
اونيورسيتة باريس
يطلان مذهب لوتير

مطلب

صنف الملك هنري الثامن
ملك الانكليز تأليفاً يفسد
ويتقض به مذهب لوتير

اوروبا شوكة وصوله الاولى هي ان جمعية العلوم يبارس حكمت بطلان
مذهبه وصدر منها فرمان في هذا الشأن علمه انخاص والعام وكانت هذه
الجمعية المسماة الاونيورسيتة اقدم واعظم مجامع العلماء والاحبار
التي كانت زاهية زاهرة اذ ذاك ليلاد الافرنج والحداثة الثانية هي ان الملك
هنري الثامن ملك الانكليز صنف كتابا يصدر الدرد على كتاب لوتير الذي
الفه في اسر بابل وكان والده هذا الملك الشاب كثير النظم والوسوسة نفسي
ان يقف ولده على مصالح الدولة فيغدر به فنقله عن ذلك بتعلم الآداب فلما قوئى
على انكثرة لم يرل باقيا على الرغبة في المطالعة والاجتهاد اكثر مما كان يظن
فيه بالنظر لما فيه من الحدة الغريزية والميل الى الشهوات النفسانية وكان
يحب ان يكون له غرق في كل شيء ويحب الكنيسة الرومانية حباً جامحاً لاسيما وكان
في غيظ شديد من لوتير على ما وقع منه من القصدح والذم في حق المؤلف
نوامس داكين وكان هنري يحبه كثيراً فرأى انه لا يكتفيه ان يستعمل
شوكته الملوكية في ابطال مذهب لوتير وتقنيد آرائه واقواله بل عزم
على محاربته يواتر البراهين السكولاسنيكية وصوارم الحجج والادلة
التولوجيكية فنشر في هذا المعنى مؤلفاً سماه بالاسرار السبعة وقد صار
الآن نسياً منسياً كغيره من التأليف الجدلية التي تزول بزوال مقتضياتها
وهومع ذلك لا تنكر دقته بل تشهد لمولفه بالفضل في المحاورات والمجادلات
وقد جعل التملق ندماً وخاصة على الاطراء والمبالغة في مدح هذا الكتاب
حتى وصفوه بأنه جمع من درر المعارف والعلوم ما يقضى بتخير الملك هنري
الثامن وسعة اطلاعه وفضله على غيره من المؤلفين في العلوم الادبية كما فضلهم
في الرتبة والمقام وقدم الكتاب المذكور للبابا في احتفال عظيم حضره
الكردينالات وغيرهم فتكلم البابا في شأن هذا الكتاب مع الاحترام التام
حتى كانه يتكلم في شأن كتاب صادر عن الهام الهسي اوفيس رباني
ولقب مولفه بجماي جى الدين ليريه ان الكنيسة تثني عليه وتشكره
على سعيه المبرور وهو مدافعتة عنها ولا يمكن لم يثبت هذا القرب

سنة ١٥٢١

مطلب
رد لوتير

لهم تزي الثامن زمانا ويا في عقول من لقبوه بل في خلفائه وان تحلقوا
وعدوا عن العقائد التي استحق هنري الثامن بتأييدها وتعضيدها ان يلعب
بهذا القلب ولما كان لوتير لا يخشى باس جمعية احبار باريس ولا بطش
ملك انكلترا بادربنشر ملحوظات تتضمن الرد على فرمان الصادر من الجمعية
المذكورة وعلى كتاب هنري وقد سلك في عباراتها مسلك الخسونة والقدح
حق كانه انما كان يرد على احقر اخصامه واصغرهم ولم تنفوس اهل ذلك
العصر من جرأته ووقاحتته في هذا الشأن بل عدت ذلك برهانا جديدا على
ثبات جشانه ولما كان ابطال هذا الميدان كلمه مشهورين وممتازين كانت
مجادلاتهم مطمح نظر الخاص والعام وكانت عقول الافرنج اذئذ لا تفقد عودت
على الابداع والاختراع وكانت براهين اصحاب المذاهب الجديدة اكيدة جليلة
لا تقبل ردا حتى لم يتمكن القسوس ولا الملوك من نقضها بل كان يظهر لها كل يوم
انصاوا وحزاب حتى في ملكتي فرنسا و انكلترا

مطلب

حالة المصالح بين شرلكان
والملك فرنسيس الاول

وكان الإمبراطور شرلكان يود كثيرا ان يمنع تقدم مذهب لوتير الا انه
مدة انعقاد مشورة الدييت بمدينة وورمس كان مشغولا بامور اخرى
اهم من امر لوتير تستدعي مزيد الالتفات اليها فلم يأل جهدا في تدبيرها
وذلك ان الحرب كان قريب الوقوع بينه وبين فرنسيس في مملكة نوار
والبلاد الواطية وبلاد ايطاليا فكان يلزمه ان يسلك سبل النشاط
والسماسة ليجتمع وقوع هذا الحرب بالكلية او يحترس بما يقضه من اخطاره
ان لم يمكنه منعه لكن كانت مقتضيات الاحوال اذئذ تلزم الإمبراطور بترجيح
الامر الاول وهو منع وقوع الحرب لان بلاد اسبانيا كانت حينئذ فريسة
للقن والحروب الداخلية ولم يكن له في ايطاليا حليف يثق به ويعول عليه وكان
رعاياه في البلاد الواطية يخافون من معاداة فرنسا ويطلبون ما حصل لهم قبل
ذلك غيرهم من الضنك والكساد في التجارة بسبب معاداتهم لهم وزيادة على
ذلك كان الوزير شيرة مدة وزارته يبذل غاية جهده في ابقاء الصلح بين
الإمبراطور والملك فرنسيس فهذه الاسباب لم يجعل الإمبراطور شرلكان

باشهار الحرب بل كان يحاول ابقاء الصلح بينه وبين الفرنساوية الامن الملك
فرنسيس ووزراءه كانوا يعيلون الى الصلح لان فرنسيس كان يعلم ان الصلح
لا يمكن دوامه بينه وبين الايمبراطور انه لا يمكن التآلف بين قلوبهم الاختلاف
اغرائهم ما لمعاصرهم ماوشدة طمعهم ما وكان له عدة امور يطمع بها في الظهور
على خصمه اذا فاجأه بالهجوم قبل ان يستعد للمدافعة والمقاومة وهي
ان مملكة فرنسا كانت وقتئذ ملتزمة الاجراء لامنافسة بين اهلها خالية
عن القن الداخلية والحروب الاهلية وكان الملك فيها يكاد ان يكون مطلق
التصرف وكان اهلها يعيلون الى الحرب ويحسون ملوكهم حبا جما ولا شك انه
بهذه المثابة كان لها اقتدار اعظم من دول الايمبراطور شارل كان فم ان دول
الايمبراطور كانت اوسع من مملكة فرنسا الا انها كانت في شقاق لا يتقطع
وقتن لا تمتنع فكان بعضهم يعصى على الوزراء وكانت شوكة الايمبراطور فيها
اضعف من شوكة خصمه فرنسيس في دوله

واما الملوك الذين كان لهم اقتدار على سكن نيران هذا الحرب او على اطفائها
بالسكية فمهم من اهمل في ذلك ومنهم من قواها واجدة في انصرامها وكان الملك
هنري الثامن يظهر انه يريد الاصلاح بينهما حتى اتخذ حكما
يعرضان عليه جميع امورهما ومع ذلك فلم يكن خليا عن الاغراض مع ان ذلك
لازم للحكم وذلك ان وزيره ولسى بخداعه ومكره اوجب بفضة ملك
فرنسا فكان هنري يضرم سرائير ان الشقاق التي كان يلزمه اطفائها
وكان مصمما على ضم الجيوش الانكليزية الى جيوش الايمبراطور لقتال
الفرنساوية وانما كان ينتظر لذلك فرصة او سببا مقبولا يتعلل به ويستند
اليه

واما البابا ليون فكان معيه في ابتاع القنسل بين الايمبراطور والملك
فرنسيس الاول على وجه اطهر واقرى تأثيرا مما سلكه الملك هنري الثامن
مع الواجب عليه بالنظر لكونه ابا النصرارى كفاقة بالنظر لمصالحه
الخصوصية حيث انه ملك ايطاليا ان يكون محافظا على الامن العام

مطلب

انضمام هنري الثامن
ملك انكلترا لايمبراطور

مطلب

تردد ليون بين الحزبين

سنة ١٥٢١

وان يتجنب كل ما يترتب عليه فساد المذهب السياسي الذي لم يكن نشره
في إيطاليا الا بعد المشاق والتعب الشديد وسفكت من اجله دماء كثيرة
وقد ادرك من مبدء الامرانه لا يليق به الاتباع هذا السبيل فبجهد استواء
شرلكان على الكرسي الامبراطوري صمم هذا البابا على ان يكون حاكما بينه
وبين خصمه فرنسيس وان يداهن كلاهما على حدة من غير ان يحدد معه
علائق الثقة الكيدة ولواستتر البابا ليون على سلوكه هذا الطريق لامسكه ان
يتخذ بلاد أوروبا من المصائب التي كان يخشى منها على الاية كان جسورا
طماعا وكان في عنفوان شبابه فكان يريد أن يشهر ايامه بواقعة مهمة جسيمة
لاسيا وقد كانت أخذت منه حينئذ دوقية برمه ودوقية بلنزنه فكان
جزعا قلقا يود أن يطهر من درن الخزي والعار الذي لحقه بسبب اخذ هاتين
الدوقيتين منه وكان في حنق شديد من كونه يرى الاجانب يأتون من خلف
جبال الپه ويحكمون بلاد إيطاليا حتى ان الايطاليين اقتدأوا
بأهل جمهورية قديماء الرومانيين كانوا يسمون هؤلاء المتغلبين باسم المتبريرين
وكان البابا يؤمل انه بمساعدته لأحد الملكين المتقدمين اعني شرلكان
والملك فرنسيس على تجريد الآخر من البلاد التي يملكها في إيطاليا
يمكنه ان يتوصل فيما بعد الى طرد الغالب من بلاده ويثبت له مثل البابا
جاليوس الثاني الفخر بكونه اقتدب بلاد إيطاليا من الرق والاستعباد واعاد
لها السعادة التي كانت تتمتع بها قبل اغارة الملك كرلوس الثامن حين كانت
كل دولة يحكمها ملك من اهلها وتعمل بشرائعها وقوانينها التي رتبها لنفسها
ولم تكن دخلت تحت حكم الاجانب ومع ان هذا الامل كان من قبيل الهوس
والتسولات النفسية التي لا طائل تحتها واقفه عليه اصحاب العقول والتهى
والطمع من الايطاليين حتى مكثوا معظم القرن السادس عشر وهم يجعلون
هذا المقصد مطمح نظرهم في كل مشروع هو ابتيمه وتجزئه فكانوا يعللون
انفسهم بالاماني والاباطيل ويطمعون انهم لا تقاسمهم فن السياسة والتدبير
والخداع والمكر يحكمهم ان يغلبوا اعداءهم المتبريرين وان كانوا اكثر منهم قوة

و شجاعة واغتر ليون ايضا بهذه الاماني حتى انه وان كان يميل بطبعه الى الصلح والرفاهية والتتبع بالراحة يادر الى تعكير اوروبا و اوقع نفسه في حرب خطر مع عزم كبير كما يكون مساويا لعزم جاليوس الثاني الذي كان ذا طيش وحمية لا تقترله همة من الحرب

ولكن كان ليون مخيرا بين ان يكون مع من شاء من هذين الملكين ويضم الى حزبه وكان كل منهما يرغب في استعطافه واستئمانه اليه وبسعى في ذلك بجميع وسعه وطاقته فكثرت مدة وهو يتردد بين الجانبين ثم عقد معاهدة مع الملك فرنسيس كان الغرض منها اخذ مملكة نابلي واقتسامها وكانت هذه المملكة بأيدي الايمبراطور شرلكان والظاهر ان البابا لما كان يعهده في الملك فرنسيس من النشاط والمهارة والجسارة اعتقد انه ان ساعده برعاياه الايطاليين الذين هم موصوفون بتلك الاوصاف يظفر بالايمبراطور شرلكان لبطي مشاورة في باب الامور وكثرة ترددها وبذلك يسهل عليه ان يتغلب على نابلي لانها منعزلة من جملة الايمبراطور بعيدة عنها رديئة التحصين لا تستطيع المدافعة عن نفسها فكانت دائما عرضة لان تكون غنيمة لمن شن الغارة عليها ولكن عما قليل تحلى هذا البابا عن حزب فرنسيس واخذ يتداول مع الايمبراطور مرة اوليا يعلم سبب ذلك هل هو كون ملك فرنسا ظهر منه ما يدل على كونه غير واثق بالبابا فخاب امه فيه وراى ان معاهدته معه لا تجديه نفعا وانه من مبدء الامر لم يعقد معه هذه المعاهدة الا ليتوصل بها الى التمكن من المداولة مع الايمبراطور شرلكان وانه رأى فيما بعد ان معاهدته مع الايمبراطور اوفق به من المعاهدة مع فرنسيس وانه احب الايمبراطور و مال اليه بسبب انه شرف الكنيسة بعقبائه وتبر ومنع الناس عن مطالعة كتبه

هذا وكان الامير حنا متويل نديم الملك فيليبس ابى شرلكان قد اخرج من السجن بعد موت الملك فردينند وكان صاحب سياسة وحزم حتى انه افسد على الملك فردينند جميع ما كان يدبره من المقاصد والامور السياسية

مطلب

المشاركة المعتقد بين

البابا والايمبراطور

سنة ٥٢١ د

في ٨ من شهر ايار

فارسه الاميراطور شرلكان الى ديوان رومة لما كان يعلم انه لاحد اعظم منه اقتدارا على استعطاف الباي واستمالته الى حربه فقوض له امر المداولة مع الباي واخفى هذا الخبر عن الامير شيوره لانه كان يحاول منع وقوع الحرب بين الاميراطور وملكه فرانساً فلو علم هذه المداولة لافسدها وصارت سدى ولذلك انعقدت المعاهدة في اقرب وقت بين الباي والاميراطور التي حصل عليها الاتفاق وكانت تلك المعاهدة اساسا للشوكة العظيمة التي اكتسبها شرلكان في ايطاليا وكانت موادها الاصلية سبعة الاولى ان الاميراطور والباي يضمن عساكرهما الى بعض لمطردا القرنساقية من دوقية ميلان ويعطياها الى ابن الملك لوي زوسور وهو الامير فرنسيس سفورس وكان قاطن في طرته منذ غضبت البلاد من اخيه مكسيميليان وكان الفاصب لها ملك فرانساً الثانية ان ترد الى الكنيسة دوقية برمه ودوقية بليزنتس الثالثة ان الاميراطور يعين الباي على اخذ اقليم قراره الرابعة ان يراد في الخراج السنوي الذي كانت تدفعه نابلي للكنيسة رومة الخامسة ان الاميراطور يدخل في حواء عائلة المديس السادسة ان يجعل للكردينال دوميديس عشرة آلاف من الدوقات على مطرانية طليطلة السابعة ان يعطى ما يساوي هذا المبلغ من الاراضي في مملكة نابلي للامير اسكندر وهو ابن الامير لورنت دوميديس من الزناء

مطلب
موت شيوره وزير
الاميراطور ونديمه

فلما علم الوزير شيوره بهذه المعاهدة العظيمة ولم يكن له دخل فيها ايقن بضياح الكلمة التي كانت له على تليذه شرلكان الى ذال الوقت حيث كان قبل ذلك لا يفعل شيئاً الا باستشارته فحصل له غم شديد لاسيما وكان يعلم انه سيفشأ عن الحرب مع ملكه فرانساً مصائب كبيرة واهوال كثيرة فيقال ان غمه جعل يهلا كفات بعد هذا الخبر بياوم قلائل والظاهر ان هذا ليس الامن موضوعات المؤرخين الذين يحبون ان ينسبوا الى الاسباب غير العادية جميع ما يقع لامشاهير الممتازين من الناس حتى انهم ينسبون امر انهم وموتهم

الى اسباب ضياعية مع ان تلك الاسباب في الغالب انما تنغص على الانسان عينه ولا مدخل لها في تصير اجله وغاية ما يقال ان موت هذا الوزير سؤدب شرلكان في وقت كثر احواله وسخطو به منع الناس من الطمع في امكان منع الحرب بين الايمراطور وملكته قرانسا ولم يتأسف شرلكان على موته حيث كان يضيق عليه ويمتنعه عن تجميع مقاصده لانه كان متعودا على الطاعة والامتثال اليه من مغسره فكان لا يمكنه ان يفعل شيأ بدون رأيه واستشارته وكان ذلك لا يليق وقتئذ بجعله ولا بسنه فلما اقتضت المنية منه ظهرت قناتس قسريته وتعت قواه العقلية ولاح عليه الفلاح حتى ادى في مشاوره وتجزيم مشروعاته من الحزم والاصابة فوق ما كان يؤمله فيه اهل عصره واستوجب به مدح الاجيال التي اتت بعده

وبنفا كان البابا والايمبراطور يستعدان للهجوم على دوقية ميلان بموجب المعاهدة التي اتفقت بينهما سر الذوقع الحرب في ملكة اخرى وذلك ان اولاد حنابلرطه ملك نوار طلبوا عدة مرات من الايمراطور ان يرذلهم ملكة ايهم حسيما هو مقرر في المشاركة المتعقبة بمدينة نوايون على يد الملك فرنسيس وكانوا كلما طلبوا من الايمراطور ذلك يحاولهم ويتعلل بامور عديدة فرأى الملك فرنسيس انه يجب عليه اعانة هذه العائلة الملوكية التي افرغ عليها الدهر نكبته وكانت ظواهر الاحوال وقتئذ تقضي بمساعدته في هذا المشروع لان الايمراطور شرلكان كان بعيدا عن ملكة نوار والجيش التي كانت يهادعت لتسكين القسنة التي كانت حاصلة حينئذ في اسبانيا لاسيما ومن كان من اهل هذه المملكة في غيظ من شرلكان كان يلج على فرنسيس ان يتغلب على ملكة نوار ويفيده ان معظم سكانها ينتظرون اعانته ليقوموا على حرب الايمراطور ويدخلوا في حزب عائلته ملوكهم الاقدمين هذا وكان الملك فرنسيس يحاول ان لا يغضب الايمراطور وذلك انكثرة خيمع العساكر وابتدأ الحرب باسم هنري دلبرطه لاياسمه وكانت قيادة الجيش للامير اندرودوفوا كس دولسبار وكان شابا لا تجر به عنده بامور الحرب والقاتل

١
تغلب
يد الحرب في ملكة نوار

وانما قلد هذا المنصب المهم لانه كان حليفا صادقا للملك هنري دلبوطه
لاسيا وكان الخليفة فرنسيس وهي القوتيسة شاوريان فلما دخل
هذا الامير مملكة توار ولم يجد بها جيشا مستعدا للمقاومة تغلب عليها
كها في ايام قليلة ولم يبق في سيره الا قلعة بيلون الا ان المباني التي كان
الوزير اكرمينيس اخذ في تجديد هاتحصين هذه القلعة لم تكن تحت مقاومة
مقاومة قليلة كانت لا تستحق الذكر في التاريخ لولم يكن جرح بها الامير
ايناس دولوبوله جرحا خطرا فكت هذا الامير مدة طويلة وهو يعالج وكان
يتسلى في تلك المدة بقراءة مناقب القديسين فحصل نهام وقع عظيم في نفسه
واثر في عقله تأثرا قويا بالاسما وكان بالطبع يميل الى الجساسة وكان صاحب
طمع وجسارة فاخذته الحمية والغيرة واراد ان يساوى في الفخار قديسي
الكنيسة الرومانية لما قام بنفسه من العجب بعد قراءة مناقبهم مع ان هذه
المناقب مختصرة لاصل لها ولم يكن هنالك من القديسين من اتصف بها وبناء
على ذلك تصدى الامير المذكور لامور هوسية كانت عاقبتها افساس الجمعية
او الطائفة العيسوية التي صارت احسن الطوائف القيسية واعظمها
سياسة وادارة وانشرت بالنوع البشري اكثر من غيرها كما فتنه ايضا اكثر
من غيرها

ولوا كنى الامير لِسَار بعد اخذه قلعة بيلون بكونه يحترس بقدر
الامكان حتى يأمن على حفظ فتوحه لكان من الجائز ان تبقى مملكة توار
مع الفرنساوية لانه لطيفه جاوز حدود تلك المملكة ووضع الحصار امام
لوغرونو وهي مدينة صغيرة من مملكة قسطنطينه لاسيا وكان الملك
فرنسيس يفرح اذا نالت رماحه اولاح فتجأه فلما علم بصره الفرنساوية
بعث بمحض الامير لِسَار حتى هم بهذا المشروع الخطر واخذ يحاصر
مدائن مملكة قسطنطينه وكان اهالي هذه المملكة الى ذلك الوقت لا يذكرون
فيما وقع من الفرنساوية بمملكة توار ولكن لما اخذوا في حصار مدائن
مملكتهم استيقظوا من غفلتهم وتهيأوا للمدافعة بجميع جهدهم هذا وكانت

نيران التفتن باسبانيا قد خدثت فانضم اهل اسبانيا الى اهل قسطنطينية ليدافعوا عن وطنهم وكان فريق منهم يقصد بقتال الفرنسيين ان يحموا ما خلفه من المعركة في تقاعده وتكاسله في مبدء الامر وكان قصد الفريق الآخر ان يثبت لنفسه الفخار بطرد اعداء الامبراطور كما ثبت له الفخر بكونه قد قمع قوم رعاباء الخارجين عن طاعته فجمعت جيوش اسبانيا بغتة وانضمت الى اهل مدينة لوجرونو فاضطر قائد الجيوش الفرنسي الى ان يترك مشروعه والخطب ورفع الحصار عن المدينة المذكورة وركن الى الفرار بجيشه فقبضه جيش اسبانيا وصار يطرده ويجمع عليه مع الشدة والقوة ولعدم تبصر هذا الامير وقلة رأيه لم يقض الى قلعة بيلون حتى يأمن من اعدائه ولم يصبر حتى تصل اليه العساكر التي كانت مبعوثه لاعانته بل رجع وهجم على جيش اسبانيا وكان اكبر من جيشه واشتد القتال بين الفريقين وكان لسائر لايحه من ادارة العساكر هزم في اقرب وقت واسر هو واعيان بضابطه واخذ اهل اسبانيا مملكة توار في زمن اقل مما لازم للفرنساوية في التغلب عليها

مطلب
هزم فرنساوية وطردهم

من مملكة توار

مطلب

ابتداء الحرب في مملكة
البلاد الواطية

وكان الملك فرنسيس يحاول ليهزم على ان اغارته على مملكة توار من باب العدل والانصاف لانها كانت باسم هنري دلبوطه وكان يبحث من جهة اخرى عن حجة يتعلل بها لهجم على اراضي الامبراطور شرلكان وذلك ان الامير روبيرد ولامر له ملتزم اقليم بولون وهو اقليم صغير مستقل بنفسه على ضواحي اقليم لوكزبورغ واقليم شبنانيا خرج عن طاعة الامبراطور شرلكان ودخل في حامي ملك فرنسا وادعى ان المشورة الاولى ليقية (المشورة العليا للامبراطورية) قد اقتضت على حقوقه ومنعته من قضائه وحكمه في التزامه فاشار عليه من يتق به ان يبعث رسولا الى الامبراطور يطلب الحرب معه فن شد غيظه وحققه سمع قوله وبعث الى الامبراطور رسولا في هذا الشأن فتعجب شرلكان من وقاحته وحزمه انه لا يقدم على مثل ذلك من نفسه بل لا بد وان يكون ملك فرنسا وعده بالاعانة

سنة ١٥٢١

في هذا المشروع وقد ظهر بعد ذلك بقليل ان ما فهمه الاميراطور في محله لان الامير روبير جمع سرا من فرانساً جيشا برضا الملك فرنسيس وان كان في الظاهر يترأى انه لم يأمر بذلك وسار الامير روبير مع هذا الجيش حتى دخل اقليم لوكسمبورغ فبعد ان خرب السهول وضع الحصار امام قلعة ورطون فاخذ شرلكان يتشكى من ذلك ويبدى ان فيه هتان حرمة الصلح المتعدينه وبين ملك فرانساً وطلب من ملك انكلترة هنري الثامن ان يوجه جيوشه الى قتال ملك فرانساً حيث انه بموجب المشرطة المتعدي في لوندرة (سنة ١٥١٨) تعهد بان يكون عدوا لمن يبدء بالتعدي من الفريقين وانه ينضم الى الفريق المتعدي عليه لقتال المتعدي فزعم الملك فرنسيس انه ليس كفيلا ولا ضامنا للامير روبير حتى يطالب بما فعله وان هذا الامير اشهر الحرب مع الاميراطور باسمه وبالصحة نفسه وان دخول الفرنسيات في عسكر الامير روبير لم يكن عن ارادته بل كان على خلاف اوامره ولكن لم يلتفت ملك انكلترة الى هذه الحجة ولم يقبل منه صرفا ولا عدلا فترأى فرنسيس انه لا ينبغي له ان يغضب ملك انكلترة لان غضبه يفسد عليه ما ربه فبعث الى روبير يأمره ان يسرح العساكر ويحلى سبيلهم

ومع ذلك جمع الاميراطور جيشا لينتقم من روبير في نظيره فاحته وكان قدر هذا الجيش عشرين الفا وكان قائده القوتة ناسو فاقض به على ارض روبير وفي طرفي الايام قليلة تغلب على سائر مدنه وقلاعه ما عدا قلعة سيدان وبعد ان اراد انه لا قدرة له على غضب الاميراطور ولا طاقة له على العصيان والخروج عليه توجه الى ضواحي مملكة فرانساً لان الاميراطور شرلكان كان جازما بان ملك انكلترة يؤثره على الملك فرنسيس فكان لا يخشى العواقب مثله وامر ناسو بحاصرة مدينة موزون وكان يحافظو هذه المدينة اهل قتل وجبن فاضطر حكمدارها الى التسليم بعد مقاومة قليلة وبعد ذلك حاصر الامير ناسو مدينة ميزير ولم تكن حصينة منيعة الا انها

مطلب

محاصرة جيش الاميراطور
لمدينة ميزير

بسبب وضعها وتقلب عليها جيش الایمیراطور لسهل عليه ان يدخل اقليم
شپانیاء ولودخل هذا الاقليم لسهل عليه الجولان في داخل قرانسا لانه كان
لا يوجد حينئذ هذا الاقليم مدن حصينة لها اقتدار على صده ومنعه ولكن
لتقيام حظ قرانسا كان الملك فرنسيس يعلم اهمية هذه المدينة فلما رأى
انه يخشى عليها من العدو سلمها للامیر بیار وكان بطلاهما مامتمازا بين اهل
عصره ومعروفاه عندهم بالشجاعة وشرف العرض حتى لقبوه بهذا النسب
وهو الامیر المترزع عن الخوف والملامة لانه كان ذاعزم عجيب وتجلد غريب
في الهيجا وكان صاحب عرض شريف ومزاج لطيف وكان حاضرا لاعظم
اخلاق ابطال السوارية القديمة وكان ذادها ونهى مستكملا لاسار صفات
الابطال ولحول الرجال كما يشهد بذلك ما وقع منه غير مرة في المدافعة عن
میزیر حيث انه بعزمه وحزمه طالت مدة المحاصرة حتى اضطرت عساكر
الایمیراطور الى رفع الحصار بعد ان قدم منهم اناس كثيرون وركب الملك
فرنسيس حينئذ في جيش عظيم واسترجع مدينة موزون ثم سار بجيشه
الى مملكة البلاد الواطية وتغلب منها على عدة قلاع ومدائن هينة لكنه في هذه
المرّة بلغ حدا لا فراط في الاحتراس حتى ضاعت منه فرصة عظيمة لاحتماله
وهي انه كان يمكنه ان يقطع الطريق بقرب مدينة والنسين على الجيش
الایمیراطوري وهو آخذ في التراجع ووقع منه امر آخر اعظم من ذلك انضرت به
عاقبة كل الضرر وهوانه اغضب صر عسكره الامیر بوربون حيث اعطى
للدوق دالنسون قيادة مقدمة الجيش مع ان هذه الوظيفة الشريفة
كانت من وظائف الامیر بوربون ومعدودة من جملة خصوصيات
منصبه

مطلب
رفع الحصار

مطلب

اتحاد جمعية الوزراء بمدينة
كالس ونوسط ملك انكلترة
في ذلك

وفي مدة هذا الحرب كان بمدينة كالس جمعية من الوزراء منعقدة لقطع
الحرب بالتي هي احسن وكان ملك انكلترة هنري الثامن هو الواسطة في ذلك
والصلح بين الفريقين ولو كان باطنه موافقا لظاهره لحسنت عاقبة المداولة التي
حصلت بتلك الجمعية وترتب عليها غاية ما يؤمل في الاصلاح بين فرنسيس

والایمپراطور الان المالك هنرى فوض هذا الامر لوزيره ولسى فافسده
واضع عمره لان هذا الوزير كانت آماله دائمة علقه باخذ منصب البابا وكان
ذلك غاية امله ونهاية مرامه فكان احب شئ اليه اعانة الایمپراطور لان هذا
الامر كان يده وكان هذا الوزير لا يفتنى اغراضه مع الایمپراطور حتى ان المالك
فرنسيس كان لا يرضاه واسطة لولم يكن يفتنى بأسه لانه كان من طبعه
الحرس على الانتقام من خصمه ولوبعد حين فكت ارباب الجمعية مدة مستطيلة
وهم يبحثون عن بدأ بالحرب من الفريقين هل هو الایمپراطور او المالك
فرنسيس وكان الوزير ولسى يدقق في معرفة البادى وليت ان فرنسيس
هو الذي بدأ لانه ان ثبت ذلك امكنه بسبب المشاركة المنعقدة في لوندرة
ان يبنى عليه صحة المفاوضات التي تنعقد فيما بعد بين ملك اسكترة
والایمپراطور ووقعت المفاوضة بعد ذلك في شان الشروط التي يمكن اتمام الصلح
بها الان ما طلبه الایمپراطور دل على انه لا يميل الى الصلح ابدا اوانه كان معتدا
على الوزير ولسى وجاز ما بان يستحسن كل ما طلبه ويقره عليه فطلب
الایمپراطور ان ترد له دوقية بورغونيا وهو اقليم يمكن بواسطته أن يدخل
فرانسا وطلب ايضا انه لا يكون للملك فرانسا امارة على اقليم
الملك ولا على اقليم ارنوارة مع ان ذلك كان ثابتا لها من قديم الزمان
واقره آباؤه واسلافه بل واقره هو ايضا في المشاركة المنعقدة بمدينة نوايون
فلم يرض فرنسيس بهذه الشروط واستنكف ان يقبلها والواقع ان كل ملك
كريم شريف النفس لا يطيق نفسه ان يقبل مثل هذه الشروط ولوبعد هزيمته
وتدمير عساكره غير ان الایمپراطور وعد ملك فرانسا بامور اخرى احسن
واصوب من الاولى وهي ان يرد ملكه نوار الى ملكها الاحق بها وان يأمر
برفع الحصار عن مدينة تورنه وبناء على ذلك تمت مذاكرة الجمعية
بدون عمرة ولا جدوى وانما كانت عمرتها ايقاع افضل والتنازعين الفريقين
مع انه كان التصدم منها التأليف بينهما

وفي اثناء المذاكرة بتلك الجمعية السابقة سافر الوزير ولسى الى مدينة

مطلبه
اصادة عمرة المداولة

مطلبه

عصاة الایمپراطور وهنرى
ملك اسكترة على المالك

فرنسيس

أبروجه ليقابل الإمبراطور متعللاً بأن الإمبراطور نفسه يمكن أن يتساهل في الشروط ويرضى بما لم ترض به وزيراً وأنه وكان الإمبراطور يعلم أن هذا الوزير يحب نفسه ويجب الزينة والظهور وقلقه في احتفال عظيم وإكرامه غاية الأكرام كأنه ملك أنكلتره ولكن لما تأمله ولسى لم يسع في عقد مشاركة الصلح بينه وبين ملك فرنسا بل عقد معه باسم ملك أنكلتره مشاركة بها يـكـونان عصبة على الملك فرنسيس وكان مضمون هذه المشاركة أن الإمبراطور يحجم على مملكة فرنسا من جهة اسبانيا والملك هنري يحجم عليها من جهة سيكارديه ومع كل منهما أربعون ألفاً وان الإمبراطور يتزوج بالأميرة ماريه بنت الملك هنري ووارثته في بلاده ودوله حيث لم يكن له وقتئذ غيرها ولم يجد الملك هنري أصلاً يثق عليه صحة تلك العصبة التي كانت في حد ذاتها من محض الظلم والعدوان ونضرت بمصاطحه السياسية ألا تكون استند على يده من المشاركة المنعقدة في لوندرة كان مضمونه أنه يجب على ملك أنكلتره أن يجاهد من تعدي من القريبيين سواء كان الإمبراطور أو الملك فرنسيس وحيث ثبت أن فرنسيس هو المتعدي اتخذ ملك أنكلتره تعديه عليه نبي عليها صحة تعصبه مع الإمبراطور وأبدى سبياً آخر وهو أن الملك فرنسيس رضى برجوع الدوق دلباني إلى مملكة ايقوسيا مع أنه كان رئيس عصبة تبحث عن أضرار هنري الثامن ملك أنكلتره هذا وكان له هنري المذكور ما رآه أخرى حسنت له الدخول في حرب أحد القريبيين وذلك أنه كان يومئذ في عنفوان شبابه متولعاً بالظهور والمعالي فرأى أن المنفعة التي تعود على رعاياه من تخليه عن كل من الحزبين والشرف الذي يعود عليه من بقاءه حاكماً عدلاً بينهما ليس كبير شيء بالنظر للثمن الذي يحصل للإمبراطور شريكاً والملك فرنسيس من قيادة الجيوش وفتح الأقاليم والبلدان فكان لا يمكنه أن يمكث مدة مستطيلة من غير أن يكون له دخل بين القريبيين فيجبر دماً نصدي لهذا الغرض رأى من أوجه عديدة أن معاهدته مع الإمبراطور وافق له وانفع من معاهدته الملك فرنسيس وذلك

سنة ١٥٢١

أعلم يكن له شبهة حق في شيء من دول الإمبراطور لاسيما وكان موقع أغلبها بين
الغايرة عليها الامع المشقة العظيمة والخسارة الجسيمة بخلاف مملكة فرنسا
فكان أغلب أقاليمها البحرية قد مكثت زمن طويلا في أيدي ملوك أنكلترة
حتى إن هؤلاء الملوك كانوا إلى ذلك الوقت يدعون أن لهم الحق في تاج مملكة
فرنسا لاسيما وكانت مدينة كالس بيد الملك هنري فيها كان يسهل
عليه أن يدخل في بعض أقاليم فرنسا ويرجع في أمن وأطمئنان إذا عانده
الدهر ولم تسعفه المقادير وكان يقوم بنفسه أن الإمبراطور إذا هجم على فرنسا
من جهة وهجم هو عليها من جهة أخرى لا يجد في تلك الجهة من يقاومه وكان
يعتقد أن الله تعالى كتب له أن يكون له الفخر بكونه يضيف ثانيا إلى مملكة
أنكلترة جميع البلاد التي كان يملكها أسلافه في الأراضي القارة من أوروبا
وكان الوزير ولسي يقوى عنده تلك الأمان ويحسنها له حيث كانت تعينه
على تقيم ما ربه القائمة بنفسه لاسيما وكانت بغضة الانكلترة لفرنساوية متوارثة
من جيل إلى جيل ومن نسل إلى نسل فلم يستحقوا من ملكهم عزمه على الحرب
مع مملكة فرنسا

هذا وكانت العصبة المتعقدة بين البابا والإمبراطور قد ترتب عليها أمور جسيمة
وحوادث عظيمة في بلاد إيطاليا ونج عنها كون بلاد كمبريا أعظم
ميادين الحرب وأكبرها * وكان بين أخلاق فرنساوية وأخلاق الإيطاليين
مباينة كلية حتى أن الإيطاليين لم يتقروا أبدا من حكم الأجانب كما تقروا من
حكم فرنساوية وكان سكوت أهل النمسا وعدم طيش أهل اسبانيا
يلامحان طبع الإيطاليين أكثر من طبع فرنساوية لأن الإيطاليين يميلون
بالطبع إلى سلوك طرق التكليف في معاملة الغير ويراعون نوااميس الأدب
ورسوم المجالس ومن طبعهم الغيرة والحمية بخلاف فرنساوية فتح ما عندهم
من البشاشة والخفة لا يتكفون شيئا ولا يراعون تلك النوااميس ولكن لما تولى
الملك لويس الثاني عشر على فرنسا وصكان مذهب الأخلاق عدلا
في أحكامه أعطى أهل ميلان مزايوا خصوصيات أعظم مما كانوا يتمتعون به

مطلب

وقوع الحرب في إيطاليا

في عهد ملوكهم فامكنه بذلك ان يضعف حقدهم للفرنساوية ويؤلف بينهم
واما الملك فرنسيس فانه لما استرجع هذه الدوقية لم يقتف أثر لوزير الثاني
عشر فانه وان كان حلياً لا يجب ان يظلم رعايا دالانه كان يأتمن اخصاصه ويثق
بهم كل الوفاق فكان لا يلفت الى سلوئه من يوليه الحكم على العباد فمن ثم
ارتكبو عداوة مظالم تأبأها النفوس الشريرة فبذلك وقع التنافر بين الابطالين
والفرنساوية

سامة اهل دوقية ميلان
من حكومة فرنساوية

وكان الملك فرنسيس قد قلده حكومة دوقية ميلان للامير
اوريدو وفواكس مارشال لوتريك وهو اخو مدام شاتوبريان وكان
من اهل الخبرة والتجارب ذا شهرة عظيمة الا انه كان متكبراً جباراً طماعاً
لا يقبل بصحة ولا يستطيع ان يعارضه احد فيما فعل فباساءته وظلمه اغضب
اهل ميلان وقرت نفوسهم منه وذلك انه في عدة من اكارهم واشتد ظلمه
لهم حتى اضطرت بقية الاكابر الى المهاجرة من البلاد ليأمنوا على انفسهم وكان
من هاجر منهم الشهير جيروم مورون وكيل فيليب دوقية ميلان وكان
له اقتدار غريب على ايقاع القتل والاقدام على المشروعات الجسيمة لاسيما
وكان ذلك العصر عصري قن وتحزبات وكانت الاحوال وقتئذ تقتضي ذلك
خصوصاً في هذه الدوقية فانه كان لا تخمد فيها نيران الفتن والشقاق وكان
جيروم مورون قد خان الامير مكسيميليان ومع ذلك التجأ بعد مهاجرته الى
اخيه الامير فرنسيس سفورس ولما ادرك مورون المذكوران البابا
يريد الهجوم على دوقية ميلان لطردها فرنساوية منها مع ان المشاركة
المنعقدة بين البابا والامير بطور في هذا الشأن كانت لم تشع بين الناس عرض
للبابا باسم فرنسيس سفورس انه يريد ان يهجم بفتنة على عدة من قلاع
ميلان ومداتهم بقية الاعيان المنفيين لانهم لبغضهم للفرنساوية ومحبتهم
لعائلته ملوكهم الاقدمين كانوا مستعدين لاقتحام الاخطار والاهوال حتى
يتكسروا من طرد فرنساوية من دوقية ميلان فلما وقف البابا ليون
على قصد مورون استحسنه وصار يحسنه ويحسنه على تخبيزه بل واعطاه

سنة ١٥٧١
في ٢٤ من شهر حزيران

مبلغا جسيما يستعين به على ذلك ولكن طرأت احوال افسدت مآلهم واهوا به
فاذن البابا المنفيين الذين كانوا مجتمعين لاجل هذا الغرض ان يذهبوا الى
مدينة رنجيو وكانت تلك المدينة وقتئذ من مدائن الكنيسة وكان
المارشال دوفوا كس يحكم في ميلان مدة غيبة اخيه فاعتقد انه
يمكنه القبض على هؤلاء المنفيين الذين هم اعداء الملك فرنسيس في دوقية
ميلان ويسهل عليه ذلك بسبب اجتماعهم في محل واحد فخاطر نفسه
ودخل اراضي الكنيسة وهجم على مدينة رنجيو وكان حكمه ارض هذه المدينة
اذناله هو المورخ عينا ردين الشهير فليسياسه وحسن سلوكه صدة المارشال
دوفوا كس وجبره على العدول عن مشروعه والتحول عن تلك المدينة على
وجه يرزى به فلما وقف البابا ليون على هذا الخبر سر غاية السرور واتخذ
حجة مستحسنة في فسح الصلح بينه وبين الملك فرانسوا وعقد فورا مشورة
الكردينالات وعرض عليهم شكواهم انما ردة ملك فرانسوا على بلاده ومدح
لهم كثيرا في الامبراطور ومحبه لالكنيسة واستدل على ذلك بماضيه ذلك
الامبراطور مع لوتير الذي هو عدو الكنيسة وعرض عليهم انه لانه وامن
بلاذله يزم ان يضم عساكره الى عساكر الامبراطور ائتمال فرنساوية وانه
لا توجد واسطة اخرى يؤمن بها على دول الكنيسة وارضها وعقد حينئذ
مشاركة في هذا الشأن مع الامير حنسانو ويل وزير الامبراطور
شرلكان حتى كان تلك المشاركة لم تنعقد بينهم منذ عدة شهور وحكم البابا
بالحرمان على المارشال دوفوا كس في نظير هجومه على حرم الكنيسة
وهتك حرمتها

مطلب
تخاصم البابا مع الملك
فرنسيس

مطلب
الحرب في دوقية ميلان

وكان البابا ليون وقتئذ قد جهز المهمات واستعد للعرب حيث استأجر
جيشا عظيما من اهل السويصة ولكن ابطأت جيوش الامبراطور في مجيئها
من نابلي و ألمانيا حتى مضى نصف فصل الخريف قبل ان يصلوا الى
ميدان الحرب وكان قائدتها الشهير بروسير كولون وكان انشط جنرالات
ايطاليا وامهرهم وكان اكثره تجاربه وحرمة احق من غيره بمقاومة

الفرنساوية وفي أثناء ذلك كان المارشال دوفواكس يرسل الملك فرانسوا
بريداً بهدريد يخبره أنه عرضة للاخطار والخطوب ولكن كان بعض عساكر
الملك فرنسيس مشغولاً في البلاد الواطية وكان البعض الآخر مجتاعاً تغور
اسبانيا وكان هو نفسه لا يتربقب المهجوم على بلاده التي بمملكة
إيطاليا فعند وقوعه على هذا الخبر بعث رسلاً الى السويسيين المتعاهدين
معه ليطلب منهم عساكر وصدر منه امر الى الامير لوتريك ان يذهب الى
دوقية ميلان ليقوم بحكمها غير ان هذا الامير كان يعلم ماهنا لمن الاهمال
وعدم التدبير في ادارة خزائن الملك فرنسيس وكان يعلم ان العساكر لحقهم
في ميلان ما تقصر عنه العبارة من المشاق القادحة لعدم صرف ماهياتهم
قابي السفر الا اذا اعطى ثلاثمائة ألف ايكو (ريال) فوعده الملك فرنسيس
وامه لوريه دوسيو وكذلك سمبلانسي مباشر الخزانة انه بمجرد وصوله
الى ميلان يجدهنا لذلك المبلغ فاعتمد لوتريك على قولهم وسافر الى
ميلان ولكن من سوء حظ فرانسوا كان من دأب الملكة لوريه ام الملك
فرنسيس التباينة والشبهة وكانت تؤثر ما رباها وشمواتها النفسانية على كل شيء
ولوترتب على ذلك ما ترتب من المضار والفساد وكان لها كلمة فاقدة عند ابنها
ولا يستطيع مخالفتها لانها ربه واعتنت به في صغره لاسيما وكانت ذات
معارف غزيرة وسياسة شهيرة وكانت مصممة على ان لا تقي بوعداها الى
لوتريك لانه لكبره وشممه كان لا يوالى ولا يراعى مرضاتها وان كان يحادثها
في شأن ما وقع له من الامور القسرية الغزلية والتوارد العشقية فلاجل
ان تنقم منه هذه الملكة ارادت حرمانه من الفخر الذي يثبت له بمدافته عن
دوقية ميلان وظفروه بالاعداء فاخذت المبلغ الذي وعده به واعدته لخصوس
مصاريفها

ومع حرمان لوتريك من هذا المبلغ الذي كان يعينه اتم الاعانة وكان ضروريا
من اجله وجرد وسائط اخرى امكنه بها ان يجمع جيشا عظيما وان كان اقل
عدد من جيش المتعاهدين ودير امر المدافعة على احسن وجه بيلام الخالة التي

مطالجه
ظفر العساكر
الاجبراطورية

كان عليهم ان كان يتجنب ملاقاته صفوف الاعداء وانما كان يحمل عليهم مع
عساكره الخفيفة وينهب مساكنهم ويقطع عنهم الذخائر والراد ويصدهم عن كل
قلعة ارادوا الهجوم عليها او يساعدها لهم على منعهم فبحسن سلوكه وحزمه
اخرطهم عساكر الإمبراطور واعبي اليايا حيث انه الى ذلك الوقت هو الذي
كانت عليه جميع مصاريف الحرب فقرر ياواعبي الإمبراطور ايضا
لان ايرادات اسبانيا كانت قد نفذت مدة القتن التي حصلت بها وكان
يلزمه القيام بمصاريف الجيش العظيم الذي كان يملكه البلاد الواطية
لحفظها ومحاماتها ولكن في انشاء ذلك طرأت عوارض اوقعت لوتريك
في الارتباك والتخيل واودت بملكه فرنسا الى سوء الحظ والشقاوة
وذلك انه كان يوجد في الجيش الفرنسي اثنا عشر الف رجل السويسين
كافوا بمخدمون في عساكر الجمهورية السويسرية التي كانت وقتئذ متعاهدة
مع ملكه فرنسا وكان بموجب القانون الذي رتبته دول جمهورية
السويسرية لاي يجوز للعساكر السويسريين ان يدخلوا في خدمة الإمبراطور
او الملك الفرنسي ولا شأن ذلك موافق لحسن السياسة وشعائر المروءة
الا ان حب الكسب احوج في بعض الاحيان الى اهمال هذا القانون فرخص
لبعض افراد في الدخول في خدمة من احبوا من الفريقين ولكن لم يكن ذلك
تحت الوية الجمهورية بل كان تحت الوية بعض ضباط مخصوصين وكان
لكريديشال دوسيون كلمة نافذة بين ابناء وطنه وكان يغضب ملكه فرنسا
فاستأذن ان يجمع عساكر من السويسرية فاجيب لذلك بجمع اثني عشر الف رجل
السويسريين ليخضعهم الى جيش المتعاهدين (الإمبراطور واليايا) فلما رأت
دول جمهورية السويسرية انه قد انضم الى الملتين المتحاربتين كثير
من العساكر السويسريين وانه سيدير بعضهم بعضا وكانت تعلم ان ذلك يورثها
العار بين الدول بعثت رسلا الى العساكر السويسرية ليتخلوا عن الفريقين
ويعودوا الى وطنهم فاما الرسل الذين بعثوا الى جيش الإمبراطور واليايا
فرساهم الكريديشال دوسيون فلم يوصلوا الامر الذي معهم الى العساكر

السويسيين الذين كانوا في ذلك الجيش واما البرد الذين بعثوا الى جيش
فرنسيس فوصلوا الامر الذي كان معهم الى العساكر السويسية الذين كانوا
في هذا الجيش وكانوا قد شتموا من طول الحرب وكنت قواهم لاسيما وكانت
ماهياتهم لا تصرف لهم فيجبر وصول الامر اليهم بادروا بالطاعة والامتثال
وما سلمكم معهم لوتريك من الترغيب تارة والتهديد اخرى لم يجدد قاعلا
تخلوا عنه وكان مدار قوة جيشه عليهم لم يتجاسر على مقاومة المتعاهدين
فرجع الى مدينة ميلان ونزل بعساكره على شواطئ نهر آدا ولم يجد
حيلة الا منع الاعداء عن عبور هذا النهر وهي حيلة ضعيفة هينة قل
أن نجحت او فقت مع سرعسكر ماهر ذي خبرة ودراية كالشهر كولون
الذي كان سرعسكر جيش البابا لاذ الاجتاز كولون المذكور هذا النهر مع
صهارة لوتريك ونباهته ولم يخسر في ذلك الا خسارة هينة فعند ذلك
اضطر لوتريك الى دخول مدينة ميلان وغلقت ابوابها فهم حينئذ
جيش الايمراطور والبابا يحصار هذه المدينة فجأ منها رجل يجهول الى الامير
مورون سرعسكر جيش الايمراطور واخبره بأنه ان قرب بجيشه ليلا من
المدينة ففتح له حزب الجبابرة اى حزب الايمراطور بابا من ابوابها ثم انطلق
لوقته ولم يظهر ثانيا حتى يضرب هذا الصنيع او يطلب مكافأة في نظيره وكان
الجنرال كولون لا يجب المخاطرة في المشروعات ومع ذلك امر الملتزم
بسكر ان يتوجه بالقرابة الاسبانيولية الى المدينة وتبعه هو بنفسه مع
بقية الجيش فاجاء الليل الا ووصل الملتزم المذكور الى الباب الروماني على
ضواحي المدينة ونزل بغتة على العساكر الفرنسية الذين كانوا هناك فعند ذلك
فر عساكر التحصينات القريبة من الباب المذكور وصار الملتزم بسكر
يقلب على كل محل تركه العساكر الفرنسية ولم يرزل سائر ارجحة المدينة
مع غاية الاحتراس والثبات حتى تغلب عليها من غير أن يسفل في ذلك دماء
كثيرة بل لم يجد من يقاومه او يصدّه حتى حصل التجب لكل من الفرنسيين من
هذه الواقعة وسرعة نجاحهم على هذا الوجه وبجبر دما تعلقوا على المدينة

مطابق
تغلب جيش الايمراطور
على مدينة ميلان

سنة ١٥٢١

فر الجنرال لوتريك الى ارض البنادقة مع قبايا جيشه وتأسست سائر مدائن دوقية ميلان بالتخت فسلت الجيش البابا والاميراطور وانضمت مدينة برمة ومدينة بلينزة الدورا اكميسة وضاع من الفرنساوية جميع البلاد التي فتحوها في بلاد لومبردية ولم يبق لهم منها سوى مدينة كريمون وثلاثة ميلان وبعض قلاع اخرى صغيرة

مطأ

موت البابا ليون العاشر

وبالبلغ البابا ليون اخبار هذه النصر العظيمة كاد يطيح فرحاً حتى ذكر بعض المؤرخين انه لفرط سروره لحقته حتى شديدة واهل علم في مبداء امرها فتبكت منه حتى مات بها في اثنين من شهر كانون الاول وكان في ايام شبابه فرحاً بظفوره ونخاره وبجموته انحلت روابط المتعاهدين ونشبت شلهم فترك كل من الكردينال دويون والكردينال دومينييس الجيش وذهبا ليحضر اديوان الكردينالية لاجل انتخاب بابا بدلا عن البابا ليون ودعيت العساكر السويسيون الى بلادهم وشرق باقي العساكر المستأجرة لعدم صرف ما هيأتهم فلم يبق في دوقية ميلان من يدافع عنها الا العساكر الاسبانيولية وبعض عساكر من المانيا في خدمة الاميراطور فكانت ذلت فرصة عظيمة للجنرال لوتريك في اخذ دوقية ميلان الا انه لم يكن عنده رجال ولا مال فلم يكن ان يفتهم من هذه الفرصة ما كان يود نعم انه هجم على دوقية ميلان عند صرات الا انه لم يبلغ مرامه اتفق الجنرال مورون وحسن سلوك الجنرال كولون وهجم ايضا على مدينة برمة مع المهمة والنبات فلم ينجح ايضا بسبب سياسة الشهي غيشاردين وشهامته

سنة ١٥٢٢

ثم انه حصل النفاق وانتقام بين الكردينالات في مشورة الكردينالية المنعقدة بعد موت ليون العاشر لانتخاب من يكون بابا بدلا عنه فسلت الكردينالات في هذا الشأن جميع طرق الحيل التي يقدر على اقتراحها رجال شيوخا على الدساتس وشيوخا في المخادعات وتجاوز بها عقولهم عند المحاورة في غرض جسيم مهم ككج البابا فلم يذكر في هذا الديوان اسم الكردينال واسي (وزير ملك انكلترة) مع انه ذكر الاميراطور حينئذ بذلك وكان قبل ذلك وبعده

أن يعينه في نسل هذا المنصب وانخط رأى خمسة عشر من ارباب ديوان
الكردي نالية على اعطاء هذا التاج للكردي نال جاليوس دوميديس
وهو من اهارب البابا ليون وكان اعظم الكردي نالات امتيارا واعتبارا
لثروته ومعارفه وتجاربه وتعوده على ادارة الامور الجسدية والمصالح المهمة
العلوية وكان من اصول ديوان الكردي نالية ان هذا القدر يكفي في منع غير من
انخط عليه الرأي ولكن لا يكفي في انتخاب انسان وتقليده بمنصب البابا
فنهض على جاليوس سائر الشيوخ من الكردي نالات ولم يرضوا بجمعله
بابا الا انهم تنفق كلهم على غيره وبغيا كان ارباب الديوان يتنازعون ويتعبون
بعضهم بالمحاورة والمجادلة وارشو بعضهم بعضا اذ خرج الكردي نال
جاليوس دوميديس ذات يوم في الصباح مع حزبه من الكردي نالات
وذهبوا الى مجلس الانتخاب وكان على حسب العادة وقتئذ ينعد كل يوم
واعطوا رأيهم بان الذي يتولى بابا هو الكردي نال اديان دوريك وكان
اذا لم يحكم في اسبانيا نيابة عن الاميراطور ولم يكن غرضهم من اتفاقهم
على تولية هذا الرجل الاجنبي منهم الا ان يجدوا زمنا يكتفيهم في اخذ اهلهم
واستعدادهم لتنفيذ ما ربههم لكن حصل خلاف لما انهم روه وواقفهم فوارقية
الكردي نالات على هذا الرأي ونجحوا هم انفسهم غاية الحب وكذلك سائر
اهالي اوربا من تولية رجل عريب لا تعرفه اهالي ايطاليا بل
ولا يعرفه احد من انخط رأيهم عليه ويجعل بالكلية اخلاق الامة التي دعي
الى ان يسلك بزمام حكومتها ويجعل منافعها وما تقتضيه مصالحها لاسيا
وكانت توليته على كرمي البابا في وقت صعب فكان لا يتصور ان يعطى هذا
المنصب الامم فوق بغرسته ودرائه سائر العصابة الكردي نالية ولما خرج
الكردي نالات من الديوان في زفاف واحتفال منخط عليهم الاهالي في نظير
تخاضهم لهذا الغريب وعجز الكردي نالات انفسهم عن ايد كروا ذلك وجهها
الاقوام ان ذلك الهام من روح القدس والصواب ان يقال ان ذلك الهام
من الامير خسامو بل فانه مراعاة لمصلحة سيده الاميراطور شر لكان

مطلب
انتخاب اديان البابا

في ٩ من شهر كانون الثاني

سنة ١٥٢٢

هو الذي الجأهم بغيره ومكره الى انتخاب هذا الرجل لانه من رعايا الايمبراطور
وكان صادقا في خدمته فصنع ذلك مراعاة لمصلحة نفسه وجبا في الايمبراطور
واقاراله بالشكر لما اعدق عليه به من الخير ان الجليله واسبقه عليه من النعم
الجزيلة

وبارتقاء اديان الى كرسي البابا ازدادت شوكة الايمبراطور وصار لتدبيره
وادارته في ممالكه رونق جديد وعما يدل على عظم شوكرته حيث دعو وشانه
هو انه كافا اديان الذي كان مؤدبه مكافاة عظيمة حيث جعله بابا كنيسة
رومة وهو الذي رقما ايضا قبل ذلك ورفعته الى اوج المعالي حتى جعله
حاكما على اسبانيا نيابة عنه فحصل للملك قرنيين من ذلك غيرة
عظيمة حمله على ان يذل غاية جهده في التغلب على دوقية ميلان ثانيا
وحيث كان خروج العساكر السويسيين من جيشه هو منشأ ضياع هذه
الدوقية رأى اهل السويد انه يجب عليهم ان يعينوا ملك فرنسا
ثانيا في اخذها لطيب نفسه من الاسامة التي فرطت منهم في حقه وهو اخذ
عساكرهم منه فاذنوا له ان يأخذ منهم بلادهم اثني عشر الف رجل يستعين
بهم في مشروعه فلما وصل هؤلاء العساكر الى الجنرال لوزيك وكان الملك
فرديناند قد ارسل اليه ايضا مبلغا هينا من الاموال رأى انه يمكنه ان يحارب
الاعداء ويشاومهم فجمع عليهم واخذ منهم عدة قلاع وتقدم جهة الغرب
وكان جيش المتعاهدين لا يمكنه في تلك المرة ان يمنع جيش فرنساوية
الان الجنرال مورون بجياله وخداعه امكنه ان يتصرفه من اهل ميلان
من حكم فرنساوية حتى اعانوه عليهم حتى الاعانة واعلموه امدادات كثيرة
ومع ذلك كان جيش فرنساوية كسيل العرم لا يأتي على شيء الا اخذه حتى
كان لا يمكن الجنرال كولون ان يثبت في المحطة الحصينة التي عسكر بها
قريبا من مدينة بيكول وكان يضطر الى تسريح عساكره لعدم الاموال
الان العساكر السويسيين الذين كانوا مع فرنساوية فعلوا ما كانوا يفعلوه
اول مرة وتجاوزوا عن فرنساوية عند الحاجة

مطلب

ابتداء الحرب ثانيا
في دوقية ميلان

مطلب

انهزام الفرنسيين
في دواغيبكرك

وطالما عذر السويسيون بالحزب الذين هم منه اذ كانوا اهل سفه ووقاحة
لا يدومون على حاله را عدة فكان احبايهم يحشون غدرهم كما كان اعداؤهم
يهابونهم لشجاعتهم وبراعتهم في الفنون العسكرية وانما تخلوا عن الفرنسيين
في هذه المرة لانهم كانوا في خدمة فرانسا عدة اشهر ولم تصرف لهم
ما هيأتهم فاخذوا يتشكون من ذلك وينظرون السامة والقلق فبعث اليهم
من مملكة فرانسا مبلغ ليصرف عليهم وكان يحقره سرية من الخيالة
الان الجنرال مورون كان متيقظا لا يغفل عن حركات الفرنسيين ابدأ
ولا يخفي عليه امر من امورهم فوضع عساكر على الطريق الذي يأتي منه هذا
البلغ واحكم وضعهم حتى لم يكن للفرانسيين الذين كانوا يحفرونه ان يمزوا بهم فلما
وقف السويسيون على هذا الخبر عجل صبرهم فاجتمعوا كلهم ضباطا وانصارا
وطالوا من الجنرال لوتريك ان يعطى لهم ما هيأتهم او يعدهم بان يتوجه
بهم في غدا للاقاة الاعداء صباحا وان لم يفعل احد هذين الامرين فخلعوا عنه
حالا وذهبوا الى حال سبيلهم ولم يصغوا لقول لوتريك حين عرض عليهم
انه لا يمكنه بوجه من الوجود انه يوفيهم حقهم وانه لا يلبق التوجه للامانة
الاعداء لتحصين معسكرهم حيث كان محكم الوضع من امله وزادوا احكامه
بالتحصينات التي جددوها فيه فلامعة في الهجوم عليهم بل هم الغالبون بدون
مرية الا ان السويسيين كانوا لا يعقلون وكانوا يرون ان شجاعتهم تكفي في ازالة
كل عائق وتظم سرعة على كل مانع فالجوا عليه كل الاحساخ والتزموا ان يكونوا
في مقدمة الجيش ليكونوا اول من يعمل على الاعداء فلما رأى الجنرال لوتريك
شدة عنادهم وانه لا يمكن ردهم عما صمموا عليه قبل ذلك منهم مؤملا
ان تسفه حادثة من الحوادث لاتفاقية التي تظروا على حين غلة لاسيما
في الحرب فغساء ان يخرجهم في هذا المشروع ولقد عهدتخف الظنون وايضا
كان يعلم ان الانهزام لا يضربه اكثر من تحلي السويسيين عنه اذ كانوا على
النصف من جيشه وفي صبيحة اليوم الثاني كان السويسيون اول من برز الى
ميدان الحرب وحلوا على معسكر الاعداء وكان حصنا من سائر جهاته محاطا

في شهر ايار

سنة ١٥٥٢

بالطواحي والمدافع واستعدت الملاقات لعدو فضررت عليهم المدافع من جهة
المعكر ضربا شديدا فقبضوا امامها ولم يتأخروا عن السير حتى وصل اليهم
مدافع الفرنساوية بل هجموا على تحصينات معسكر الاعداء بقلوب نابته
لا تفزعها اخطار ولا تقبعها احوال ولكن مع ما بدوه من الشجاعة الغربية
والشجاعة العجيبة التي تقف دونها العقول ولا تصدر الا عن الابطال والتعول
واعانهم الفرنساوية كل الاعانة هلك منهم اشجع ضباطهم واحسن عساكرهم
ورأوا انه لا يمكنهم الجولان في معسكر الاعداء فخرجوا على اعقابهم
مطرودين لا مغلوبين حيث انهم عند الرجعة لم يراوا باقين على غاية من الترتيب
والانتظام ولم يمكن للاعداء ان يشتتوا شملهم او يوقعوهم في الخلل
والارتباك

مطل

طردت الفرنساوية من
دوقية ميلان

فلما كان اليوم الثاني سافر السوييسون الذين نجوا من واقعة بيكون الى
بلادهم فبعد ذلك رأى الجنرال لوترين انه لا يمكنه مقاومة الاعداء فخرج
الى مملكة فرنسا بعد ان وضع محافظين في قلعة كريمون وبعض قلاع
اخرى وكما لم يمكنها المقاومة بل سلت الى الجنرال كولون ما عدا قلعة
كريمون المذكورة

مطل

اخذ جنويرة من
الفرنساوية

وكان للفرنساوية ارض عظيمة في بلاد ايطاليا غير دوقية ميلان وهي
ارض جنويرة فكان يسهل على الملك فرنسيس ان يأخذ دوقية ميلان
الا ان الجنرال كولون لما ظفر باعدائه غير مرة صار يستحق كل خطب
ويستسهل كل صعب فعزم على اخذ بلاد جنويرة لاسيما وكان يحثه على
ذلك حزب الادورتي الذي كان عدوا للغريغورين وكانوا تحت حماية
الفرنساوية فلذا كان لهيلاذ جنويرة الكلمة النافذة فاخذ كولون
المذكور البلاذ مع غاية السهولة كاتقلب على دوقية ميلان وتمكنت فيها
صولة الحزب الادورتي وحكومة الامبراطور من غير معارضة
ولاسفلت دم

مطل

اشهار الملك هنري الثامن
للحرب مع مملكة فرنسا
في ٢٩ من شهر ايار

ولاشك ان هذه المصائب المتوالية قد اودعت في باطن الملك فرنسيس الاما

شديدة واحسانا كبيرة ازدادت شدتها حين اتى اليه في اثناء تلك المدة على
حين غفلة رسول من طرف ملك انكلترة بصدد طلب الحرب عن لسان هذا
الملك وكان منشأ ذلك هو المشاركة المتعقدة في مدينة بروج بين الایمپراطور
والوزير ولسى وكانت الى ذلك الوقت خفية لم يتف لها احد على جليلة
فتعجب الملك فرنسيس من ذلك كل العجب حيث انه كان يبذل جهده
في استعطاف ملك انكلترة واستمالة وزيره ولسى ومع ذلك فابل الرسول
بالترحيب والاحترام ولاطفه واكرمه كل الاكرام ثم اخذاه بيته واستعد بامور
جسيمة ليدفع عن نفسه هذا الملك ولم يرزل على عناده مصمما على مراده الذي
كان يضمه للایمپراطور وحيث كانت خزائنه قد نفذت في الحروب السابقة
وفيما صرفه من المبالغ الجسيمة على نفسه في اللعب واللهو واضطر الى ارتكاب
امور غير عادية لتحصيل المبالغ اللازمة له فاخترع مناصب جديدة في الدولة
وعرضها للبيع وباع الخفالك والاراضي الملوكية وضرب على الاهالي مغارم
زائدة عن الحد واخذ ضري يحلمن خالص القضة كان الملك لويز الحادي عشر
لكثرة ديانتة قد وضعه حول قبر القديس سفت مارطين وبهذه الوسائط امكنه
ان يجمع جيشا كبيرا ويحصن جميع المدن التي على ضواحي مملكته تحصينا
عظيما

مطلب

ذهاب الایمپراطور الى
انكلترة

هذا ولم يمل الایمپراطور شيئا يجب به لنفسه كل فائدة لاحته من الملك
هنري فقد حصل انه لما رأى اذ ذلك قيام خطه واقبال الدهر عليه
وان مصالحه تنوغل في الذهاب الى اسبانيا وكان ذهابه اليها عملا لا بد منه
فازاد وهو متوجه اليها ان يميز مملكة انكلترة ليقابل الملك هنري ولم يكن
قصده بذلك مجرد تأكيد روابط الھبة بينهما وتحريره على الاستمرار في الحرب
مع فرنسا وبل كان قصده ان يأخذ بخاطر الوزير ولسى حتى تطيب نفسه
ويضي ما خلفه من الخلق والغيت بسبب ما كان يؤمله من اخذ منصب البابا
وصكان الایمپراطور قد وعد بالاعانة على تحصينه فلما مات البابا لم يوفه
الایمپراطور بما وعد به بل ولم يكن له ذكر في ديوان الكرديشالية الذي انعقد

سنة ١٥٤٢

لهذا الشأن وقد تخرج الامبراطور شرلكان وزاد فجاحه عما كان يؤمله وذلك انه لما نزل بانسكترة تلقاه الملك هنري بحسب ما يليق بمقام الامبراطورية لاسبيا وكان الامبراطور قبل ذلك قد اظهر له الاحترام التام في كل فرصة لاحت له في هذا المعنى فبعد ان اكرمه هنري كل الاكرام واقفه على جميع مقاصده ووعده بتتبعها معه واما الوزير ولسي فلما كان يعلم ان ادريان طعنه في السن لان طول مدة اقامته على كرسي البابا نسي غمه او اخفاء لاسبيا وزاد الامبراطور في المرتبات التي كان جعلها له قبل ذلك ووعده بانه سيعينه على اخذ منصب البابا فصار ولسي من وقتئذ يبذل جهده في خدمة الامبراطور ليكون اهلا للامانة التي اتم عليه بماوليحه له على ان يعينه اتم اعانة في نيل هذا المنصب ولما كانت مدة الانكليز تقتسم مع ملكها حظه ونفاره حصل لها غاية المسرة والافسراح من اتمان الامبراطور له واعتماده عليه حيث جعل الامير سوري الانكليزي سر عسكر جيوشه البحرية ولم تكن رغبته اقل من رغبة ملكها في اشهار الحرب مع مملكة فرنسا

ولاجل ان يتحقق الامبراطور شرلكان قبل ارتحاله غن انكلترة من رغبة الملك الانكليزي في تنفيذ ما ربه سافر الامير سوري الى فرنسا بالسفن التي كانت متجهزة اذ ذلك الوقت فواحي بلاد تورمندية ثم نزل ابريطانيا ونهب مدينة مورلكس وحرقتها وكذلك بعض مدن اخرى اصغر منها وبعد هذه الاغارات الصغيرة التي كان اذلالها للفرنساوية اقوم انشراؤها بالتدمير والتخريب لبلادهم رجع هذا الامير الى كاس واخذ الجيش الانكليزي الكبير وكان ستة عشر الفا ووجه الى الجيش الفرنسي الذي كان يقوده القوتنة بوران ودخل بالجيشين في اعظم بيكردي وكان الجيش الذي جمعه الملك فرنسيس اقل عددا من مجموع هذين الجيشين الان الفرنسيين واسبانهم للصروب الطويلة التي حصلت قبل ذلك بينهم وبين الانكليز غر فوامكايد الانكليز حق المعرفة وعلموا الطريق التي يمكن بها

مطلب

دخول الانكليز في ارض فرنسا

مدافعتهم عن بلادهم فكانت التكتبات قد علمتهم ان لا يحاربوا الانكليز صفا
وان لا يعملوا بقتالهم بل يحاولونهم ويجهلونهم لانه كلما طالت مدة الحرب
مع الانكليز عظمت ثمرته لاعداؤهم وانقرض جيش الانكليز شيئا فشيئا وعلمتهم
ايضا ان يجعلوا محافظين على القلاع التي يحكم المقاومة وان يجأؤهم في جميع
حركاتهم ويطعوا عنهم الزاد والذخائر وان يحملوا على طلائع عساكرهم
وان لا يعقلوا عن الاغارة عليهم في كل وقت مع جم غفير من الخيالة وقسائل
معهم هذا المذوال الدوق واتدوم وكان اذذاك رئيس جيش فرنساوية
فصيح غاية الخباج حتى ان القوتنة سوري لم يمكنه ان يتغلب على شيء من
المدائن الكبيرة المهمة بل اضطر الى الرجوع بعد ان نقص جيشه نقصا يئسا
لشدته ما خلفه من المشاق والمكائد وقلة الزاد وما هلك منه في عدة
مصادمات حصلت بينه وبين فرنساوية وكان الجيش فرنساوي فيها
هو الغالب

وكان ذلك آخر الواقعة الثانية من هذا الحرب الذي كان اعظم الحروب التي
حصلت الى ذلك الوقت ببلاد اوروبا نعم قد ضاع من الملك فرنسيس جميع
البلاد التي كانت له بإيطاليا وكان السبب في ضياعها حقد امه الجنرال
لوزين وطلم جزالة للناس وتخلي العساكر الاجنبية التي كان يستأجرها
ومع ذلك فنقول ان الدول التي كانت مخزبة عليه لم يمكنها ان تأخذ شيئا من
دولة الوراثة بل كانت ابنتا توجه او تعجز زراها حصينة مقيمة مستعدة لمقاومتها
حق المقاومة

وبينما كان ملوك النصرانية يضعف بعضهم قوي بعض ويدمرون عساكرهم
في الحروب اذ دخل السلطان سليمان الفاتح بلاد البحار في جيش
جرا و حاصر مدينة بلعراة وكانت اعظم المدائن والثغور والحصينة التي
تحمي مملكة البحار من جيش الدولة العثمانية ومع ذلك سميت في اسرع وقت
وولى عليها السلطان المذكور فلما فتح في هذا الحرب تقوى قلبه ووجه
جيوشه المنصورة الى جزيرة رودس وكان فيها حينئذ طائفة الخيالة

مطلب
فتح السلطان سليمان
الجزيرة رودس

سنة ١٥٢٢

للمسماة سنت جان دو جوربراليم اى انصاريت المقدس وهم على تلك
الجزيرة بسواد عظيم من تلك الجيوش الكبيرة التى لا يعجز عن جمعها ملوك
آسيا الذين هم مطلقو التصرف فى رعاياهم حيث اغار عليها بما تاتى الفرجل
ومعه دونه تحتوى على اربعمائة سفينة حربية وحاصرت تحت جزيرة رودس
ولم يكن فيه من العساكر الا ستة آلاف وستمائة من خيالة ورجال الشواربية
وكان رئيسهم الشهير وليد دوليل آدم وكان لحزمه ومهارته وعزمه
وشجاعته جدير بارتك الرئاسة فى مثل هذا الوقت الذى كان كثير الخطوب
والاحوال فبجبر دما بلفه ان السلطان سليمان عزم على اخذ جزيرة رودس
ليرسل ردا الى ملوك النصرانية يطلب منهم المدد والاعانة على عدو الله المسيحية
وكان جميع هؤلاء الملوك يعلمون ان تلك الجزيرة هى حصنهم يلاذ المشرق
وان شجاعته من كان بها من خيالة الشواربية هى اعظم سور يمكن اتامته لحماية
بلادهم من جيوش الاسلام ومع ذلك لم يسهفوه بالاعانة واغرب من ذلك
ان البابا ادرين حث القريقين المتشاكسين مع الحماية التى يقتضها كونه
ابا النصرارى كافة ورئيس كنيسهم على ان ينسيما مينهم من العداوة والبغضاء
وان يتفاجيهما حتى يمنعا جيوش الاسلام من تدمير طائفة بيت المقدس التى
هى خرابساء النصرانية ولكن كانت البغضة بينهما قد تمكنت فلم يؤثر فيما
وعظ ولا تحريض ولم يلتفتوا الى الاخطار التى كانت بلاد اوروبا عرضة
لها ولم تأخذهم ارفة لتضرع الرئيس وليد دوليل آدم ولا لالحاح البابا
ادريان عليهم ابل قطعوا النظر عن جزيرة رودس وتركوا حالها لاطمان
سليمان يفعل بها ما شاء وبعد ان ابدى الرئيس وليد دوليل آدم فى هذه
المحاصرة التى مكنت ستة اشهر العجب العجائب واظهر هو وجماعته من الشهامة
والعزم والتجملد والحزم ما لا يتصوره الفكر ولا يحصره الذكرو ثبت امام المسلمين
فى عدة صدامات وعارضهم اينما توجهوا بهمة عجيبة غلبت كثرة المسلمين
شجاعته واضطر الى التسليم لكنه لم يسلم فى المدينة الاعلى وجهه اوجب له
الشرف والتفخار حيث لم يتركها الا بعد ان صارت اطلالا ليس فيها ما يستحق الرمي

حتى ان السلطان تعجب من شجاعته كل العجب فلذلك احترمه غاية الاحترام واجابه فيما طلبه من الشروط واما الایمیراطور شرلکان والملك فرنسيس فلما لحقهما من المعزة والخزي حيث كانا سببا في حصول تلك المنساة لابناء النصرانية اخذ كل منهما يبري نفسه ويوجه اللوم على صاحبه ولكن الافرنج ينسبون ذلك لهما معا لان منشأه هو الحرب الذي كان واقعا بينهما لمجرد اطاعهما واغراضهما النفسانية وفي نظير ذلك انم الایمیراطور شرلکان على امرآء تلك الطائفة بجزيرة مالطة وصارت من ذلك الوقت دار اناسهم وهم الى الآن باقون فيها على شجاعتهم القديمة وبفضتهم للمسلمين وان كانوا قد انقطعوا عن العهد القديم جمعة وشوكة

انتهت المقالة الثانية

المقالة الثالثة من اتحاد ملوك الزمان بتاريخ الایمیراطور شرلکان

ثم ان الایمیراطور شرلکان بعد ان سقى غلبه وحظي بمرامه من ايقاع الحرب بين مملكتي فرنسا و انكلترة ودع الملك هنري وسافر من انكلترة حتى وصل الى اسبانيا في ١٧ من شهر حزيران وكانت نيران القنق قد احدثت نكسنا واخذ الالهالي يستطلون بظلال الامن والاطمئنان وشرعت المملكة في اصلاح ما حصل فيها من القلق والفساد بسبب الحرب الداخلى الذي اضر بها واصدحها لمدة غيبة الایمیراطور عنها وقد اخبرنا الى هذا ذكر منشأ هذا الحرب وسبب اتساع دائرته لانه لا رابطة بينه وبين الحوادث الاخرى التي كانت وقتئذ حاصلة في بلاد اوربا فتقول

ان الالهالي عجزوا بلغم ان مشورة القورطس المنعقدة في مدينة غاليطة قد سمعت للایمیراطور بمبلغ من الدراهم على سبيل التسرع مع انه لم يجزم في شيء من الامور التي تشكو اليه منها غضبوا وغضبوا شديدا وفرت نفوسهم كافة وكان اهل مدينة طليطلة بموجب ما كانوا يتبعون به من المزايا العظيمة والخصوصيات الجسيمة يرون في انضمامهم انهم حافظة على حرية الجمعيات البلدية في مملكة قسطية فلما اعطت مشورة القورطس للایمیراطور المبلغ

مطلب
الحروب المدنية التي
وقعت في مملكة قسطية

مطلب
قيام اهل طليطلة

سنة ١٥٢٢

المتقدم ولم تلبس بمخافة رسل تلك المدينة اشتد حنق الطالبيين وظهروا
العصيان لاسبابها وكان اعطاء هذا المبلغ للایمراطور عما يخالف القواين
والاصول المبنية عليها احكام المملكة وتقلبوا على الابواب المحصنة من المدينة
وهجموا على القطعة مع عزم متين وجهد مكين فاضطر حكامها الى التسليم
فلما فتحوا في هذا المشروع قويت قلوبهم واجتمعوا بكل من توهموا فيه انه
من احباب الدولة وازاليها وجردوهم عن وظائفهم ومناصبهم ورتبوا
فيما بينهم نواصير من الحكومة الالهية وجعلوا اربابها وكلاء اتخبوهم من
خواريات المدينة وجعلوا ما يلزم من العساكر للمدافعة عن انفسهم من اهل
الدولة وبطش الملك وكان اعظم رؤساء الالهائي في هذه الفترة هو الامير حنا
دوباديله بكر حاكم قسطنطينية وكان شابا ذا اخوة وشجاعة عجيبة وكان له
من الطمع والمعارف ما يعطيه المرء في مثل تلك الحروب المدنية اقترانه ويرتقي به
في درجات الصولة والشوكة اعلى مكانة

مطلب

قيام اهل مدينة سيفوريه

وكذلك اهل مدينة سيفوريه كان لغضبهم وغيتهم عواقب شنيعة وكان
تورديز يلاس احد رسلهم بمشورة القورطس في تلك المرة الاخيرة قد وافق
من اغبط رايجهم من ارباب تلك المشورة على اعطاء المبلغ المتقدم للایمراطور
وكان رجلا حسيوا لا يخشى بأس احد فلما رجع من المشورة جمع اهل المدينة
في الكنيسة الكبرى على حسب عادتهم وقص عليهم ما فعله في المشورة فبجهد
سماعهم انه اقتران اربابها على تسريحهم للایمراطور بالمبلغ السابق غضبوا كل
الغضب لاسبابها حين تجلس على نصوب هذا الفعل الذي كانوا يرونه من باب
الخطاء الذي لا عذر لم تركبه وبلغ منهم الغضب ان عدوا الى ابواب الكنيسة
فكسروها وقبضوا عليه وصاروا يسحبونه على الارض في ارقعة المدينة
ويلعنونه ويسبونونه حتى وصلوا به على تلك الحالة الشنيعة الى الميدان الذي
يقتل فيه كل من استحق القتل فخرج رئيس الكنيسة وجمع اهل المدينة في احتفال
وبادبهم القربان المقدس فاصدين تسكين غضب الالهائي فاردوهم الاغيا
وحققا وكانوا كلما مروا به على دير يضرج رهبانه ويضرعون للالهائي

ويلتمسون منهم العفو عنه اوتركه حتى يصترف بذنوبه وخطاياهم ورسال
الغفران لكن لم يجد ذلك شيأ بل صاحوا حيثئذ قائلين لا يبرى من خان وطنه
سوى يد الجلاذثم محبوبه على الارض مع غاية القسوة حتى زهقت روحه وهو
بين ايديهم فاخذوا جثته وعلقوها في المنشقة العامة وجعلوا رأسه الى
اسفل

وقد غضب كذلك اهالى مدينتي بوغوس و زاموره وعدة مدائن اخرى
وارادوا ان ينتقموا من رسلهم الذين كانوا في مشورة اقورطس غير ان هؤلاء
ارسلوا بلانغهم ما صنع بسبي الحظ نوردريلاسه هو الوقتهم فخرق الالهالى
التمائيل المصنوعة على صورهم وهدموا بيوتهم من اساسها والقوا في النار
جميع امتعتهم واثاثهم وكان ذلك عاقبة غضب الالهالى على هؤلاء الناس الذين
اتهمهم بانهم خانوا الحرية العامة ولم تطمع نفس احدهم من الالهالى ان يأخذ
شيأ من امتعتهم مع انها كانت محتوية على كثير من الاشياء النفيسة

وكان ادريان اذذاك نائباً عن الملك في بلاد اسبانيا وكان قد جعل
دارا قاضية مدينة والادوليدة فلما بلغه وقوع هذه القسوة امر فوراً بجمع
ارباب مشورته لينتدوا كروافيا يكون به تسكين تلك القسوة ونشر لواء الأمن
والاطمئنان بين الناس فوق الخلقين ارباب هذه المشورة فقال بعضهم
يلزم استعمال القوة والقسوة لاجل اطمان نيران تلك القسوة قبل ان يتسع الحرق
على الرافق وقال آخرون يجب سلوك سبيل الرفق ولين الجانب لان غضب
الالهالى في محله من بعض الوجوه وابدوا انه لا يليق معاملتهم بمحض القوة
والقهر لان ذلك يجزى الى خطر عظيم فانه ربما ازداد عصيانهم وكبر طغيانهم
وكان رئيس المشورة مطران غرناطة فاستحسن الرأي الاول وكان رجلاً
مشهوراً اذا كانا فاذ قال انه كان فيه حدة وحجة وصدق عليه الوزير ادريان
لفرط حرصه على تأييد صولة سيده الامبراطور شرلسكان وابقاء دولته
ولو على مقتضى طبعه من شدة الخوف والرغبة والاحتراس لما وقع
منه ذلك وصدر منه امر الى قاض من قضاة الملك يقال له رونكيلو ان

مطلب
الوسائط التي استعملها
ادريان في معاقبته

في ٥ من شهر حزيران
سنة ١٥٢٠

سنة ١٥٢٢

يسافر حالاً الى مدينة سيفوية التي بدأت بنشر العصيان والقيام ليحكم على المذنبين بما تقتضيه القوانين ووجه خلقه طائفة كبيرة من العساكر وكان اهل هذه المدينة يعرفون طبع هذا القاضي حق المعرفة فادركوا انه سلك في معاملتهم مسلك الشدة والقسوة فاخذوا اهبتهم وحلوا اسلحتهم وغلقوا ابواب المدينة في وجهه فغضب من ذلك وحكم بانهم عامون واهدر دماءهم وتغلب مع عساكره على طرق المدينة ومنافذها فانساهم انهم سيضطرون الى التسليم في اقرب وقت لفقد الزاد من عندهم وعدم الجالب لكتهم مع ذلك دفعوا عن انفسهم حق المدافعة حتى اتاهم الامير بادية من مدينة طليطلة بطائفة كبيرة من العساكر قصدت القاضي المذكور وحلت عليه حلة منكرة فاجلأته الى القرار واخذت جميع ما كان معه من المهمات والذخائر الحربية

مطلب

طرد عساكره في مدينة سيفوية

مطلب

طرد عساكره في مدينة مدينة دلكمبو

وبعد هذه المزيمة صدر امر من اديان الى اتواندوفونسيكا وكان الاميراطور شرلكان قد ولاه سرعسكر الجيوش الاسبانية لانه يجمع جيشاً عظيماً يحاصر مدينة سيفوية محاصرة مستكملة الاركان والشروط وكان الوزير اكرميفيس قد جعل في مدينة مدينة دلكمبو مخزناً كبيراً وملاءم بأنواع المهمات الحربية فاراد السرعسكر فونسيكا ان يأخذ منه ما يلزم له في تلك المحاصرة فلم يسلم له اهل المدينة مدينة دلكمبو في ذلك ولم يستطيعوا ان يأخذوا شيئاً لاهل البناء وطهم حيث ان هذه الاسلحة معدة لتدمير اعداء مملكتهم من الاجانب ولما كان فونسيكا لا يمكنه ان يتفادوا امر اديان بدون هذه المهمات عزم على التغلب على مخزنها بمحض القوة والقهر فاستعد سكانها للمدافعة وهجم على المدينة بكل ما في وسعه فلا قاه السكان قلب لا يفرع وجنان لا يجزع وثبتوا امام عساكره فلما نيس فونسيكا من الظفرهم ورأى انه لا يمكنه التغلب على المدينة امر بوضع النار في بعض بيوت منها حتى يترك السكان الاسوار ويستغلوا بانقاذ عائلاتهم وامتهتهم من الحريق فيسهل عليه اخذ المدينة لكن خاب آماله فانهم

لم يفتتوا الى النابيل ازيد غضبهم منه ولم يزلوا يقاتلون حتى هزموه وطرده
بالكلية هذا وكانت السارلم تزل تنقل من زقاق الى آخر وتنسج في المدينة حتى
كادت تجعلها رمادا وكانت هذه المدينة اذئذ من اعظم مدائن اسبانيا
واكبر مخازن المحصولات الخارجة من فبريات مدينة سيغوية وغيرها من
المدائن الكبيرة وكانت مخازنهم او قنطرة مشحونة بالبضائع المعدة للبيع في سوقها
لان زمنه قد قرب فاحترقت جميع هذه البضائع وكانت خسارة المملكة بذلك
عظيمة وكان اهاليها الى مملكة قسطنطينة منذ زمن طويل قد نسوا احوال
الحروب المدنية فاشتد غضبهم حتى كنت تخال ان بهم جنة وصار فونسيكة
مبغوضا عند الناس كافة وسجوه محرق وطنه وعدوه والى ذلك الوقت كان سكان
مدينة والادوليد منقادين للامبراطور فلم يخرجوا عن طاعته وكان
ينعمهم من ذلك حضور اديان بين اظهروهم لكن لما رأوا ما فعله فونسيكة
بمدينة مدينة داكمبو انظروا اليهم ولا يستطيعون السكوت على ذلك وابناء
وطنهم في اكبر المصائب فيبادروا الى اسلحتهم لما قام بهم كغيرهم من الحمية
القضية وحر قوايت فونسيكة واتخذوا قضية غير القضاة الذين كانوا
موجودين اذئذ لوجعوا عسا كروجهما على علم ضباطا ومكتوبا يحافظون
اسوار مدينتهم حتى كان العدو واقف على ابوابها

ومن المعلوم ان الكرديشال اديان كان من اهل الفضائل والعفة خاليا عن
الاغرائس ولو كانت المملكة حينئذ خالية عن الفتن والتعصبات لامكنه
ان يحكمها بطريفة مستحسنة فوجب له المديح والثناء لانه لم يكن مستكبرا
للشجاعة والمهارة التي كانت تستدعيها مقتضيات الاحوال اذئذ فلما علم انه
لا يمكنه اطفاء نيران الفتن بطريق القوة والقهر اخذ يسلك مع الاهالي مسلك
اللين والرفق ليستعطفهم ويسكن غيظهم ويثبت عندهم ان السرعة عسكرة
فونسيكة قد جاوز الحد فيما امر به وانه يعني نفسه قد لحقه غم شديد من العمال
القبضة التي ارتكبها هذا السرعة عسكرة ولكن لما كان هذا الاستعطف ناشئا عن
عجزه وعدم اقتداره لم يرد العاصين الاطغيا ما وبغيا فامر بعد ذلك بقليل

مطلب

تسريح الكرديشال
ادريان للعساكر

سنة ١٥٢٢

السر عسكر فونسيكا ان يرجع من الجهة التي كان فيها وسرح العساكر
لانه كان لا يملكه ان يدفع لهم ما هيأتهم لما ان خزانة المملكة
كانت قد نفذت باختلاس الوزراء الفلنكيين وكانت المدائن الكبيرة لم تزل
متعصبة عليه فلم انها لا تساعد ادى مساعدة ولا تعطيه شيئا من الاموال
يستعين به وترك الاهالي يفعلون ما بدا لهم حتى لم يبق له عندهم من الشوكه
والصوله سوى خيالها

مطلب
مقاصد الجمعيات البلدية
في مملكة قسطنطية ودعواها

ولم يكن خروج تلك الجمعيات البلدية من قبيل الغضب الوقتي الذي يطار على
امة متلاح حتى اذا خدت ناره ترجع الى طاعة حكامها بل كان ينبغي على ما رتب
جسمية ومقاصد مهمة عقلية وهي ابطال عدة مقاصد كانت موجودة
بالمملكة اذ ذلك واقامة دعائم الحسرية العمومية على اساس متين بحيث
لا يعثره فيها بعد زلزل ولا اضطراب ولا شك ان هذه المقاصد حسرة بما بذله
الاهالي في شأنها من الجهد والاجتهاد ومنشأ ذلك هو ان الحكومة الانتزامية
في بلاد اسبانيا كانت حينئذ تلزم الحسرية اكثر مما في غيرها من ممالك
اوروبا وكان السبب الاصل في ذلك هو كثرة المدائن المسخرة بتلك المملكة
كانها عليه فيا سقى وهو الذي اعان اكثر من غيره على اطفاف الحكومة
الانتزامية في هذه المملكة واطففت ثوانيتها وسهل صعوبة احكامها
وجعل تلك الحكومة في بلاد اسبانيا اعدل والطف مما كان في غيرها
من الممالك الا فرنجية فكان سكان كل مدينة وجاها واحدا كبيرا له مزايا جمة
وخصوصيات مهمة وكانوا معافين من الرق والتبعية وكان لهم مدخل عظيم
في التشريع ووضع القوانين وكانوا يملكون من القنون والصنائع التي بدونها
لا يستقيم حال اي مدينة كانت وهي انواع على غاية من الغنى والثروة لعظم
تجاراتهم واتساع دائرتهم وبالجملة فكانوا احرارا مستقلين باتسهم ليسوا
اتباعا لغيرهم ولذلك كانوا حذرة على الاستقلال وانصار الحرية العمومية
لا سيما وكانت حكومتهم لا اخية مبنية على شعار الحكومة الديمقراطية
والحكومة الجمهورية فكانت الحسرية عزيزة عندهم بحيث لا تدفع لهم

سنة ١٥٢٢

اتسبهم ان يفرضوا فاعمالهم في تفریط ولا ريب ان الحكومة اذا كانت بهذه المثابة تكون الحرية عزيزة عند اهلها ولو كان حاكمها مطلقا لتصرف ولذا كانت عادة وكلاء الالهاليين لاد اسبانيا انهم متى حضروا مشورة القورطس التي هي مشورة العموم يناقضون الملك فيما لم يستحسنوه من مشروعاته وقاصده ويعارضون الاشراف والاعيان حتى لا يلحق الالهالي ضرر من ظلمهم وجورهم وكانوا دائما يجنحون الى ما فيه توسيع دائرة مزاياء الالهالي وخصوصياتهم وينزلون جهدهم في محو المضار التي كانت باقية من شعائر الحكومة الارستوقراطية الى الالتزامية ولم يكتفوا بانهم كانوا من اعظم الطوائف في الدولة بل كانوا يطلبون ان يكونوا اقواها شركة

وكان يظلم لهم اذ اذا ان مقتضيات الاحوال تعينهم اتم الاعانة على تجميع مشروعاتهم التي كانوا عازمين عليها لان ملكهم وهو الاعيان اطور شرائسكان كان حينئذ بعيد عنهم وكان قد نزع حبه واعتباره من قلوب رعاياه لقمع سلوك وزرائه فلما تمت نفوس الالهالي من عدم مظالم حلت بهم من طرف الحكام شهرروا السلاح واخذوا في العصيان وان كانوا لم يدبروا امره من قبل وكان غضبهم شديدا بحيث كان يمكن ان يفتنى بهم الى مجاوزة كل حد وغاية لاسيما وكانت الخليفة الملكية قد نفذت اموالها وكانت المملكة خالية من العساكر والجيوش وكانت الحكومة بيد رجل اجنبي ليس عنده من المعارف ما يكفي في القيام باعباء المملكة وان كان صاحب فضائل وخصال حميدة واول شيء فعله الامير باديله وبقيته رؤساء العصبة الذين كانوا يلتفتون كل الالتفات الى ما تقتضيه الاحوال اذ انما حتى لا يضيء واما بلوح لهم من القوس هو انهم جددوا بين العصاة نوع معاهدة به امكنهم ان يتحموا امورهم بدون اختلال واختلاف وان يكون مطمح نظرهم واحدا وحيث ان الاسباب التي حلت المدائن على الخروج والعصيان كانت واحدة بل وكانت تلك المدائن ترى نفسها انها وياق بمنازع بقية الرعايا امكن للامير باديله وغيره من بقية رؤساء العصبة ان يبلغ سرامه بدون مشقة وتعين لهذا الشأن مشورة عامة في مدينة آويله وحضرها

مطلب

معاهدة الجمعيات البلدية
المشهوره بالمعاهدة
او العصبة المقدسة

رسل المدائن التي كان لها الحق في ارسال وكلاء بمشورة القورطس
وتحالفوا جميعا على ان يجيوا او يعمدوا على خدمة ملكهم وحماية من اباخرتهم
وخصوصيات طاقتهم ونسبوا من وتشد باسهم المعاهدة المقدسة واخذوا
ينذرون في شأن مصالح الاهالي وما ينبغي ابطاله من النظام التي كانت
موجودة اذ ذلك بمملكته فكان اول شيء افتخروا به هذا كراتهم هو عدم اقرار
الاجنبي على نيابة مملكتهم فالتين ان ذلك مخالف لاصول المملكة وانظر الى
على ان يعينوا الى الوزير اديان وكان هو النائب وقتئذ رسلا من طرفهم
بأمر منه بالنزول عن الكرسي الملوكي زار لا يتسبب من الان فصاعدا بشي
من امور الدولة لانهم لا يقرونه على ذلك ولا حق له بدون اقرارهم

وبينا كانوا يأخذون اهبتهم لتخير هذه الميزة الجسيمة اذ حصل ان الامير بادله
بتأمر مشروع جسيم هو من اعظم المشروعات فائدة في اعانتهم على تسب
ما تربهم وذلك ان هذا الامير بعد ان اقتضى مدينة سيغوية توجه الى
مدينة نورديز بلاس وكانت بها الملكة حانة منذ مات زوجها
فيليش وكانت دائما بين احزان واشجان وتقترح اجفان فبذل هذا الامير
جهده واعانه السكان حتى دخل تلك المدينة وقبض على الملكة حانه وكان
الوزير اديان قد اعمل في حفظها حتى تكون آمنة من مثل هذا الامر
فبعد ذلك دخل الامير المذكور هذه المدينة ذهب لزيارة الملكة فلما غفل بين يديها
مع الاحترام والادب التام الذي كانت توجهه على بعض افراد كانت تأذن لهم
بالدخول عندها قص عليها قصيلا الحالة المحزنة التي حلت برعاياها
القسطليين تحت حكم ولدها شرلكان لانه لصغر سنه وقلة تجاربه
واختباره للامور جعل عليهم وزراء من الاجانب شددوا عليهم كل التشديد
واساؤهم كل الاساءة حتى شمت نفوسهم وضائق عليهم الارض بما رحبت
فاظهروا العصيان وشهروا السلاح ليدافعوا عن حرية بلادهم فلما سمعت
الملكة ذلك انتعشت كأنها افاقت من عتها وتحسرت على سوء حال
رعاياها واخبرته بانها الى الان لم يبلغها موت ابها فردتند ولا ماحل

مطلب

قبضهم على الملكة حانة ام
الاميراطور شرلكان
٢٩ من شهر آب

برعاياها من الضنك فاذن لاولوم عليها ولكنها من الان فصاعداتهم باصلاح
تلك المفاسد ومحق تلك المظالم والمكاييد وكان آخر كلامهم معه أن قالت
حافظ ايها الامير على فعل ما فيه الصلحة العامة للرعايا وكان بآدله يصدق
عاجلا بما يلائم بغيته ويوافق منيته فاعتقد انه عاد اليها عليها لامحالة واخبر
بذلك رسل العمالات اى وكلاء المملكة ودعاهم الى المجيء الى مدينة
نوردريز يلاس ليعقدوا مشورتهم بها فمجزدما وقف الوكلاء على هذا الخبر
ذهبوا الى تلك المدينة وتحولت الدعوى اليها وتلفت الملكة على وجه حسن
تسري راعضته عليها العصبة المقدسة بضم نضرع تلك العصبة اليها ان تأخذ
بعنان المملكة فرضيت حانة بذلك وكانت علامة رضاهما انها اذنت لوكلاء
المملكة أن يقبلوا يد هابل وحضرت ايضا ملعب التورنواس الذى نصب
لهذا الشأن وظهر عليها كل السرور من رؤبة هذا الملعب لاسما وكنوا لاجل
شرح صدرها قد اظهر واذا فتنونا بعبية وفروعا مرغوبة لكنها بعد
ذلك بتليل عادت الى عتمها واختلال عقلها ولم يمكن بوجه من الوجوه
ان يستيلمها احد الى وضع امضائها على شئ من مصالح الدولة

مطابق
ادارة المملكة باسمها

فاخذت حينئذ العصبة المقدسة تخفى هذا الخبر واستترت على ادارة المملكة
باسم الملكة حانه لان اهل قسطنطية كانوا يحبونها احبا جالما كان لهم
من المحبة الصادقة في اسمها الملكة ايرانية فمجزدما بلغ الاها الى ان الملكة
حانة رضيت باخذ عنان المملكة فظهرت عليهم علامات الانشراح والفرح
وزال عنهم بذلك كل هم وترح ولما اعتقدوا انها افاق حقيقه من عتمها
وخبها زعموا ان الله سبحانه وتعالى لم يقض بذلك الا لكونه اراد اقاذا المملكة
من ظلم الاجانب ولما رأت هذه العصبة انه قد صار لها شهرة عظيمة وصوله
جسية باظهارها انها تحكم الدولة باسم الملكة حانة طلبت من آدريان ان
يتخلى عن نيابة المملكة ولا يتسبب بشئ من امور الدولة وارسلت كذلك بآدله
الى مدينة والادوليدة ومعه سرية عظيمة من العساكر وامرته ان يقبض
على كل من كان باقيا في هذه المدينة من ارباب المشورة الملوكية ويحضره معه الى

سنة ١٥٢٢

مدينة تورديزيبلاس وبأى معه ايضا باختم المملكة ودفاتها ودفاتها الخزينة
فحين وصول باديله الى المدينة والادوليد رحب به اهلها وتلقوه كأنه
منجى الوطن وحاميه وفعل باديله كما امر الاله اذن للوزير ادريان
بالاقامة فى مدينة والادوليد كاحاد الناس

مطلب
تأسف الإمبراطور ونعمه

وكان الإمبراطور حينئذ يلاذ بالملك وكانت تأتيه الاخبار بكل ما يحصل
فى بلاد اسبانيا وعرف حقيقة الخطاء الذى ارتكبه وزراءه بكونهم مكثوا
زمنًا طويلا وهم يحتضرون تشكى اهل قسطنطين ولا يقبلون منهم صرفا
ولا عدلا فكان فى حيرة كبيرة وغم عظيم حيث كان يرى ان تلك المملكة التى هى
اعظم ممالكه واصل شوكته وصورته كانت تخرج عن طاعته وتقع
فى المصائب العظيمة والاهوال الجسيمة التى تنشأ عن الحروب الداخلية والتتن
المدنية وكان من الممكن ان حضوره يسكن تلك التتن ويمنع تلك المصائب الا انه
كان لا يمكنه حينئذ ان يرجع الى اسبانيا خوفا من ان يضع منه التاج
الإمبراطورى لانه اذا غاب يسهل على خصمه فرنسيس الاول ان يتم
مقاصده ويفوز باغراضه فرأى انه لا يمكنه ادخال اهل قسطنطين تحت
الطاعة الا باحد امرين اما ان يستسلمهم بالعطايا ويسلك معهم مسلك الرقيق
واللين أو يأخذهم بالتهرو ويحس القوة لكنه لم يصمم على واحد منهما بعينه بل
صار يريد بينهما حتى يظهر له ان الاوفق ان يتبع الامر الاول ليعلم ما يترتب عليه
وان يتأهب فى أثناء ذلك ويستعد للامر الثانى اذ لم ينجح الاول فكتب لسائر
مدن قسطنطين عبارات عذبة رقيقة يعدهم فيها بعطايا جزيلة ومزايا جليلة
اذا هم القوا السلاح واقلعوا عن العصيان ووعدهم انه لا يطلب من المدائن
التي لم تعص الغرم الذى انحط عليه الرأى فى مشورة العموم المتعقبة اخيرا
وكذلك جميع المدائن التى ترجع الى الطاعة وتترك التثبت بالعصيان والقيام
والترزم انه من الان فصاعدا لا يولى اجنبيا على مملكة قسطنطين ولا يعطى
مناصبها الا لاهلها وكتب ايضا الى الملتزمين والاشراف يحثهم على الجهد
والاجتهاد فى المداخلة عن حقوقهم وحقوق الملك من تعدى الجمعيات البلدية

مطلب

مادبره فى شأن العاصين

ودعواها واتاهم مع الوزير ادریان اثنين آخرين في نيابة المملكة وهما
الاميرال الاكبر (قبودان باشا) قدریق هنريكز والامير انيغودويلا سكو
سر عسكر قسطنطية وكل من هذين الاميرين كان له معارف غزيرة وصوله
كبيرة وعين لهم اصولا يعملون عليها ورخص لهم ان يسلكوا اميل القهر
والغلبة في تأييد الشوكة الملوكة ان ازداد العاصون بغيا وعتوا ولم ينفع معهم
الاخذ بالرفق واللين والمعاملة بالتي هي احسن

ولاشك ان المزاج والاقطاعات التي سمحت نفسه حيث ذبا عطاشها كانت تكفي
في ارضاء خواطر الاهالي لوفعل ذلك حين سافر من اسبانيا ولكنه فعله
في غير وقته فلم ينشأ عنه ثمرة وذلك ان جميع الاهالي اقرروا العصبة المقدسة وكانوا
ظهيراً لها وكانت قد قويت همة تلك العصبة وازداد عزها بما حصل لهم من
النجاح في مشروعاتها واسما وكانت لا ترى للدولة عساکرو جنودا قادرين على
فعلها ومنعها عن تحقيق مقاصدها فارادت حيثئذ ان ترفع مظالم الدولة وتفتح
الاجحاف بمقوق الاهالي فكانت مدة وهي تحررت تقريراً مستقلاً على تلك المظالم
التي تريد رفعها وعلى جميع الاصول والقوانين التي رأت ان ترتيبها لازم في اثبات
مزاياء الجمعيات البلدية وتفضيد حقوقها وكان هذا التقرير موقفاً من عدة بنود
تخص ارباب الدولة ودواوين الادارة والتدبير فهو فيسديننا مقاصد العصبة
المقدسة افادة اصح وأكدم من معاينة المؤرخين الاسبانيولين المتأخرين
لانهم كانوا في عصر جرت العادة فيه ان المؤلف اذا اراد تدوين تاريخ امة او قبيلة
عاصية يطرى فيما حصل منها ويصف افعالها واطوارها بكل كريمة ويبالغ
في الاسباب التي حملتها على الخروج والعصيان فهو لا يذكّر شيئاً على
حقيقته * وصوره هذا التقرير انه صدر بمقدمة طويلة مشتهة على المصائب
الكبيرة والاهوال الكثيرة التي كان يكابدها الاهالي وعلى اختلال حكومة اهل
الدولة وفسادها وقبح ادارتهم الذي هو السبب في جميع تلك المصائب ثم بين
ان الاهالي قد تحملوا ما لا طاقة لهم عليه حتى عيل صبرهم ورأوا ان مصلحة
اقصهم ومصلحة وطنهم توجب عليهم ان يجتهدوا كلهم ويتفقوا جميعاً على تدبير

مطلب

تقرر بالعصبة المقدسة
المتشعل على شكواهم
والمظالم التي يريدون
رفعها عنهم

سنة ١٩٢٢ هـ

امر موافق - ستحسن بحق اتباعه فيه ملونه ويأمنون به على انفسهم وعلى بقا
القواتين المبنية عليها مملكتهم وصونها عن الخلل والفساد فكتبوا ان الملك يجب
عليه ان يرجع الى مملكة اسبانيا ويجعلها ادارا قامة كسلفه من الملوك
الذين حكموا على تلك المملكة ولا يجوز له ان يتزوج الابرضاء مشورة وكلاء
المملكة وانه ان اضطرر بموجب مقتضيات الاحوال الى الغيبة عن المملكة
لا يجعل نيابته في يد احد من الاجانب الذين ليسوا من اهلها وان تقايد
الكريدينال اديان بهذا المنصب لم يشزه الاها الى بل عزوه منه وانه يجب
على الملك عند رجوعه الى اسبانيا ان لا يصحب معه احد من الاجانب
سواء كان فلنسيكا او غير فلنسيكي وان لا يدخل ابدعسا كرمم القرباء في المملكة
باى وجه كان ولا باى علمه كانت وان غير اهل اسبانيا لا يجوز ان يعطى
لهم منصب او وظيفة في الدولة او في الكنيسة وانه لا يجوز اندراج احد من
القرباء في جريدة السكان المتاصلين بحيث يعد منهم وتعطى له الوثيقة اللازمة
لذلك ولا يجوز من الآن فصاعدا ان تكون سكنى العساكر مجانا وان لا يسكن
بيت الملك بالعساكر الا لمدة سنة ايام بشرط ان يكون ذلك وقت سفر الديوان
الملوكي وجميع القرد والغرامات ترجع الى ما كانت عليه حين موت المملكة
ايراياله ويجب ان ترد سائر الاشياء التي خرجت من ايراد الملك ومن الخفالك
والاراضي الملوكة بعد موت هذه المملكة سواء كان خروج هذه الاشياء
وانتقالها بيع او تبرع وغير ذلك ويجب ابطال سائر المناصب والوظائف
التي حدثت بعد وفاتها وان لا يؤخذ من اقليم جليقية المسمى غاليسية
الا عانات التي وضيت بها مشورة وكلاء المملكة وان كل مدينة من الآن
فصاعدا تبعث في كل مشورة عموم تنعقد وكيلاينوب عن طائفة القسوس
ووكيلاينوب عن طائفة الاشراف ووكيلاينوب عن طائفة الاهالي وكل
من هؤلاء الوكلاء الثلاثة تنتخبه طائفته ولا مدخل للديوان مباشرة
او بواسطة في انتخاب هؤلاء الوكلاء ولا يجوز لاحد من ارباب مشورة العموم
ان يقبل وظيفة او امر تباعطى له او لاحد من اقرابه من طرف الملك ومن خالف

ذلك عوقب بالقتل وضبطت جميع امواله لجانب الديوان ولكن يجب على كل
 مدينة او جمعية بلدية ان تدفع لوكليلها ما يليق بمصاريفهم مدة اقامته بمشورة
 العموم ويلزم ان مشورة العموم تجتمع في كل ثلاث سنوات مرة فاكثر سواء
 دعاها الملك او لم يدعها واذا انعقدت تلك المشورة ثم تذاكرت في شأن المصالح
 العامة ابتدأت في النظر هل عمل فيها بمقتضى هذا التفسير ام لا ويلزم
 الرجوع في كل مكافاة اعطيت واستعطى لارباب مشورة وكلاء افليم جليقية
 ولا يجوز ان يخرج من مملكة اسبانيا ذهب ولا فضة ولا حلي ومن اخرج
 شيئا من ذلك كان عقابه القتل ويعين للقضاة شئ معلوم حتى لا يأخذوا شيئا من
 المفارم التي تضرب على المذنبين ولا من اموال اصحاب الجنايات الكبيرة التي
 تضبط اموالهم وتضم لجانب الديوان وكل ما وقع التبرع به من الاموال من
 المتهمين فهو باطل ما لم يكن تبرعهم به قبل الحكم عليهم وكل مزينة بنتت
 للاشراف في اى زمن كان يجب الرجوع فيها متى كانت تضرب بالجمعيات
 لبلدية ولا يجوز من الآن فصاعدا ان تعطى حكومة المدن للاشراف ويجب
 ان يضرب على اراضيهم جميع ما يضرب على اراضي الجمعيات البلدية من
 العوائد والجرائم العمومية ويجب ايضا البحث عن كيفية سلوك كل من انبط
 بادارة الاراضى والاملاك المملوكية الوراثة من وقت امتلاء الملك فرديند
 على الكرسي وان لم يعين الملك في ظرف ثلاثين يوما لهذا الشأن اما سايصلحون
 كان مشورة لعموم الحق في تعيين من يصلح ولا يجوز اذاعة الغفران ولا الوعظه
 في المملكة الا بعد ان تبحث مشورة العموم عن الاسباب المبنى عليها هذا الامر
 وتجري ما تستحسنه وجميع النقود التي تحصل من بيع الغفران تصرف
 في المحاربه مع المسلمين اعداء دين النصرانية وكل قسيس لا يمكنه ان يارثه ستة
 اشهر من كل سنة يحرم من ايراده المدة التي غايها والقضاة قسيسون واتباعهم
 لا يطلبون الا قدر المبلغ الذي يدفع في دواوين الا لايك وحيث ان مطران
 طليطلة الان اجنبي وجب عزله واعطاء منصبه لواحد من اهل قسطنطينية
 ويجب على الملك ان يقترح جميع ما تفعله العصبة المقدسة ويعدّه نصحا له وللأمة

سنة ١٥١٢

باسرها وان يعفو عما ارتكبهته المدائن لفرط غيبتها على حقوقها لان له اصلا
صحيحا وان يحلف انه يفعل بموجب هذه البنود ولا يتعداها ولا يحاول ابدا
ابطالها ولا يتساهل وانه لا يتضرع ابدا الى البابا او الى قسيس آخر يأذنه
في الحث في هذا البين ليخلص من وزره بحيث لا يكون مطالبا به

فهذه هي البنود الاصلية التي احتوى عليها هذا التقرير الذي قدمته العصبة
المقدسة لملكها شرسكان. وحيث ان القوانين والرسوم الالتزامية كانت
في الاصل متعددة في سائر الممالك الافريقية كانت الحكومات المبنية على اصول
المذهب الالتزامي تميل الى ما رتب واحدة تفسيريا للقوانين التي كان اهل
قسطيلة حيث يسعون في انشاء ما يملأكم كانت تخالف قليلا للقوانين
التي اهتمت بانشاء الملل الاخرى عند منازعاتها ومجادلاتها مع ملوكها
في شان الحرية فالمنظالم التي تشك منها الجمعيات البلدية في بلاد انكارة
حين تنازعت مع امرآة عميلة ستوار الملوكية والقوانين التي رتبها تلك الجمعيات
لابطال هذه المنظالم هي اقرب شها بالاصول والقوانين التي كانت العصبة
المقدسة حينئذ تدق في طلب انشاءها بملكة اسبانيا الان اهل اسبانيا
كانوا من ذلك الوقت يعرفون الحرية والاستقلال قيمة غالية واهمية عالية
وكان لهم في السياسة بحال عظيم ودائرة واسعة لم يصل اليها الانكليز الا بعدهم
بقرون كامل

ومع ذلك فالظاهرا ان النسخ لما اشتهر بين اهل قسطيلة واشرب في قلوبهم
حبه ولم يمكن للدولة ان تمنعهم عن اتباعه تجاوزه الحدود حتى حل العصبة
المقدسة على ان تعالبا انشاء امور جديدة عادت عليها بالضرر والسوء حيث
نشرت منها قلوب الطوائف الاخرى وبسبب ذلك هو ان الجمعيات البلدية
مادامت لا تطلب الابطال المنظالم الناشئة عن عدم اختبار الملك وقلة
تجاريه لا يفسر منه او عن طمع الوزراء الاجبيين وعدم حسن ادارتهم كان
الاشراف لا يتصدون لها ولا يعارضونها بل كانوا يساعدونها في مشروعاتها
ومن لم يكن يساعد هلمهم كان يغضى عما تفعله ولكن بمجرد ما اخذت تلك

مطلب

تولع تلك العصبة بالحرية
وغيتها عليها

مطلب

سبب تدبر طقعة
الاشراف

سنة ١٥٢٢

الجميعات في خدش مزايلا الاشراف غضبوا كل الغضب وعرفوا حق المعصية
ان اعمال العصبة المقدسة تجزى الى ابطال شوكة الاشراف كما تجزى الى تضيق
مزايلا الملك نعم وان كان الاشراف في حق عظيم من قولية الكردي نبال ادریان
نائب عن الملك في المملكة الا ان هذا الحق تناقص منذ اشرك الايميراطور
مع ادریان في منصب النيابة الاميرين المشهورين المتقدمين وهما
سر عسكر البروسر عسكر البحر لاسيما ورأى الاشراف ان اتساع دائرة مزايلا
الملك لا يحيط بقدرهم كدعوى الاهالي المريضة الزائدة عن الحد فعزموا على
ان يعطوا للملك الامدادات التي كان يطلبها واخذوا في جمع اتباعهم لتنفيذ
هذا المقصد هذا وكانت العصبة في جزع وقلق وهي في انتظار جواب الملك عن
مضمون التقرير الذي بعثته لتعرضه عليه مع رسل مخصوصين من طرفها
فبجرت ما اخذ الرسل التقرير رسافروا لبدون زراخ ولا مهلة الى بلاد المانيا
الا انهم وهم في انشاء سفرهم جاتهم النصائح من عدة جهات انهم ان ظهروا
في الديوان الايميراطوري لبلاد المانيا يخشى عليهم ان يكونوا عرضة
للهلاك فامسكوا عن السفر وبعثوا يخبرون العصبة بذلك فلما وصل هذا الخبر
الى العصبة اشتد غضبها حتى جاوزت حدود ما يوجب الحزم والكياسة واصالة
الرأى وحسن السياسة

فلما سمعت انه يخشى على الرسل المبعوثين من طرفها الى الملك نهجت كل العجب
حيث لم يسبق في العادة ان احدا من ملوك قسطنطينية أبى ان يسمع شكوى
وعيايه ورأت ان ذلك هو الظلم الذي لم يسمع بمثله ولا طاعة على تحمله وعلمت انه
لا يستدھن هذا الظلم الشنيع الا السلاح وهو الذي به يمكن ان تبعد عن الملك
سائر اعداء الذين كانوا محدقين به حيث انهم لم يكتفوا بسلب اموال المملكة
بل بعد أن اكوا اموالها وافسدوا حلها ارادوا ان يجمعوا اهلها عن الذهاب
الى الملك ولا يكتفونهم من الوصول اليه حتى يبتوا اليه شكواهم ويدينوا له الجمة
التي يحصل لهم منها الضرر ومن وقتئذ اختلفت آراء ارباب العصبة فقم من
شد في العمل بموجب رأى كان قبل به قبل ذلك وهوان شرسكان

مطلبه —
عدم تجاير رسل العصبة
على عرض التقرير الذي
هم مبعوثون به الى الملك
في ٢٠ من تشرين الاول

سنة ١٥٢٢

مادامت امه في قيد الحياة لا يثبت له لقب الملوكية على قسطنطينية ولا يجرى له امر عليها وان اقراره على هذين الامرين لم يكن مبنيا لاعلى ظن ان الملكة حاته امه لا اقتدار لها اصلا على القيام بادارة المملكة ومنهم من راي انهم يتزوج بامير كبرى وارث ملوكه مائلى الذين هم من عائلة اراغون الملوكية ليعينها في الادارة وكان الملك فردينند قد افتات على اجداد هذا الامير وتغلب على ملكهم ووضع هذا الامير في السجن فلم يرل مسجوننا حتى حصلت تلك الفتن ورأى الجميع انهم قد اخطأوا في كونهم املوا ان الملك ستنصفهم ويثبت لهم حريتهم وفي كونهم اقتسروا على عرض تقرير يتضمن شكواهم وانحط رأيتهم على انه يجب الخروج عن الطاعة وان يجتمعوا سائرقواهم ليحاربوا كلام من حزب الملك والاشراف ولا يقرطوا في حريتهم

مطلب

مباررة العصبية المقدسة

وبرز من الاهالى في ميدان الحرب عشرون الف رجل الا انه حصل بينهم منازعة كبيرة في شأن من تكون له رئاسة الجيش وكان الاهالى والعساكر يحبون الامير ياديله فاتفقوا على انه هو الجدير بشرف هذا المنصب ولكن كن هنالك امير آخر من ذوى الحسب والنسب وهو الامير بدروجيرون ابن القوتة اوروة البكرى وكان هذا الامير قد غضب من الاميراطور شرلكان فانضم الى حزب الجمعيات البلدية فنزل له ياديله عن هذا المنصب نظرا الى جلالة قدره وعراقته في الحسب والنسب الملازمة للمنصب المذكور لاسيما وكان هنالك جماعة من ارباب العصبية يغارون من ياديله ليل الاهالى اليه وملاطفته اياهم فلاجل اعاطفته اقتضى رأيهم توليته بدروجيرون فعما قليل حين حلت بهم المصائب وخسروا خسراتا كبيرا عرفوا انه ليس اهلا لهذا المنصب حيث لم يكن جامعاً لما يلزمه من التجارب والشجاعة والمعارف والبراعة

٢٣ من شهر تشرين الثاني

مطلب

تسلح انتواب والاشراف

واما انتواب المملكة فجعلوا مدينة ريو زيكو موعدا لاجتماع عساكرهم وكان هؤلاء العساكر يدون عساكر الجمعيات البلدية عددا الا انهم كانوا يفوقونهم في الشجاعة والمهارة والقتون الحربية وذلك ان التواب اخذوا

من ملكة نوار العساكر المشاة القديمة فجمعوا منها وجاها عظيما وكان
اعظم قواهم الخيالة حيث كان فرسانهم مؤلفين من الاشراف والبيكرادات
المتعودين على الحرب العارفين باصوله وفروعه وكاوا بمكان من الشجاعة
بمعنى انهم كانوا حائزين لتلك الصفة التي امتاز بها وجاها الاشراف في ذلك
العصر وامانة العصابة المقدسة فكانت كناية عن اخلاط من الاهالي
والصناعية لامعرفة لهم باستعمال السلاح ولا يحسنون الضرب وكانت
خيالها قليلة ومتجمعة من اخلاط من رماح الناس لا الما لم يصول
الخيالة ولم يسبق لهم ركوب الخيل وكما كان هنالك بنون بعيدين عساكر الجيشين
كان هنالك ايضا فرق كبيرة في الادارة والمعارف بين سرعسكر حزب الملك
وسرعسكر حزب الاهالي لان جيش الملك كان رئيسه القوتنة هارو ابن الامير
تيعردو ولا سكو البكري سرعسكر الجيوش البرية القسطنطينية وكان هذا
القوتنة اكثره تجاربه ومزيد اختباره اقدار عظيم ورأى سديد قويم يحمل
كل مشكل ويقضي كل معضل

فتوجه الامير جيون بجيشه الى مدينة ريونيكو وتغلب على ما حوالها
من اقصى والطرق طنسانه ان احزاب الملك بعد سدة تلك الطرق عليهم بنظر
عاجلا الى التسليم لعدم الزاد وانهم ان قاتلوا يهزمون ويلحقهم الضرر
والخسران لانهم لم يجمعوا سائر عساكرهم ولكن كان يلزم لهذا الامير ان يكون
عنده من المعارف اكثر مما كان عليه كان عساكره كان يلزم لهم من التجلد
والضبط والربط اكثر مما كانوا عليه حتى يثبت لهم النجاح في هذا التدبير واما
القوتنة هارو فانه ادخل في المدينة بدون كبير مشقة امداد اعظيما من
بساتر قراوات الامير جيون فلما لبس جيون المذكور ومن
التغلب على تلك المدينة توجه سريعا الى ويلاندته وهي مدينة تنسب الى
سرعسكر الجيوش البرية المتقدم وكانت اعظم الخازن المودعة بها ذخائر
العدو وكان هذا الامر المبني على عدم الحزم وقلة السياسة سببا في فتح
طريق لارباب الملك الى مدينة توردريلاس حيث وصل بهم اليها القوتنة

مطلب

عدم حزم سرعسكر
العصابة وهزيمته

سنة ١٥٢٢
٥ من شهر كانون الاول

ها رو ليلا مع غاية السرعة من غير أن يشعر بهم احد وهجم على المدينة المذكورة وكان جبرون لم يتر لمّن الحماطين غير الاى من القوس بجمه الاسقف زامورا ودخلها بالقهر والعلة وقت القجر بعد أن قاومه محافظوها مع التجلد والنبات وقبض على الملكة واسرعة من ارباب العصابة واسترجع خاتم الدولة الكبير وغيره من العلامات الملوكية

فكان خطر هذا الامر شديدا على العصابة حيث ترتب عليه ضياع ما كان لهم من الصولة والشهرة باطهارها انها لا تعمل الا باوامر الملكة وانضم الاشراف الى حزب الملك واتموا اليه بجميع اتباعهم وعساكرهم وكانوا الى ذلك الوقت لم يميلوا الى احد من الفريقين فسلطان الاسف والحزن على جميع من كان من ارباب الجمعيات البلدية وارداد غيظهم باسامة ظنهم في رئيسهم جبرون حيث اتهموه بأنه هو الذى سلم للاعداء في مدينة وردريلاس والظاهر انه برى من ذلك لان فجاج ارباب الملك انما كان من سوء ادارته لامن خيانتته ولكنه لم يبق على ما كان له من الصولة وهو ذالك كلمة في قومه فرأى انه مضطر الى النزول عن رياسة العساكر والعلة عن الناس في قصر من قصوره ففعل ذلك

ثم ان من فجاج ارباب العصابة في مدينة وردريلاس قرأ الى مدينة ولادوليدة ومكثت العصابة زمنا طويلا تحت عن اناس تقيمهم مقام من اسر منهم فانتخبوا جماعة من بينهم قلدوهم بالادارة العليا وكان جيشهم يزداد كل يوم بمن كان يأتهم من العساكر من سائر اقطار المملكة فلما عظم هذا الجيش وجهه الى المدينة والادوليدة وكانوا قد جعلوا الامير باديله سر عساكرهم وعادت للعسكر قوتهم وشهامتهم ونسى حزب الجمعيات البلدية جميع ما حل بهم من المصائب والشدة آذ واستتر واعلى قوتهم الاصلية في المدافعة عن حرية الوطن واطهروا البغضاء للذين كانوا يظلمونهم ويمتصون حرمة حقوقهم

مطلب

نصيب العصابة على رايها
الاول

واغظم ما كان يجب الحيرة لتلك العصبة هو طريق تحصيل الدراهم اللازمة
لصرف ماهيات العساكر لان القلتكيين كانوا قد قتلوا الى خارج المملكة مبلغا
جسيما من النقود المتعامل بها وما كان يؤخذ في زمن الصلح من المغارم كان
قليل لاجد او كانت محصولاتهم تنساقص يوما نيو ما لان الحرب عطلت تجارتهم
على اختلاف فروعها وكانوا يخشون ضجر الاهالي ونفرتهم اذا هم ضروا عليهم
مغارم جديدة لم يـكـونوا متعودين عليها في هذا الوقت الا انه كان للامير
باديلة زوجة من الاشراف يقال لها الاميرة مارية باشمكو وكانت ذات
معارف وكان امرها غريبا في الطمع والشره الا انها كانت تميل كل الميل
الى حزب العصبة فبذلت جهدها حتى اخرجته من تلك الورطة على احسن
حال وذلك انها كانت ذات جسارة كبيرة وكانت سالمة مما انطبع عليه النساء
من الاوهام الباطلة والبدع العاطلة فصممت على اخذ النقائس التي كانت
بكنيسة مدينة طليطلة لاجل الزخرفة والزينة من ذهب وفضة وغير ذلك
الا انها رأت ان ذلك ربما يفرق قوس الاهالي وواجب سخطهم وغضبهم لانه
بظواهر من الماسم الكبيرة وربما اغضبت الناس كافة فسلكت في ذلك
مسلك المداينة والخداع لتسلم من غضب الاهالي اولوسهم وذلك انها ذهبت
مع خدمها وحشمها في محفل عظيم الى الكنيسة وهي تبكي وتضرب صدرها هي
وسائر اتباعها حتى وصلوا الى الكنيسة وهم على هذه الحالة وعليهم ثياب
الحزن فلما دخلوا الكنيسة خروا ساجدين وطلبوا العفو والغفران من القديسين
الذين بهذه الكنيسة فنجت بتلك الحيلة الاميرة من غضب الناس ولم يحكموا عليها
بالكفر في نطير هذه القعدة بل رأوا انها انما فعلت ذلك للضرورة وللضرورة
احكاما ويقنوا ان محبتها للوطن هي التي اجأتها الى ارتكاب هذا الامر
الغريب ومعاقوب ذلك عندهم ما ظهر منه من الحزن والنم وهي ذاهبة الى
الكنيسة فبهذه الواسطة حصلت العصبة بمبالغ جسيمة اعانتها الى الاعانة وكان
ايضا نواب الملك في حيرة عظيمة في شأن تحصيل الدراهم اللازمة لماهيات
عساكر الحرب الملوكي ومصاريفهم لان ارادات الملك كان قد اخذ بعضهم

سنة ١٥٢٤

الفلنكيون والبعض الآخر تهته الجمعيات البلدية فاضطروا الى اخذ حلى
الملكية وما كان عند الاشراف من آتية القضة وغيرها ليضربوها اقتودا
فلما قدت اقترضوا من ملك للبروقال مبلغا آخر ونصرت قوافيه
وكان يترأى من الاشراف انهم لا يريدون ان يقع الحرب بينهم وبين العصبة فانهم
كانوا يوافقون الجمعيات البلدية على كراهة الفلنكيين فكانوا يقررون امورا كثيرة
مما ذكرته تلك الجمعيات في تقريرها وكانوا يرون ان مقتضيات الاحوال
اذ ذلك تعينهم اتم الاعانة على ابطال ما كان في المملكة من قديم الزمان من المظالم
بل وتعينهم ايضا على انشاء قوانين جديدة يترتب عليها اصلاح حال الدولة
وانتظام امورها وانما كانوا يخشون ان يحصل بينهم وبين الجمعيات البلدية
حرب لان خرقه الاشراف وخرقة تلك الجمعيات كانتا منوطتين بالتشريع
ووضع القوانين فان وقع بينهما حرب واطعن بعضهما قوى بعض اتخذ الملك
ذلك فرصة في خفتهم ما واطعاف شوكتهم وبذلك تقوى الشوكة الملوكية
عليهما وتبطل استقلال الاشراف وتفتت على مزاي الجمعيات البلدية ولما كان
الاشراف لهذه الاسباب يرغبون في ان يكونوا مع العصبة على قلب رجل
واحد كان التواب يبحثون آباء الليل والطراف النهار عن عقد الصلح بينهم وبين
تلك العصبة ومكنوا مدة الحرب وهم لا يودون الا الصلح ويتمنون حصول حادثة
تساعدهم عليه ومما يدل على ذلك ان الشروط التي طلبوها من العصبة كانت
مقبولة ولونسا هلت تلك العصبة فيما كان يفضى بالشوكة الملوكية الى الضعف
والاضمحلال او ينادى بحقوق الاشراف من المواد التي ذكرتها في التقرير
لوعده التواب بحمل الإمبراطور على قبول ما عدا ذلك من المواد الاخرى
ولو فرض انه يأبى ذلك لالحاح بعض وزرائه عليه في عدم قبولها لالتزم عدة
من الاشراف باعانة العصبة على الزام الإمبراطور بقبولها
ولكن لما كانت العصبة لا تخلو من الفضل والنفاق لم يتناكرا رايها مع بعضهم
حتى يجمعوا امرهم على شيء مقبول يكون ناشئا عن الحزم وسداد الرأى
وذلك ان اغلب المدن التي دخلت في هذه العصبة كانت تغار من بعضها

مطلبه

ضيق الزمن من العصبة
لاشتغالها بالمدولة مع
الاشراف

كل الغيرة ولا تثنى بعضها لما انتهى مكان لها ما رب دنيته ناشئة عن الطمع
والشره فلذا امكن لسر عسكر البحرية بنفوذ كلمته ومواعيده ان يقصل اهل
مدينة بورغوس عن حزب العصبة كما امكن لبعض يسكرزادات من
الاشراف ان يخالوا عن تلك العصبة مدنا اخرى صغيرة هذا ولم يكن في الجمعيات
البلدية من له من شرف النفس والمعارف ما يكفي في ادارة مصالح حزب العصبة
على ما ينبغي نعم وان كان الامير ياديه سر عسكرها بما معها الصفات الحميدة
التي تحبب فيه الاهالي وتستجلبهم اليه الا ان ذلك نفسه كان سببا في عدم
امانته عند بعض الاعيان الذين انضموا الى حزب العصبة فكلوا منه دأتما
على حذرو كان هناك امر آخر وهو ان الاهالي لما رأوا ما حصل من الامير
جبرون من الزل وسوء الادارة صاروا لا يأمنون احدا من الاشراف الذين
كانوا قد انضموا اليه فبما على ذلك لم تكن افعال العصبة كلها سوى اقدام
واجحام وضياع فرص قبيصة بالتردد وتكرار الاستفهام وكان اربابها لا يثقون
بعضهم وكان منشأ ذلك هو انه لم يكن فيهم من يقوم بتدبير هذا الامر فبعد
مذاكرات عديدة في شأن الشروط التي كان يطلبها النواب اى رؤساء حزب
الملك طمس على قلوب الجمعيات البلدية فعميت بصائرهم عن الحق وضلت عن
الهدى لما كان في قلوبهم من الحقد والبغضة للاشراف فقطعوا علائق الصلح
وحضوا ونائى النصيح وابوا الاعتناد والمعاداة مع الاشراف ولم يكفهم ذلك
بل هددوهم بسلب الاراضى والعقارات المملوكة قائلين انهم اختلسوها هم
واسلافهم فيازم ضمها ثانية الى الخصال المملوكة ودفعوا غاية التدقيق في هذا
الامر مع انه في الواقع يترتب عليه اعدام الحرية التي كان الغرض من سعيهم وبذل
جهدهم اتما هو محاسنها واذهب عنها ووجه ترتب ذلك عليه هو انه لو حصل
لاستقلال ملوك قسطنطينية بانفسهم وصاروا لمطلق التصرف في الرعايا فكان
تشكى العصبة من ظلم الوزراء الاجانب واختلاسهم دون تشكعهم من سعة اموال
الاشراف وازدياد شوكتهم فكلما كانت ترى انه لا يقع بينهما وبين الامير اطوار
صلح صحيح الا اذا اعطته ما يادى الاشراف من الاراضى والالتزامات

سنة ١٥٢٢

مطلب

غزو العصبه بسبب
تجاسسها في بعض وقائع
هينة

غزة شهر اذار سنة ١٥٢٢

مطلب

عدم سد ادراى العصبه

ثم ان العصبه لما رأت ان سرعسكرها الامير باديله قد نجح في بعض وقائع
هينة واستولى على بعض مدن صغيرة اغترت بذلك وسكنت مسلحها المتقدم
معتمدة على شجاعة عساكرها فكانت متيقنة انه لا يعسر عليها
التفكر بحزب الملك فبينما كان الجيش فرحا بهذا النجاح اذ حاصر الامير باديله
مدينة طورلوياتون حرصا على عدم ضياع هذه القرصة النفيسة من
انصراف صدور العساكر للقتال وكانت هذه المدينة اعظم المدن التي اغار عليها
الى ذلك الوقت واكثرها حصونا وكان بها من المحافظين عدد كاف ومع ذلك
قصرها الامير المذكور عنوة وسلب اموالها بعد ان قاومه اهلها مقاومة عجيبة
وساعدهم سرعسكر البحرية وهو من نواب الملك ولوسار الامير باديله
يحيطه بهذه النصره الى مدينة تورديز يلاس التي هي معسكر احراب
الملك نظريهم لدهشتهم من حيله وكثرة نجاحه لاسيما ولم يكن عندهم اذ ذلك
من العساكر من يكنى للمصادمة والقتال لكن منع من هذا الامر العظيم تردد
العصبه وعدم سد ادراىها ولما لم يمكنها فيما بعد ان تستمر على الحرب او تعقد
الصلح عرض عليها التواب شروطا جديدة لعقد الصلح فرضيت بهدنة قليلة
المتقدمة كانت قبل ذلك تأبى الاماشرعت فيه وبمناهي تضييع الزمن في هذا كرات
لا جسدوى لها الا تخرج من جيش باديله جم غفير من العساكر وفزوا
بما اعتصموا من مدينة طورلوياتون لانهم لم يكونوا متعودين على قوانين
الضبط والربط والتربية العسكرية وتعب بعضهم من طول مدة الحرب فهرب
ووجد سرعسكر البرية فسقة يجمع فيها عساكره ويتأهب للقتال لجمع
العسكر بمدينة برغوس وعجزت انقضاء الهدنة انضم بعسكره الى عساكر
القوتة هارو وان كان باديله بذل مجهوده في منع اجتماع هذين الفريقين
وبادر كل من الجنرالين بالتوجه الى مدينة طورلوياتون فلم يحسر باديله
على القتال لضعف جيشه بهروب العساكر المتقدمة قصد مدينة طورو
ليلتجئ بها ولو امكنه ذلك لسم بما كان يجتاش من الاخطار لان القرناوية كانوا
اذ ذلك مشغولين بالاغارة على مملكة نوار وكان يلزم التواب ان يرسلوا سرية

سنة ١٥٢٢

٢٣ من شهر نيسان

مطلب

هجوم الاشراف على

جيش العصابة

من العساكر الى تلك المملكة فبذلك يحتل نظامهم ولكن كان القوتنة هارو
يعلم ان فراره يضربهم ضررا شديدا فبادر بالمسير مع خياله وادركه قريبا من
مدينة ويلار وحمل عليه من غير ان يتنظر بجيحه عساكر المشاة وكان
جيش باديله حيث قد صدقته واعتراه التعب والنصب من شدة جريه
وسرعة سيره لاجل الالتجاء حتى كان ذلك فرار وهروب وقد لحقه القوتنة
هارو بالخيالة في مرج مزروع وكانت الارض اذ ذاك وحللا لانه كان نزل بها
مطر غزير فصارت عساكر باديله كلما سارت تغوص في الوحل الى ركبها
وبذلك صاروا عرضة لثأر بعض مدافع كانت مع الخيالة فهذه المقتضيات
قوتت همة عساكره لاسيما وكانوا غير متعودين على الحرب فلم يجاسروا على
مصادمة عدوهم ولا مقاومة ادى مقاومة بل ركنوا الى الفرار وهم على غاية
من الاختلال وابدى باديله من الشجاعة والعزم ما تقتصر عنه العبارة
طمعاني جمع شملهم والتألمهم فلم يجد ذلك فعالا لان الفزع تمكن منهم بحيث
صاروا لا يسمعون له قولا ولا يلتفتون الى نصحه وترغيه ولا يعبأون بتهديده
وترهيبه فلما لم يجد ذلك ثمرة رأى ان الموت خير له من الحياة بعد هذه الواقعة
المشؤمة وبعد تدمير حربه فانقض بنفسه على الاعداء وجال بين مصغوفهم فخرج
وسقط من فوق جواده واخذ اسيرا واسرعه اكلاب ضباطه واما العساكر فانهم
يجرد ما القوا سلاحهم غفلة عنهم الاشراف فلما منهم وكرما وخلصوا سيدهم من
غير ان يسبوا ادى اساءة

مطلب

هزم الاشراف لجيش

العصابة

مطلب

قتل باديله

ولما كان اعداء الامير باديله يبغضونه بغضا شديدا لم يملوه اصلا بل
حكموا عليه في ثاني يوم بضرب عنقه ولم يقيموا له دعوى التحقيق على حسب
الرسوم الجارية بل رأوا ان شهرة اسمه بما فعل وقيامه على رؤوس الاشهاد
يكفي في عدم اقامة الدعوى وارسل الى قطع الدم هو واثان آخران وهما الامير
خاير اوو والامير قرنيس ملدوناده وكان احدهما رئيس عساكر
سيغوية والاخر رئيس عساكر سلنكة ولم يفرغ باديله عند القتل
بل اظهر رغبة التجلد والاطمئنان حتى ان الامير خاير اوو الذي قتل معه لما

سنة ١٥٢٢

صار يخطط حين سمع الناس يقولون عليه انه خائن قال له الامير ياديله كان ينبغي لك البارحة ان تظهر شجاعة البيكزادات والامر آواما الا ان فينبغي ان تصبر على قضاء الله ولا تفرع مما حل بك حتى تموت نصرانيا متمسكا بدينك وقد اسهل الامير ياديله حتى كتب كتابا لزوجته وكتابا لجمعية مدينة طليطلة التي هي اصل غرسه ومسقط رأسه وكان الكتاب الاول يدل على شقيقته ومحبتة لزوجته وعلى ثبات جنانه وعلو همته وذكر في الكتاب الاخر ما يدل على فرحه بموته شهيدا في خدمة وطنه وبعد ان كتب هذين الكتابين امتثل لقضاء الله ومدد عنقه للجلاد هذا وقد لام عليه في سلوكه على الوجه المتقدم اغلب مؤرخي اسبانيا المتأخرين لان الحكومة والشوكة الملوكية في عصرهم كانتا على خلاف ما كانتا عليه في عصر ياديله فلم يصفوه ولم يشكروه على ما كان له من الفضائل في هذا المعنى ولا شك ان ذلك منهم امانا سهل او خوف فوصفوه بما يدنس سيرته وحاولوا ان يفهموا الناس انه غير جدير بان يرى لحاله مع ان ذلك الامر قل ان يحفظ به نفس كريمة على انسان جليل القدر وقع في مثل تلك المصيبة

وقد تمت واقعة ويلالار بالنصرة والظفر لاجراب الملك وفقت لهم ايضا ابواب مدينة ولادوليدية وكانت اعظم المدائن المتعاهدة قوة واكثرها عزما فعاملها التتواب بالرفق واللين واكرموا اهلها حتى ان مدينة دلكمبر ومدينة سيغوية وعدة مدائن اخرى تأسست بتلك المدينة وملمت الى التتواب فعند ذلك وقع الشغل والشقاق بين ارباب العصبة وانحل نظامها وهذا اقوى دليل على عدم حرم رؤسائها وربما استدل بذلك على انه كان هناك امور خفية اوجبت هذا الشقاق بينهم حيث اخل نظامهم في اقرب مدة مع ان عصبتهم لم تكن مبنية على اسباب هينة بل كانت اسبابها قوية اكيدة حتى دخل فيها جميع الاهالي ومكنت مدة حتى ثقت وتمكنت وجمدت طرشا منتظما في ادارة الحكومة ومما يؤيد ذلك انه حصل بعد ذلك بايام قليلة ان سرية عظيمة من عساكر الملك الذين انتصروا على عساكر العصبة ارسلت الى

مطلب —
التمحلال حرب العصبة

سنة ١٥٢٢

مملكة بوار لمنع جيش فرنساوية الذي كان حينئذ يشن الغارة عليها ومع ذلك لم يشوعزم جميعات مملكة قسطنطينية ولم تخرج بهذه القرصة بنفسه وتبادر الى نيل المزايا والحقوق التي كانت اقوات تبذل غاية الهمة في طلبها

هذا وينبغي ان نستثنى من تلك المدائن مدينة طليطلة فانها لم تزل باقية على قصد هابسبب تحريض الاميرة ماريه باشيكو زوجة باديلة والحاكما لان تلك الاميرة لم تستول عليها الاخران بعد موت زوجها ولم تستغل بالسكاه والنخب حيث تعلم انه لا جدوى لذلك بل تأهبت للاخذ بشار زوجها من اعدائه حتى تتم الغرض الذي قتل من اجله وكان الاهالي يحسرونها اما لان النساء ضعيفات بالطبع اولاتها كانت ذات شجاعة عظيمة وقلب ثابت ومعارف وعوارف فكانت القلوب تميل اليها وترى حالها في مصابها بفقد زوجها لاسيما وكان موته في خدمة وطنه فكان متى ذكر اسمه قرن بالاحترام والتبجيل فصار لتلك المرأة بين الاهالي الصولة والشوكة التي كان يتمتع بها زوجها امدته حياته وقد اطهرت هي ايضا في سلوكها وافعالها من الحزم والعزم ما جعلها اهلا لاحترام الناس لها ووقوفهم بها وذلك انها كتبت لسر عسكر فرنساوية الذي كان بمملكة بوار ان يشن الغارة على مملكة قسطنطينية ووعدته بالاعانة وكتبت ايضا لمدائن قسطنطينية تخبرتها على القتال وتعيد لها همتها بعد الفتور ورجعت عساكر جديدة وطلبت من القسوس مبلغا جسيما من الاموال لتصرفه على العساكر وامرت ان يحمل العساكر تمثال المسيح على هيئته مصلوبا بدلا عن البيارق والاعلام حتى كانوا يقتتل اعداء دين النصرانية (لان صورة عيسى عليه السلام مصلوبا انما تحمل عوضا عن البيارق امام عساكر النصارى في قتال مله اجنبية عدوة لدين النصرانية) وكانت تطوف ازقة طليطلة ومعها انها صغيرا كعب على بغلة وعليه ثياب الحزن وامامه راية مرسوم عليها صورة قتل ابيه باديلة فمثل هذه الحيل والمخادعات التي دبرتها امكها ان تهيج تلك المدينة على القيام

مطلب
مدافعة زوجة باديلة عن
مدينة طليطلة مع القوة
والثبات

سنة ١٥٢٢

وتقوى همتهم فعميت بصائرهم عن ادراك الخطر الذي يكونون عرضة له
ان تصدوا ووحدهم لمعارضة الشوكة الملكية وبناء على ذلك حكمتوا مدة على
القيام والخروج عن الطاعة حتى انه في مدة ما كان جيش الملك مشغولاً بالقتال
في مملكة توار لم يمكن للتوابع ان يدخلوا المدينة المذكورة تحت الطاعة
وانما اقتصروا على بذل جهدهم في اضعاف شوكة الاميرة مارية وصولها
بين الاهالي وفي البحث عن استعطافها واستمالتها بما عيّد من خرفة وبعثوا
اليها اخاهما لتزيم موتدوبار ليستعطفها كي ترجع عما هي عليه فلم يجد
ذلك فعاقر رجعت طائفة من جيش الملك بعد ان خرج القرنساوية مطرودين
من مملكة توار الى قسطنطية وحاصروا مدينة طليطلة ولكن لم يؤثر
ذلك في الاميرة مارية ولم تقتر به همته بل دافعت عن المدينه بنعم شجاعة
غريبة وجسارة عجيبة وهزم عساكرها حرب الملك غير مرة ولم تزل به المنيابة
حتى قام عليها القسوس حين بلغهم موت غليوم وذكروا له وكان اذ ذلك
مطران طليطلة ولا يخفى ان القسوس كانوا في حلق شديد من تلك الاميرة
لانها سلبت اموالهم كان شكواهم من الاميراطور شرلكان كان سببها
انه اعطى منصب المطرانية المتقدمة لقسيس اجنبي لا يعزى لهم ولابلادهم
فلما مات غليوم وذكروا له وجعل الاميراطور شرلكان في هذا المنصب
قسيسا من اهالي قسطنطية زال المسبب بازالة سببه وسكن غيظ القسوس
وغضبهم على الاميراطور حتى انهم ادخلوا في عقول اهالي طليطلة ان الاميرة
مارية لو افسحروا وشعبها تها لما اخذت بعقول الناس وصار لها كلمة نافذة
بينهم وزعوا ان لها صاحبا من الشياطين ياتيهاد انما على صورة جارية
فهو لا تفعل شيئا الا عن لسان هذا الشيطان فصدقهم اهل المدينة في ذلك
وكافوا قدسه من طول المحاصرة ويتسوا كل اليأس من ان يعينهم اهل
المداين الاخرى التي كانت اولامتها قدسهم فراءوا انه لا بد لهم من الصلح
وابطال الحرب لانه يغنيهم بمدينتهم الى الخراب والدمار فقاموا على تلك
الاميرة وطردوها من المدينة ودخلوا تحت طاعة حرب الملك فانتقلت الاميرة

سنة ١٥٢٢

من شهر تشرين الاول

مطلب
النتائج المضرّة التي
نشأت عن هذا الحرب
المدني

الى القلعة ومكثت اربعة اشهر كوامل وهي تدافع عنها مع عزم قوى
وشجاعة عجيبة فلما عجزت عن الضرورة ولم يبق لها حيلة ولا وسيلة لتحيا
ونجحت متكررة فاصدة بمملكة البروقال لتلق باهلها هناك

فجبر دهر ووجها بادرت القلعة بالتسليم وانتشرت اعلام الصلح والاطمئنان
في مملكة قسطنطينة ولم ينشأ عن هذا المشروع الخطر الذي همت به الجمعيات
البلدية الا ما ينشأ عادة عما هو من هذا القبيل في المشروعات التي لا تنجح حيث
لم يترتب عليه الاتساع اثرة الشوكه الملوكية وتقويتها على التدريج مع انه
لم يكن القرض منه الا تضيقها واضعافها ولم تزل مشورة القروطس

معدودة من ارباب الحل والعقد في التشريع ووضع القوانين بمملكة قسطنطينة
وصارت تعتقد كلما احتاج الملك الى جمع اموال من الاهالي ولكها لم يبق
على ما كانت عليه اولا من سلوك طريق الحزم والاحتراس وانصاف المله
فيما تشكي منه قبل اجابة الملك فيما يطلبه من الاموال بل ركت الى الملك
واخذت في مراعاته ومواليه حيث بدأت باعطائه ما كان يطلبه من الامداد
فلما حظي منها باغراضه وقاز بما ربه لم يأذن لها ان تبحث عما يكون في الحكومة
من المنال لم تبطلها ولا تنقض شيئا يعود تقضه بالضرر على الشوكه الملوكية
وصارت المزاي التي كانت للمدن ساجحا تنقص شيئا فشيئا حتى ضاقت
داثرتها وتلاشت بالكلية ومن يومئذ اخذت التجارة في التناقص
والاضمحلال وقصت ثروة المدن وعدداها لها عما كان اولا وقصت ما كان لها
في مشورة القروطس من الشوكه ونفوذ الكلمة

وبينما كان الحرب الداخلي يحترق مملكة قسطنطينة اذ حصل في مملكة
بلنسية فتنازعت بين قسطنطينة من وقت تلك المملكة كل غمز وذلك
ان العصبه التي انعدقت في مدينة بلنسية (سنة ١٥٢٠) وكانت تسمى
معاهدة جرمانة اى معاهدة الاخوان استمرت على حالها بعد ان سافر
الايبراطور شريكان من اسبانيا وصكانت تتعلل بانها تدافع عن
السواحل ارباب الصيال الذين كانوا يأتون من بلاد الغرب فاخطأ الايبراطور

مطلب
لقد ياد العصيان في مملكة
بلنسية

في اذنه لم يبدل ذلك حيث انها من وقت تقوت وأبت أن تلقى السلاح ولكن كان الغرض الاصلي لاهل بلنسية من عصيانهم وتشكيهم فيما يخص منع الملك من الاقتيات على حقوقهم ومن اياهم دون ما كانوا مصممين عليه من قمع الاشراف ومنع مظالمهم ولذلك كان بغضهم في هذه الفتنة للاشراف وقيامهم عليهم اشد مما في قلوبهم من المحق على الملك فبجسر د ما صدر لهم الاذن بان يبقوا على حمل السلاح للتعلي السابق وهو حاية السواحل صاروا يتقون حتى عرفوا من انفسهم ان لهم شوكة قوية فلم يتفكروا الا في الانتقام من كان يظلمهم فطردوا الاشراف من اغلب المدن ونهبوا ديارهم وخربوا اراضيهم واغاروا على قصورهم ثم اتخبوا ثلاثة عشر رجلا من الجمعيات التجارية التي كانت بمدينة بلنسية وكانت عدتها ثلاث عشرة فاختدوا من كل جمعية رجلا وفوضوا لهم امر ادارة الحكومة فاصدين بذلك نسخ القوانين القديمة وتحسينها وترتيب طريقة مستحسنة في اجراء الاحكام والقوانين على جميع الناس بالسوية من غير اغراض ولا مراعاة مقام بحيث لا يفرق بين خطير وحقير فبذلك يقرب الناس من النسوية التي كانوا عليها من اصل الفطرة

فبذلك اضطر الاشراف الى حل السلاح ليدافعوا عن انفسهم ووقع الحرب بين الفريقين وبلغ من الشدة ما يندأ عادة عن بغض الامة وحقد لها من يظلمها وعن غضب الاشراف اذا انتهك الاهالي حرماتهم وارادوا اذلالهم وخفضهم وحيث انه لم يدخل في معاهدة جرمانادة احد من الاعيان ذوي الحسب والنسب ولا من تربي تربة حسنة كان رؤساء مشاورها من جهة الصناتعية الذين لامعارف لهم ولا شلجان مثل هؤلاء الرؤساء لا يمكنهم ان يستلموا قلوب الامة التي كانت اذالتي في حية شديدة كالبخون الابعواقتهم لها وظهر لهم القسوة والبغضاء في حق اعدائهم لان مثل هؤلاء الناس لا يعرفون القوانين المرتبة عند الملل المتدنية لتخفيف الغضب الذي يهتريها اذا حصل الحرب بينها وبين عدوها ولو فرض ان تلك القوانين كانت معروفة

لهم لما عملوا بمقتضاها ولا التفوا اليها ولذلك لم يكن هناك امر قبيح
يرى بالمرودة ويحل بالانسانية الا ارتكبها اهل بلنسية في ذلك
الحرب

وكان الامير الطور وقتئذ مشغولا بتسكين قننة قسطنطين التي كان يخشى
منها على ضياع شوكرته ومن اباءه فلم يمكنه أن يلتفت كل الالتفات الى قننة مملكة
بلنسية بل ترك الاشراف بتلك المملكة يدافعون عن انفسهم على قدر طاقتهم
وكان القوتنة . وليطو نائب الملك هو قائد العساكر التي جمعها الاشراف
من اقباسهم فكانت معاهدة جرمانادة على الحرب سنتي ١٥٢٠
و ١٥٢١ مع قوة وثبات يجمل عما كان يخطر بالبال من مثل هؤلاء الجنود
الذين لا معرفة لهم بالعسكرية وكان رؤسائهم مثلهم اي ليسوا اهل
فضل ولا معرفة كما تقدم ومع ذلك هزمت معاهدة جرمانادة جنود
الاشراف في عدة وقائع شديدة وان لم يكن لها كبير جدوى حتى صدتهم عن
المدائن التي ارادوا شن الفارة عليها غير ان الاشراف لم يهزمهم بالقنن
العسكرية وتعود عساكرهم على الحروب ومشاقها كانت لهم النصرة
في اغلب الوقائع ولم تزل عصبة الاشراف على تلك الحالة حتى انتصر النواب
في قسطنطين بمدينة ويلالار على الامير باديل وارسلاوا الى بلنسية
فرقة من العساكر الخيالة لاعتهم فبجبر وصول هذا المدد اليهم فاقوا
على اعدائهم حتى انهم بعد مدة قليلة شنوا عساكر المعاهدة وبادوها بالكلية
وقتل رؤسائهم من غير حكم ولا اقامة دعوى بعد ان اذيقوا من العذاب
والاهانة ما يسترحه العدو لعدوه وبعد ذلك رجعت حكومة مملكة
بلنسية الى ما كانت عليه اولا

وشهد ايضا في مملكة اراغونيا علامات الغم والقنن التي كانت في غيرها
من ممالك اسبانيا الا ان الوزير خنالا نوزة الذي كان وقتئذ نائب
الملك فيها عرف بحزمه وسداد رأيه ان يطفي نيران القننة قبل اشتعالها ولكن
لم يحصل مثل ذلك في جزيرة مايورقة لان الاسباب التي ترتبت عليها

مطلب

علامات القنن في مملكة

اراغونيا

مطلب

القننة الكبيرة التي حصلت

في جزيرة مايورقة في ١٩

من شهر اذار سنة ١٥٢١

سنة ١٥٢٢

الفتن في مملكة بلنسية كانت بعينها في تلك الجزيرة ونشأ عنها فتنة كبيرة وذلك ان اهلها كانت قد ستمت قسوسهم من ظلم الاشراف وعيل صبرهم من جورهم فهموا بالعصيان وعزلوا نائب الملك وطردوه من الجزيرة وذبحوا كل من وقع في ايديهم من الاشراف واستمروا على العصيان والخروج وكان طغيانهم فوق كل حد ونهاية فلم يكابد المشاق الفلاحه لادخالهم تحت الطاعة وبالجملة فلم يمكن قهرهم الا بعد ان سكنت الفتن في سائر ممالك اسبانيا وانتشرت ريايات الصلح والاطمئنان في سائر اقطارها

مطلب
الاسباب التي منعت من
اتفاق اهل اسبانيا

واذا تأمل الانسان ما كان واقعا في ممالك اسبانيا من الفتن العامة ونظر الى الاسباب التي دعت اهلها الى الخروج والعصيان وعلم ان مقصدهم من ذلك انما هو ازالة المظالم من بلادهم فحب من كون اهل هذه الممالك في تلك الفتن لم يميزوا رايهم في سلوكهم ولم يجمعوا امرهم حتى تتفق كلمهم ويكونوا على قلب رجل واحد لانهم لو جمعوا جيوشهم مع بعضها واتفقوا على امر واحد لثم لهم الظفر ونجسوا اكثر من ذلك فانه لو كانت تلك العصبه مليه اى مركبة من سائر الملل لاحترمها الالهالي وخشى الملك باسها وكان لا يمكن للايمراطور شرلكان ان يقاوم جيوشهم اذا انضمت الي بعضها بل يضطر الى قبول الشروط التي كان يلزمه بها رئيس تلك العصبه ولكن كان هنالك اسباب منعت من اتفاق اهل اسبانيا مع بعضهم وسلوكهم على منوال واحد وهي ان ممالك اسبانيا وان كانت تحت حكم ملك واحد كانت تفار من بعضها فلم يحصل اتفاق بين اهلها لاسيما وبغضائهم القديمة كانت لم ترل قائمة بنفوسهم وكانوا يعتقدون على بعضهم حقدا عظيما بسبب الاساءة التي كانوا فعلوها سابقا مع بعضهم فكان ذلك داعيا لاختلافهم وعدم وثوقهم ببعضهم ورأى اهل كل مملكة ان مبادئهم وحدهم لمشاق الحرب اولي لهم من ان يتضرعوا لاهل مملكة اخرى ليعينهم ويزاد على ذلك كانت صورة الحكومة في كل مملكة من ممالك اسبانيا مباينة بالكلية للآخرى وكان اهل كل مملكة منها يطلبون امورا مختلفة فكان يعسر اتفاقهم واجتماعهم على امر واحد

سنة ١٥٢٢

فلولا هذا التفاق لم يحفظ الايمبراطور شرلكان نيجان ممالك اسبانيا لانه لما كانت كل مملكة من تلك الممالك بمعزل عن غيرها في المقاصد والاغراض كانت عاقبة امرها ان اضطرت كلها الى التسليم والدخول تحت الطاعة

ولما حضر الايمبراطور شرلكان الى اسبانيا استولى الخوف والرعب على قلوب رعاياه الذين كانوا عصوه وخرجوا عن طاعته لكنه ابدى من الحلم ما دخل في قلوبهم الامن والاطمئنان وصرف عنهم الهموم والاحزان وذلك انه لم يقتل من اهل قسطنطينة الا عشرين نفسا وان كان اغلبهم في تلك الفتنة الكبيرة قد ارتكب ما يستحق به القتل والدمار ثم ان ارباب ديوانه حشوه على ان يظهر من القسوة اكثر من ذلك الا انه ابى ان يسفك دماء رعاياه على ايدي الجلادين بل اعلن بانه عفا عما خلف وانه لا يلتفت الى ما حصل من اول الفتنة الى آخرها ولم يستثن من ذلك الا ثمانين نفسا عين اسماءهم بل ولم يكن مصمعا على قتل هؤلاء الثمانين وانما كان قصده من بيان اسمائهم زجر غيرهم وقعه وعباؤيد ذلك ان بعض خاصته المعتبرين عرض عليه ان يعرفه بحمل شخص من اكابر هؤلاء الثمانين الذين اهدر دماءهم فاجابه الملك بجواب حسن لا يصدر الا عن ذوى الحلم والكرم حيث قال له اني لا اخشى من هذا الرجل في شيء وامامه وقله اسباب بها يخشى بأسى وبطشى ويحذر ملافا في فكان الاحسن لك والاصوب ان تذهب اليه وتخبره بانى هنالا ان تعرفني المهمل الذي هو فيه وزيادة على هذا الحلم الذي لا يصدر الا عن النفوس الشريفة حاذرة مدة قاتمته في قسطنطينة ان يفعل ما يوجب غضب اهلهم ونفوسهم وتخلق باخلاقتهم وتعلم لغتهم وواقعهم على آرائهم وعوايدهم حتى صار له في قلوبهم منزلة لم تكن لملك قبله ولو كان من الملة الاسبانيولية واعانوه كل الاعانة في جميع مشروعاته وكان مدقمهم معه اعظم معين له على تحصيل ما ربه وعلا شأنه

ولما وصل الايمبراطور شرلكان الى اسبانيا خرج منها اديبان وسافر الى ايطاليا ليكت في منصبه الجديد وهو منصب البابا كما تقدم ذكره

وكان

مطلب
نرم الايمبراطور في سلوكه وحمله على من عصاه من الرعايا

٢٨ من شهر تشرين الاول

مطلب
سفر اديبان الى مدينة رومة وعدم تلقيه فيها مع الترحيب والاكرام

سنة ١٥٢٢

وكان الرومانيون ينتظرون مجيئه مع غاية الشوق الا انه لما وصل اليهم وعما ينوه
 ظهرت عليهم علامات النهم والحيرة لانهم كانوا متعقدين على أن يروا ملوكهم
 وبأياتهم في ابتهاج عظيم وروفق كبير فاستحقروا ادريان حين رأوه شخصاً
 هراماً تواضعاً متشفافاً في ملبوسه مخففاً باخلاق الزهد محتقراً لملابس الزينة
 والرفاهية لا يحب التصنع وبالجمله فكان خالياً عن تحسين الهيئة والجمالة
 الظاهرية التي يكون بها الذوى المراتب والمناصب العليا وقع وهيبة في قلوب
 العامة وتجبوا من ذلك غاية العجب حيث لم يعهدوا في أيامهم السابقين تلك
 الحالة الزئفة فإن ذلك من ابهة جاليوس الثاني ومظهر ليون العاشر
 وقد نجب القسوس ايضاً من ادارته وسياسته حيث اعترف ان كلاماً من كنيسة
رومة وديوانها لا يخلو من الفساد وتأسف على ذلك كل الاسف واخذ يصلح
 حال الكنيسة والديوان ويظهرهما من تلك القسامة التي لا تطيق بهما ولم يظهر
 منه أنه يريد رفع عائلته وكسبها الثروة والفنى حتى انه لا فرطه في التشديد
 ردق الاراضى التي كان اخذها الباباوات قبله بطريق النظم والاختلاس فرد إلى
 الامير فرنسيس ماري دوقية ادريان التي كان اغتصبها منه البابا ليون
 العاشر وارجع إلى دوق فرارة عدة مدائن كانت اخذت منه ظلماً وعدواناً
 واضيفت إلى اراضى الكنيسة ولما كان قسوس رومة غير متعقدين على
 مثل هذه العدالة ولم يعهدوا في احدهم بابائهم السابقين انه سلك على منجى الحق
 والاستقامة رأوا ان هذه الافعال ادلة واضحة على ضعفه وعدم خبرته ودرأته
 بالتجارب لا سيما وكان ادريان يرتبك غالباً في المناو وروائها المصالح لجهله
 بأسر اريستهم وديانتها ولا نه كان لا يعول عليهم ولا يتق بهم لغاية التنافر
 بين اخلاقهم واخلاقه لانهم كانوا اهل خبث ومكر ومخادعة ومحاوله في ادارة
 المصالح وهذا ما بين لما انطبع عليه من طيب النفس وخلوص الطوية فكان
 لا يصرف المصكر والخداع الذى كانوا يتباهون به فدخل في وهم الناس
 انه ضعيف الرأى خفيف العقل ولم يزل هذا الوهم يزاد يوماً بعد يوم حتى
 صار رعاياه يحتسرونه ولا يعابون بسياسته وادارته كما خسر وامنه عند

سنة ١٥٢٢

مطلب

بذل ادریان جهده
في تسكين قن اوروبا ونشر
رايات الصلح بها

رؤية ذاته

وسمع ذلك فبذل ادریان غاية جهده في تسكين قن اوروبا واطهر في هذا
الشان من الانصاف وعدم القرض والميل الى غير الحق ما يلائم مقامه من
حيث كونه ابا النصراري كافة ومن العجب انه لم ينجح الى مساعدة الامير اطور
شرل كان وان كانت له السيادة عليه بل بذل جهده في ايقاع الصلح بينه وبين
الملك فرنسيس والتأليف بين قلوبهما حتى يكو ناعلى قلب رجل واحد
ويكونا معاً على السلطان سليمان الذي به اخذ له جزيرة رودس صار
يخشى منه على سائر بلاد الافريج لكن هذا المشروع كان فوق طاقتة لان
حسن الطوية وخلوص النية لا يكفيان في التأليف بين ملكين لهما اغراض
وما رب مختلفة ولا في ابطال الحروب التي اوجبتها بينهما العداوة والبغضاء
بل كان يلزم لذلك ان يكون فوقهما في المعارف والمهارة حتى يظفر بمرامه
ولم تكن رغبة دول ايطاليا في حصول الصلح اقل من رغبة البابا ادریان
وكان وقتئذ الجيش الايمبراطوري الذي تحت قيادة الامير كولون باقيا
على اصله لم يسترح من عساكره احد ولكن بسبب تقاد الاموال التي كانت ترد
للايمبراطور من بلاد اسبانيا و نابلي وملكة البلاد الواطية
اوصرفها في امور اخرى كانت مصاريف هذا الجيش من مأكولات وما هيأت
مرتبة على اهل ايطاليا فكان من عساكره قسم عظيم نارلا باراني
الكنيسة ولاجل مصاريفهم كان نائب الملك في مملكة نابلي يضرب في كل
شهر مغارم على اهل طورنسة و ميلانة و جنويرة ودوقية لوقة
تتسكى هؤلاء الناس وتظلموا من تلك المغارم واخذوا ينتظرون فرصة تعينهم
على التخلص منها ولم يصبروا خوفاً من غضب الايمبراطور وبطشه او خشيتهم
بأس هذا الجيش

سنة ١٥٢٣

مطلب

عصبة جديدة تمع
الايمبراطور على ملك
فرنسا

ولكن قد حصل انه بالملاح البابا ادریان وحسنه ونشره فرماتاً يجزئ
فيه ملوك الافريج على ابطال الحرب وعقد الهدنة بينهم ثلاث سنوات بعث
الايمبراطور ملك انكلترة وملك فرنسا الى رسلهم بديوان وومة

سنة ١٥٢٣

في ٢٨ من شهر حزيران

خطاباتهم مفوضون في هذا العرض فبينما كان هؤلاء الرسل يتناكرون في هذا الشأن اذ كل من الملوك اذ كورين يجبروا لزام الحرب ومساندته وكان اهل البنادقة الى ذال الوقت باقين على المعاهدة مع الملك فرنسيس فلما رأوا ان مصالحهم يلاذ ايطاليا قد تعطلت فتحلوا عنه وتعصبوا مع الإمبراطور عليه وايضا لما كان نائب الملك في نابلي لم يرزل يلح على البابا اديان وكان من اصدقائه ومن ابنا وطنه حتى افهمه ان الموجب لعدم الصلح انما هو طمع نفس ملك فرنسا فجح اديان ثانيا الى حرب الإمبراطور وتبعته سائر دول ايطاليا فرأى الملك فرنسيس ان كل الناس قد فتحلوا عنه ولم يبق له نصير ولا نظم يرعيه على مقاومة اعدائه الذين كانت جيوشهم تهدد بلاده من جميع الجهات

ولاشك انه يترأى يادى الرأى ان مثل تلك العصبية العظيمة تحمل فرنسيس على ان يقتصر على حماية بلاده والذب عنها رياس من الدخول في ملكة ايطاليا ثانيا لياخذ بلاده التي تغلب عليها الإمبراطور شرلكان ولكن كان من رأب هذا الملك انه يساهل جدا في الامور العادية ويقوى عزمه وينتشر ثبوت الابطال لتلكبات الدهر واخطاره وتداركها حتى لا تحل به او يقتحمها مع الثبات كيف لا وقد جمع في هذه المرة جيشا عظيما قبل ان يأخذ اعداؤه اهبتهم لمعل ما عزموا عليه لانه كان له على رعاياه مودة لم تكن للإمبراطور شرلكان ولا للملك هنرى في مماثلتهما فكان لا يمكن ان يأخذ امدادا من رعاياهما الا عن رضا ارباب مجلس البرلمان وكان لا يعطى لهم ما عدا الامبالغ قليلة بل ولا يحصلان هذه المبالغ الا بعد توقف الرعايا وتضجرهم مدة مستطيلة بخلاف فرنسيس فكان يسوغه ان يضرب على رعاياه مغارم جسيمة ويحصلها منهم في اقرب وقت وبناء على ذلك سلك في هذه الواقعة كما سلك في غيرها من الوقائع السابقة حيث شرع جيشه في السير قبل ان تجتمع عساكر العدو ولما كان يعلم انه يفوق اعداءه من هذه الحينة توجه بنفسه مع الجيش الى دوقية ميلان مؤملا انه بذلك

مطلب

الاحتراسات التي

استعملها فرنسيس

ليقاوم اعداءه ويسلم من

مكرهم

مطلب

ضباع فائدة احتراसानه
بسبب كشف الفتنة التي
كان الدوق بوربون سر
عسكر البرية يضر من نارها

سرا

مطلب

مناقب هذا الامير

مطلب

اسباب غمه

يفسد على الامير اطور مادبره ولا يخفى انه بهذه الطريقة كان يخشى منه على
اعدائه وكان ينظر بمرامه لولم تنعمه العوائق الاتية وهي انه حين كانت
طلبة جيشه على ابواب مدينة آيون وهو يقفوا اثرها مع الفرقة الثانية
من العساكر بلغه انه قد ظهر في المملكة فتنة مهولة تقضى بها
الى الخراب فاضطر الى الاياب لوقته ورجع عن نيته

وكان من هذه الفتنة الخطيرة هو الامير كرويس دوق دي بوربون
سر العسكر البرية بمملكة قرانسا وكان عريشاني الاصل ذاحسب ونسب
شهير وثرثرة واسعة وكان له لومر تبه اكرهال المملكة واعظمهم شوكة وصوله
كما كان اشهرهم في المعارف والفضل وكان ذا رأى سديد وحرم مصيب
في المساوور والحروب وكان مهبا باحترما بسبب ما قام به من المنافع العظيمة
والخدم الجسيمة للدولة وكان يراحم الملك في عدة صفات كالتولع بالحرب
والامتياز في الرياضات الجسمية والحركات البدنية وكساوهم في السن
لا سيما وكانت بينهم حمة القرابة فترتب على ذلك ان الملك كان يحبه محبة خاصة
الا ان الاميرة لويرة ام الملك فرنسيس كانت تبغض العائلة البوربونية
بغضا شديدا ولم يكن لذلك سبب الا محبة الاميرة اندوريطانيا زوجة
الملك لويز الثاني عشر تلك العائلة وكانت لويرة تصكوه
اندوريطانيا هذه كراهة شديدة ولما كان الملك فرنسيس يتأثر بما تأثر به
امه قام به من افعال دوق دي بوربون غيرة لا تليق به فلم يكفاه حتى
المكافاة على ما كلبه من المشاق في واقعة مارينان وما بذله فيها من الجهد
والاجتهاد واستدعاه ايضا من دوقية ميلان التي كان حاكما فيها لاسباب واهية
فلما حضر فاقبله بوجه لا يلزم ما ابداه في هذا المنصب الخطر من الحزم وسداد
الرأى واقف من تباته بدون حب قوي يقتضى ذلك وفي واقعة سنة ١٥٢٤
كما تقدم جبهه الملك وخذه بحضرة العساكر وعزله من قيادة طليعة الجيش
وولى عليها دوق دالتسون فحمل اولاه هذه الفعاليات مع ما لم يكن يعهد فيه
من الصبر لانتقته وكبره لا سيما وكان يعلم ان مقامه وما وفي به من الخدم العظيمة

في المملكة يجعل عن ذلك ثم ضاق به الحال وعيل صبره لاسأت شتى فتعلقت
آماله بالانتقام فاحتجب عن ديوان الملك واخذ يكتب كاتب بعض وزراء
الاميراطور شرلكان

وفي انشاء ذلك ماتت زوجته دوقه بوربون ولم تعقب ذرية وكانت الاميرة
لويرة حينئذ قد بلغت ستاواربعين سنة ومع ذلك لم تزل تنصلي وتعتش
كما كانت تبغض وتحقق فبدأت بغضه الدوق بوربون بالهبة وكان دقيق
العقل حسن الصورة فعزمت على التزوج به وان كان لاسبية بينهما وبينه
في السن وكان من المأثر ان يصل هذا الدوق بعشق هذه المرأة التي كانت كلتها
ما فذة على ابنها وعلى مملكة فراسا بتامها الى اعظم ثروة تعلقت بها آمال
طامع لكنه ابى زواجها امالا انه لم يكن مستعدا للعدول عن الكرامة الى المحبة
في اقرب وقت اولاه امة تكف ان يخفى البغضة ويظهر المحبة لمرأة طالما اسائه
قبل ذلك طالما عور واما ولم ياب الزواج على وجه مستحسن بل اعتجبه بالخرية
والدم خلقتها وحققها فاعنطت من فسيحتها وعدم احترامها واسهات
محبتها كراهة وصحمت على اهلاكم

واقف على هذا الامر مع انجليير دوبرات وكاد قدرتي الى هذا المنصب
الخليل يكونه بحسب عمارفه وعراة علمه بالحكام والقوانين حيث كان يحيد
فيما عن طريق الصواب لاعراضه فواسطه اقيت على الدوق بوربون
دهوى فقبلها جميع الاموال والاملاك التي تسب للعائلة البوربونية
فادعى الملك بعضها لانها كانت الخمالك الملوكية والبيعش الاخر ادعته
الاميرة لويرة لانها كانت اقرب وارث للدوق الهالك وكانت دعوى
كل منهما باطله ولعلك لالحاح هذه الاميرة وشود كلتها وتجهل دوبرات
وتزويه امكهما ان يأخذ من القضاة حجة تستعين الحكم بالجور على اموال
لعائلة البوربونية ولما كان هذا الحكم مبيعا على الزور والبهتان اوقع الدوق
بوربون في القنوط والياس وحله على البحث عن ايقاع التهمة المتقدم ذكرها
فاخذ يكتب ديوان الاميراطور شرلكان في هذا العرض وكان قد رباغ منه

مطلب
مكتباته السرية مع
الاميراطور

سنة ١٥٢٣

الحق منتهاه حتى كتب للامبراطور انه يعترف له بأنه ملكه وسيده وانه يعينه
على الاستيلاء على مملكة فرانسا فاخبر الامبراطور بذلك هنرى ملك
انكلترا واتفق معه على اجابة بوربون ووعده بمواعيد عظيمة ليقب على
ما صمم عليه فوعده الامبراطور ان يزوجه باخته اليونورة وكانت اولاً تحت
ملك البورتنغال ثم تأيت وان يحجم زها ويصدقها بما يليق بالمولود وعقد له
باب مخصوص في المشاركة المتعقدتين الملك هنرى والامبراطور وحاصله
انهما اتفقا على ان يعطيه قوتية برونسة وقوتية دوفينة ويلقباه
ملكاً عليهما والتزم الامبراطور ان يدخل مملكة فرانسا من جبال الپرنات
ونكفل الملك هنرى ان يحجم على اقليم بيكردي مع عساكر الفلنك ووقع
الاتفاق بينهما ايضا على ان يجمعان بلاد المانيا اثني عشر الفاً تكون
مصاريفها عليهما ويرسلاها الى بورغونيا لتكون مدداً واعانة للدوق
بوربون مع ستة آلاف تعهد هو بجمعها من احبابه واتباعه وابقى ايقاع
هذه الفتنة حتى يسافر ملك فرانسا مع جيشه الى بلاد ايطاليا لان
الملكة حينئذ لا تجد من يدافع عنها فبعد ان سافر فرنسيس وتباعه عن
ملكته اشرفت على الخراب والدمار

مطلبه —

كشف الفتنة وظهرورها

ولكن لو فور حفظ تلك المملكة لم يخف سر هذه الفتنة وان حوفظ على كتمانها
بقدر الامكان ولم يخبر بها الا قليل من كان يعتمد على امانته ووثوقه وذلك
ان بعض الخدم الذين كانوا بيت الدوق بوربون كانوا يلاحظونه ملاحظة
كافية لانهم كانوا يرون انه يستخونهم فاخبر اثنان منهم الملك فرنسيس
بالمكاتبة السرية التي كانت منذ عدة اشهر بين سيدهم والقوتية روكس
وهو من يكرزادات الفلنك وكان الامبراطور شريكاً كان يتقرب به ويعهده فيه
الصداقة الا ان الملك فرنسيس كان يستبعد ان الدوق بوربون يقضي به
الحين الى التسليم في المملكة للاعداء لاسيما وهو من اقاربه ومن العائلة
الملوكية فسافر لوقته الى مدينة مولان وكان الدوق بوربون
قد تعرض فيها ولازم القراش حتى لا يذهب معه الى بلاد ايطاليا فلما وصل

سنة ١٥٢٣

في شهر ايلول

الملك الى هذه المدينة عرض على الدوق ما اخبره خلفه انه يرى من تلك التهمة ولم يظهر للملك منه ادنى شئ يدل على صحته واخبر الملك انه اخذ في مبادى الصحة وانه عما قيل يلحق الجيش ييلاد ايطاليا وكان الملك فرنسيس طيب الباطن خالص الطوية فاعتبر نزوف هذا القول حكما على بواطن الغير بما انطبع عليه من طيب النفس وسلامة الباطن فبقى على ما عهد فيه من الصداقة وحزم يراة حتى انه لم يرض بالقبض عليه مع الحاح العقلاء من خاصته وارباب ديوانه وتوجه الى مدينة ليون كانه لا يخشى شئ ثم سافر الدوق بوربون بعده مظنرا انه يريد ان يلحق الملك لكنه ولى وجهه الى الشمال واجتاز الرون وبعد ما كبده من المشاق الكثيرة والاعطاش الكبيرة فاز بنفسه ووصل الى بلاد ايطاليا وكان الملك فرنسيس حين اخبر بفراره ارسل خلفه اناسا للقبض عليه فلم يلحقوه فندم حيث لا يتفقه الندم

فعند ذلك اخذ الملك فرنسيس يحترس بجميع ما في وسعه ليسلم من عاقبة هذا الخطاء الذى جلبه لنفسه فوضع عساكر وخفراء في جميع القلاع التى كانت يراعى الدوق بوربون وقبض على جميع الاشراف والبيكرزادات الذين توهم فيهم انهم من ارباب العصبة وحيث لم يمكنه ان يعرف الغرض من تلك العصبة ولا اغراض الرعايا خشى ان يقبض عن المصلحة فينشأ فيها حادثة مهولة وعمل عن السفر مع الجيش الى بلاد ايطاليا

ومع ذلك لم يرجع عما عزم عليه من التغلب على دوقية ميلان بل جعل الامير بونيوطة على الجيش عوضا عنه وامره بالسير الى ايطاليا وكانت عده هذا الجيش ثلاثين الفا ولم يؤثر هذا الامير على غيره لمعرفته بالعسكرة حيث لم يكن له من الصفات اللازمة لكل سر عسكر الا الشجاعة وهى ادنى الصفات فى هذا المعنى واكثرها وجودا واتماذا لثقوفاته على ارباب ديوان فرانسوا الملوكى بحسن اطواره ولطف حركاته ودقة ذهنه وفصاحة كلامه وسحر بيانه وحلاوة لسانه وكان الملك فرنسيس يحيا لارباب ديوانه ويسامرهم اثناء الليل واطراف النهار فانشرح صدره من لطائف هذا الامير ويديع نكاته

مطلب
التجاء الدوق بوربون ييلاد
ايطاليا

مطلب
اغارة فرنسا وية على بلاد
ميلان

حتى كان ينقصه بمزيد الاعتبار والمراعاة وزيادة على ذلك كان الامير المذكور
عدو للدوق بوربون فلم الملك من يعتمد عليه في الرئاسة على الجيش
الاهذا الامير

وكان المذوم بالمداخلة عن دوقية ميلان هو الامير كولون الذي كان
فتحها واخذها من فرنساوية غير انه لم يكن معه من العساكر من يقوم بمقاومة
هذا الجيش الحزرا ولم يكن عنده ما يفي بما هيأت عساكره وزيادة على ذلك
كانت عساكره كل يوم في النقصان بسبب الامراض والهروب فهذا هو الذي
جعله على الاهمال في الاحتراسات اللازمة لامن تلك الدوقية وحمايتها من
الاعداء فاقصر على كونه يجتهد في منع جيش فرنساوية عن اجتياز نهر
تيران وطن انه يفتح في ذلك كانه نسي ما حصل له في واقعة مع الامير لوتريك
من اجتيازه لهذا النهر مع غاية السهولة فخاب سعيه كما خاب سعي لوتريك
المذكور واجتاز الامير بونيويطة النهر بدون مشقة من مخاضة رآها
خالية عن الحصون وعين يقوم بالمداخلة عنها فعند ذلك توجه عساكر
الامير اطور الى مدينة ميلان عازمين على تركها متى وصل عساكر
الفرنساوية الى ابوابها الا ان الامير بونيويطة اهل ولم يسار بالمسيرجمة
المدينة ولا يعلم لذلك سبب غير ان المؤلف عيشاردين ذكر انه حصل له نوع
اختلال منعه عن السير اليها فكتبه ثلاثة ايام او اربعة واضاع بذلك الفرصة
التي هيأت له ابداله الدهر وذلك انه في انشاء تلك المدة افاق اهل ميلان
من فرغهم واخذوا هبهم للمداخلة وكان كولون اذ ذاك قد بلغ حد الثمانين
ومع ذلك كان نشاطا ماهر او كان بمعيته الامير مورون وهو عدو مبين
لفرنساوية فاشتغل بالادلائل ونهارا في اصلاح ما افسده الاعداء من الحصون
والاستحكامات وجعل ما يلزم من الذخائر والازاد وجند الجنود من سائر البلاد
التي حولها فلم يصل فرنساوية الى المدينة حتى صارت قوية حصينة
قادرة على مكابدة المحاصرات فجمع عليها الامير بونيويطة عدة مرات
بلا ثمرة بل تعبت عساكره من هذا الهجوم اكثر من عساكر اعدائهم ولم يرزل

سنة ١٥٢٣

كذلك حتى اشتد البرد فاضطر الى الاحتجاب في مساكن الشتاء حتى
يمضي هذا الفصل

مطلبه

موت البابا اديان
السادس

وفي اثناء ذلك مات البابا اديان قسح الاها الى بموته كل القسح لانهم كانوا
يغضونه ويحتشرونه حتى انهم في الليلة التي اعقت موته زينوا باكاليل
الازهار بيت الطبيب الذي كان يعالجه وكتبوا عليه هذه العبارة (محبى
وطنه) وبجزم موته اخذ الكرديشال دوميديسيس يجدد دعواه في اخذ
منصب البابا ودخل مجلس الكرديشالات مؤملا انه ينهض في ذلك وكان الاها الى
يجز مون بجاحه لان الامبراطور كان يعينه كل الاعانة وكان لهذا
الكرديشال كلمة نافذة ونشاط غريب في التحيل وكان بالغيا الغاية في انواع
المكر والخداع المشهورة بها المجالس القسيسية ومع ذلك عارضه اخصامه
فكث مجلس الكرديشالات خسين يوما وهو يتذاكر فين يتولى منصب
البابا وبعد ذلك كله عليهم الكرديشال المذكور وازال كل عائق وطهر على كل
مانع وانتخب بابا وتقلد حكومة الكنيسة وسعى كلبان السابغ واقر الناس
كافة هذا الانتخاب لانهم كانوا يؤملون كل الخير في هذا الرجل الذي كان
بمعارفه وتجاريه العظيمة في المصالح يرويه قادرا على حفظ دين الكنيسة
وصيائته من مذهب لوتير وعلى ادارة مصالح الكنيسة السياسية مع
الحزم الذي كانت تقتضيه الاحوال اذ ذلك وزيادة على ذلك كان له اقتدار على
جعل الدول القسيسية محترمة كل الاحترام لما كان له من الشوكة في فلورنسة
وافنى عائلته وسعة ثروتها

مطلبه

عدم نجاح الكرديشال
ولسى في نيل منصب البابا
نجه وحققه

هذا وكان الكرديشال ولسى يطمع في نيل منصب البابا ولم تفرهته
بعدم نجاحه في الانتخاب الاول اى حين انتخب البابا اديان فكان
يطمع انه ينهض في تلك المرة وكتب الملك هنرى الى الامبراطور يدعوه
ما وعده الكرديشال المذكور من اعانتة على نيل منصب البابا والطهر
الكرديشال ولسى في الحاحه ما يليق بعظم المنصب الذي كان يطلبه وكتب
لوكلايه في مدينة رومة امر اقطاعيا بانهم لا يتركون شيئا يلزم صرفه

في الهدايا والرشوة الاصفوه ولا وعدا الا وعدا به لاجل نجاحه في هذا
المأرب ولكن لم يتصد الايمبراطور شرلكان لاعاقته في هذا الامر ولا يعلم
لاي شيء كان بعده قبل ذلك فمل كان وعده اياه من قبيل الاماني الباطلة التي
كان مصمما على عدم الوفاء بها اولانه رأى حينئذ انه من عدم الحزم والرأى
أن يتصدى لانتخابه وان كان حقه في ذلك ايسر دون حق الكردينال
دوميدسيس ولا مانع من كون الكردينال ان لم يتصدوا لانتخابه خشية
ان يجر ذلك لغضب الرومانيين لانه كان اجنبيا منهم لاسما وكان غضبهم من
البابا اديان المتوفى لم يزل من اذهانهم فبعد أن بذل الكردينال ولسي
غاية جهده شاب سعيه ولفقه غم عظيم حيث رأى ان من تولى على كرسي الكنيسة
صغير السن عظيم النية سليم الصحة فلم يبق له رجاء يسليه ويخفف آلامه واحرانه
بل ولم يبق له رجاء الصحة في عمره حتى يموت البابا المتولى ويسعى في تحصيل
امنيته ولما شاب سعيه في تلك المزاياضا لم انه لا يوثق بكلام الايمبراطور وانه
ليس من اهل الوفاء واضطربت في قلبه نيران الحقد والغضب التي يكون مثلها
في قلب كل متكبر شاب امه وغشه غيره وكان البابا كايان يعرف ان دأبه
الحقد وانما اراد الانتقام ففعل معه اشياء لطيفة ليسليه ويريل غيظه فجعله
نائبا عنه في بلاد آنكلتر مدة حياته وجعل له التصرف المطلق فيها حتى
كانه بابا تلك المملكة ولكن لما لم يفرز الكردينال ولسي بمنصب البابا
في تلك المرة غضب على الايمبراطور شرلكان وانضمت الاسباب التي كانت
تربطهم ما يعض وصار هذا الكردينال من ذلك الوقت لا يتفكر
الا في الانتقام من الايمبراطور شرلكان ولكن لزمه ان يخفى هذا القصد
عن سيده الملك هنري حتى تساعده الاحوال على اخراجه من معاهدة
الايمبراطور وايقاع القتل والشقاق بينهما ولذلك لم يظهر ما يدل على غمه بل كان
اذا تكلم امام الخاصة والعامة يسدي انه حصل له غاية السرور من تولية
الكردينال كايان على منصب البابا
وقد توفي الملك هنري مدة الحرب بجميع ما التزم به في معاهدته مع الايمبراطور

مطلب

حرب هنري في بلاد فرنسا

سنة ١٥٢٣

على ملك فرنسا غير ان حربه لم يكن على وجه السرعة كما كان يؤمله وذلك
انه لا سرافقه في ايراداته كان لا يجسد غالباً ما يحتاج اليه من الدراهم وكانت
حينئذ طريقته الحسب في بلاد اوروبا مبانة للطريقة التي كانت جارية
قبل ذلك فان العساكر بعد ان كانت تجمع مع السرعة وكان لكل جماعة
رئيس مخصوص وكانوا جميعاً يتبعون اميرهم في الحسب ولا يكون فيه
الا ايام معدودة ومصاريفهم على انفسهم تغير الحال في عصر هنري
فيكون يلزم لجمع العساكر مصاريف واسعة وتجعل لهم ماهيات جسيمة
ولم يكن الامر كالسابق من ان افسريقين المتحاربين كما يجزعان من طول
الحرب في نهيائه بمجادنة يثبت فيها الطرف لمن تساعده المقادير لاسيما وكانت
المدائن اذ ذلك غير حصينة فمن واقعة واحدة كان يثبت الامر ويظفر الغالب
من المغلوب ويرجع البارونات مع اتباعهم الى اشغالهم اليومية بل كانت
المدائن في عصر هنري حصينة محكمة المبانى وفيها من يدافع عنها مع
القوة والعزم فبعد ان كان فن الحرب سهلاً بسيطاً صار فناً مشكلاً كبير
اللوازم وبناء على ذلك كانت تطول مدة الحروب ولا ينتهى القتال الا بعد
المناقاة الفادحة فازدادت بذلك مصاريف الحروب حتى سئم الاهالى منها
حيث لم يكتفوا بمتعدين الا على دفع مغارم خفيفة لا تضربهم فكان ذلك
دشاً للتقير والشح الذي اتخذ ارباب جمعيات المشاورا لان كل يه دينا ودينار
ولم يمكن للملك هنري مع صولته وشوكة ان يردهم عنه لكنه لما طالب
لاجل هذا الحرب امداداً من الجمعيات البلدية وابت ان تعطيه استعان عليها
بمزية كانت ثابتة للولك انكثرة حينئذ هو انهم لم يتصرف المطلق
في رعاياهم فهذه الوسطة حصل ما كان يحتاج اليه من الدراهم ولكن لم يكن
ذلك الا بعد مدة مستطيلة حتى انه مضى معظم فصل الشتاء قبل ان يبرز جيشه
الى ميدان الحرب مع سرعسكره الدوق سوفولك وبعد تجهيز جميع اللوازم
سار السرعسكر المذكور بالبلش ونهجه الى طاقعة عظيمة من عساكر
الفلنك ونوجه الى اقليم ييكاردية وكان لا يوجد فيها من يدافع عنها

٢٠ شهر ايلول

سنة ١٥٢٣

لان الملك فرنسيس حينئذ كان لا يلتفت اليها وانما كان مرامه أن يستولى
ثانيا على دوقية ميلان فلم يرزل الدوق سوفولك سائر ابدون عائق حتى
وصل الى شواطئ نهر الوازة بعيدا عن مدينة باريس بسبعة فراعخ
تفرع اهل هذه المدينة وداخلهم الخوف والرعب لان الملك كان حينئذ يريته
ليون فارس اليه سرى من العساكر فنسهاره ضباط الفرنساوية ونشاطهم
لم يمهوا العدو لاليل ولا نهارا حتى الجأوا الانكليز الى الرجوع لاسيما وكافوا
في شدة الشتاء وقد زاد منهم وكان حكم دار تلك السرية الامير لآريموى
فاز الفخار حيث دفع مع شزيمة قليلة من العساكر جيشا جارا واجلاد من
ارض فرانساً مخذولا وانهمز ايضا عساكر الايمبراطور في بورغونيا
وفي غيانية وان كان الملك فرنسيس لاهماله لم يحصن هذين الاقليمين
على ما ينبغي لكن شجاعة جنرالاته سدت مسد ما فاتهم انتبهى في العواقب
فطردوا العساكر الالمانية التي هجمت على اقليم بورغونيا
والعساكر الاسبانيولية التي هجمت على اقليم غيانية وخسرت خسرا نا
كبيرا

مطلبه
اتهاء الحرب

وبذلك انتهت واقعة ١٥٢٣ التي ساعدت المقادير بها فرنسيس وثبت له
الظفر والنجاح حتى صار له موقع عظيم في قلوب الافرنج واعترفوا له بقوة الشوكة
والصولة كيف وقد كشف قننة مهولة ودمر اهلها وجبر من دبرها وهو
الدوق بوربون على الخروج من المملكة حقيرا ذليلا لم يتبعه احد من خدمه
وحشمه وافسد على العصبة القوية التي تجزيت عليه سائر مقامدها
واغرائها وعرف كيف يدفع عن دوله وكان العدو قد هجم عليها من ثلاث
جهات مختلفة وزيادة على ذلك ظفر جيشه الذي كان حينئذ يلاذ ابطاليا
حيث استولى على نصف دوقية ميلان وان كان ذلك دون ما كان يؤمل
منه لزيادة عدده عن عساكر العدو

سنة ١٥٢٤

مطلبه

ورأى البابا الجديد في ٢٧
من شهر سباط

واما الواقعة التي اعتبت تلك الواقعة فكانت مباديها مشؤومة على مملكة
فرانساً وذلك انه ضاع منه مدينة فورتراي لجبن حكم دارها واخيانيته

سنة ١٥٢٣

مطلبه
مبادرة جيش الايمراطور
الى الحرب

مطلبه
تأخير الحرب بسبب مكر
العساكر وامتناعهم عن
السير الى العدو

مطلبه
اضطرار الفرنساوية الى
ترك دوقية ميلان

وصح المتعاهدون في بلاد ايطاليا على بذل جهدهم في طرد الامير
بونيو بطة مع جيشه من الجزء الذي كان تغلب عليه في دوقية ميلان
وهي البلاد التي خلف نهر تيزان الان البابا كليمان وان كان قبل
توليته في زمن كل من البابا ليون والبابا اديان يظهر البغضاء
للفرنساوية صار ينظر بعين الغيرة والحسد الى غموشة الايمراطور وازدادها
قاي ان يقر كغيره ممن سبقه من البابا العصبية المتعزية على ملك الفرنساوية
ونسي بغضته لهم وبذل جهده في اصلاح بين الفريقين ولكن خاب سعيه
في ذلك لان المتعاهدين جمعوا جيشا عظيما وارسلوه الى دوقية ميلان
في اول شهر اذار وبعد موت الامير كولون تقلد رئاسة هذا الجيش الوزير
لانواي الذي كان نائب الملك في نابلي لكن انبط بعمليات الحرب الحسجة
الدوق دي بوربون والمقتزم يسكي لان هذا المقتزم كان انشط الخزالات
الامانية واعظمهم في المهارة والحذق واما الدوق دي بوربون فكان
لاناعظته من الملك فرنسيس يبذل جميع مجهوداته لاسيما وكان يعرف طبع
الجزالات الفرنساوية وعساكرهم ويعرف قوتهم وضعفهم فكان له اقتدار
عظيم على احكام ادارة الجيش الا انه كان هنالك عوائق اخرى وهي
ان الايمراطور كان لا يمكنه تحصيل الدراهم اللازمة لتجهيز المشروعات الحسجة
التي ازم عليها فلما اراد الجزالات ان يتوجهوا بالعساكر الى العدو امتنعوا عن
السير الا اذا صرفت لهم ماهية عدة اشهر كانت باقية لهم فاخذ الضباط
يهتدونهم نارة ويخادعونهم اخرى ولم يجد ذلك تقابلا استمروا على تصميمهم
وعزموا على تهب دوقية ميلان ان لم يجابوا بالمطلوبهم ولكن كان للاسير
مورون كلمة نافذة في هذه الدوقية التي هي وطنه فاخذ من اهلها المبلغ اللازم
لدفع ماهيات العساكر وبعد ان صرفت لهم ماهياتهم توجهوا للقضاء
العدو

ولم يكن مع الامير بونيو بطة من العساكر من يكفيه لمقاومة جيوش عدوه
وزيادة على ذلك لم يكن له كبير معرفة بالتمون العسكرية كغيره من جزالات

الاعداء فحصلت عدة مصائد ذكرها على حقيقتها مؤرخو ذلك العصر ولا حاجة الى ايرادها هنا لانها بمنزلة عن غرضنا فلا تتوقف عليها القاصمة ولا تشوق اليها النفس وبعد تلك المصائد العديدة اضطر الامير بونيويطة الى ترك محطه قيسية كان قد نزل بها قريبا من مدينة بياغراسه ولولم يرخل عن هذه المحطه لاعائه كثير على الاعداء فبعد ارتحاله بقليل اختل نظام جيشه لعدم حسن ادارته ولقوة العدو لانهم كانوا يحملون على جيشه حمله منكروية وبددون شمله بضرب النار ويحاولون أن لا يصادموه وهو مصطف منتظم وزيادة على ذلك كان للامير بونيويطة ستة آلاف من عساكر السويسيين بالبعد عنه بمرحله فلما كتب لهم أن يحضروا اليه عصوه وابوا اللحق بجيشه فاضطر الى الالتجاء والفرار الى فرانسوا وكان سبيله وادي اوسته فاوصل الى شواطئ نهر سيبيية عازما على اجتيازه الاظهر الدوق دي بوربون والامير بيسكير مع طليعة جيش الامير اطورو واتقضا على مؤخر جيشه فثبت بونيويطة امامها وايدى العجب العجيب حتى جرح جرحا بليغا جبره على ترك ميدان الحرب فسلم ساقه الجيش للفرانس بيار وكان شجاعا من الابطال الا انه لعدم تعلقه لم يصل الى الرياسة استقلال على جيش ولكن كان يقول عليه في الخطوب الجسيمة ويساط بالوظائف المهمة التي تقع غيره في الحيرة والارتباك فسار امام الخيالة ولا في الاعداء مع الثبات وقوة الجنان وتأسي به العساكر فحملوا على العدو حمله صادقة فامكنه بذلك ان يسهل الالتجاء على بقية الجيش الا انه جرح جرحا قاتلا فلم يتمكن ان يفت على ظهر جواده فامر بعض اتباعه ان يسندوه الى شجرة ويجعل وجهه مقابلا للاعداء ورفع سيفه بيده عوضا عن الصليب وصار ينظر الى مقبضه ويدعو الله تعالى حتى مات على هذه الهيئة التي زاد بها شرفا في ديانتهم وشجاعتهم وكان الدوق دي بوربون امام عساكر الاعداء فلما وجدته قبل موته على هذه الحالة رثى لحاله واطمهر له التأسف والتحسر فاجابه بيار بهذه العبارة لا ينبغي التأسف على مثل اذاناا وتشرىف العرض في تأدية ما يجب على وانما ينبغي

مطلب

موت القارس بيار واتهمز لم
جيش الفرنساوية

سنة ١٥٢٣

التأسف على شقاوة من خان ملكه ووطنه وتقض عهده * ومزبه ايضا الماترم
بسكير ومدح فضائله وتأسف على قتله واظهر له من النقة غاية ما يؤمل
من عدو كرم النفس واراد ان يتقله من محله فرأى ان في قتله مشقة وخطرا
فأبشاه بهذا المحل ونصب له فيه خيمة وابقي عنده اما ساقومون بخدمته
ومعاليته لكن لم تنفعه المعالجة بل مات في ميدان الحرب كآبائه واجداده
منذ عدة اجيال فاخذ الامير بسكير جسمه وصدره وارسله الى اقارب فأنظر
كيف كانوا في تلك الاعصر يجتمعون صاحب المعارف في العسكرة حتى
ان دوق ساوامة امر بان كل مدينة من اراضيهم تتر بها جنة الفارس يسار
يجب عليها ان تؤدى له من التشرىف ما يجب اداؤه بلنازات الملوك ولما وصل
الى وطنه وهو اقليم دوفينة صنع له فيها محافل عظيمة وشيع جنازته سائر
الناس على اختلاف حرفهم ومراتبهم

وسار بونيويطة الى فرانسا مع من بقي من جيشه وفي هذا الحرب التصبر
المدة جزر الملك فرنسيس عن سائر اراضي ميلاد ايطاليا ولم يبق له
فيها ولى ولا نصير

وحين كانت نيران الحرب مستعلة في عدة من ممالك الافرنج بسبب معاداة
الامبراطور شرلكان والملك فرنسيس لبعض كانت بلاد المانيا
في صلح عظيم وراحة تامة تعين على تقدم اسبغ في الدين واتساع دائرته * حتى
مدتها كان لوتير محتجا في قصر وارنورغ حصل ارجل من تلامذته
يسمى كروستاد كان قد شرب من مشربه وان كان دونه في الحزم والسياسة
فذل جهده وادخل في اعتقاد العامة امورا باطلة واوهاما عاطلة تصير بمذهب
لوتير وغيره واشربت في قلوبهم مواعطه حتى عصوا في عدة قرى من دوقية
سكس ونزحوا الكنائس وكسروا صور القديسين التي كانت تلك الكنائس
محفوفة بها ولا شك ان مثل هذه القعال كانت تغضب الامير فريدريك
منتخب سكس الذي كان يدافع عن لوتير في جهاد ولم يكن منعها على
وجه السرعة لكفت في اتصاله وتحليه عن حرب لوتير لان هذا الامير

مطلب

تقدم التسع في بلاد المانيا

سنة ١٥٢٣

في ٢٦ من شهر اذار

سنة ١٥٢٢

مطلب

ترجمة لوتير الكتاب المقدس

المختب كان يحاذرهما المكن ان لا يقضب الا يعبر طور وغيره من الملوك الذين كانوا قاثمين بتأييد المذاهب الدينية القديمة ولما كان لوتير يعرف ان ذلك يكون به عرضة للخطر ويؤدي الى اضراره وتعطيل مذهبه خرج فوراً من القصر المذكور من غير ان يستأذن الامير فريدريك ورجع الى مدينة وتيمبرغ وبمساعدة الاقدار كان الناس يحترمون لوتير كل الاحترام ويهابونه حتى انه يجرد ووصوله الى العاصمين سكنوا واقبلوا عن الفعّال القبيحة التي ارتكبوها وزعموا انه لم يحتمهم على ذلك احد من البشر وانما سمعوا صوت ملك يناديهم وبأمرهم به

وقبل ان يخرج لوتير من مجيئه كان قد شرع في ترجمة الكتاب المقدس (كتاب العهد القديم والجديد) باللغة الالمانية ومثل هذا كان مشروعا صعبا لكنه رآهما جدا وبعبثه حق الاعانة على مقصوده فصمم على ترجمته ولم يكثر بصعوبته ولا شك انه كان مستكملا لجميع الصفات التي بها يكون النجاح في مثل هذا المشروع والصعب وذلك انه كان له الملم في الجملة باللغات الشرقية وكان له معرفة غزيرة بالكتب المقدسة وانشأت الاحبار الماهمين وكان يعرف لغة وطنه (اللغة الالمانية) حق المعرفة وكان انشاؤه فيها بليغا نظريا لا تلاعبه بلاغة في تلك اللغة وان كان انشاؤه في اللغة اللاطينية صعبا ركيكا ناسم منه النفوس فلكثرة اجتهاده ومواظبته واعانة تلميذه ميلفختون وغيره من تلامذته النجباء تم جزأ من كتاب العهد الجديد سنة ١٥٢٢ انه وكانت اذاعة ترجمة هذا الجزء اكثر ضررا الكنيسة رومة من سائر الكتب التي فيها لوتير في هذا المعنى وذلك ان الناس على اختلاف مناصبهم وحرفهم قرؤوا واعتنوا بقرآنه كل الاعناء وتعجبوا حين رأوا ان دين عيسى عليه السلام في الاصل يخالف بالكلية لدين الكنيسة الرومانية ومنافض لسف الباطنات الذين يزعمون انهم خلفاء عيسى عليه السلام وحفظه امرار دينه وحيث كان يوجد في الانجيل قواعد الدين ظن الناس ان كل انسان له اقتدار على تطبيق تلك الاصول والاحكام الدينية وعلى البحث في مذاهب

سنة ١٥٢٤

الكنيسة ومعرفته ما هو موافق منها لدين المسيح وما يخالفه فلما رأى احراب
لوتير قبول الناس لترجمته اقتدوا به في ذلك وترجموا الكتاب المقدس بعبارات
فيهمها النحاس والعلم ونشر وترجمته في سائر الاقطار الافريقية

مطلب

ابطال المواسم والمخاض
الدينية في عهده مدائن

وحصل في انشاء ذلك ان مدينة يورمبرغ ومدينة فرنس فورتن
ومدينة همبورغ وعدة مدائن اخرى كبير من بلاد المانيا قد اتبعت
الدين الجديد وابطلت بامر ولاتها القداس وغيره من المناسل الدينية التي
كانت تأمر بها كنيسة رومة وقام كل من الامير منتخب برندبورغ
ودوق برونسويك ودوق لوتبورغ وامير أنهلته بحماية مذهب
لوتير ونقصيده وامر واتباعه في سائر اراضي دولهم

الموسايط التي استعملها
ادريان ابيع تقدم مذهب
لوتير

فصار ارباب ديوان رومة في غم شديد بسبب هذه المصيبة التي كانت كل يوم
في نحو وازدياد وكان البابا ادريان يجرد وصوله الى ايطاليا قد اعنى
بتحصيل ما يكون به دواء هذا الداء فجمع مشورة الكرد ثلاثا ايتذاكر معهم
في هذا الشأن وكان ادريان متمكنا من علم اللاهوت الاسكولاستيكي
واما تازيه من صفه وكان هذا العلم اصلا في شهرته وفلاحه فلم يزل يحبه ويذب
عنه حتى كان لا يفرق بين الكفر وبين قدح لوتير في العلماء الاسكولاسفيكيين
لا سيما قدحه في العالم توم آلين لان آراء هذا العالم كانت تطهره
واشحة مبنية على براهين وادلة قوية لا يمكن نقضها فكان رأيه انه لا ينقض
تلك الا آراء ولا ينك في صحتها الا من طمس على بصره وبصيرته وضل في اودية
الجهالة او كان دأبه انه يكتم الحق وان اعتقده وبالجمله فما كان احد من البابايات
يدافع عن مذهب الكنيسة كالبابا ادريان فان البابا ليون العاشر كان
يدافع عن مذهب الكنيسة القديم لمجرد انه كان يخشى على الكنيسة الضرر
ان حصل في مذهبها تغيير وتديل واما البابا ادريان فكان يعضد هذا
المذهب القديم ويرى في الاستدلال على صحته جميع ما يقتدر عليه علماء
اللاهوت الاسكولاستيكي من جدل وعناد غير انه لما كان من طبعه الودع
وازهد وسكان منزها عن جميع افساد التي كانت حينئذ بدويان رومة

سنة ١٥٢٤

في تشرين الثاني

سنة ١٥٢٢

كان يعترف ان ديوان رومة مشحون بالمفساد وكان يسخط باطنه على ارباب هذا الديوان بقدر ما كان يسخط عليهم ارباب لوتير ومما يدل على ذلك الفرمان الذي ارسله الى مشورة الديانة التي انعقدت بمدينة نورمبرغ والامور التي اوصى بها القسيس شيريفانو حين ارسله الى تلك المشورة لينوب عنه فيها فن جهة شنع في هذا الفرمان على آراء لوتير فتشيعا لم يسبق قبله من البابا ليون العاشر ويخ فيه امرأة المانيا على كونهم تحملوا من هذا المبتدع ان ينشرين الناس آراء المضرة واهملوا في اجراء امر الاميراطور الصادر الى مشورة الديانة المتعقدة في مدينة ورس وامرهم ان يحرقوا لوتير ان لم يبادر بالاقلاع عن اعتزاله وضلاله وان لا يحمي لولاه في ابناء النصرانية كعضو قد شل من بدن ولا حرج في ازالته وقطعه كما فعل موسى عليه السلام حين قتل الرفض ذاتان والرفض آيرون وكما قتل الحواريون المعتزل أنانياس والكافر سافيرة وكما قتل ايضا بعض الملوك والامراء ابناءهم لهذا السبب * ومن جهة اخرى اعترف في هذا الفرمان ان فساد حال ديوان رومة هو السبب في ايفاع الكنيسة في تلك المصائب ووعدا به سيبدل غاية جهده في ازالة تلك المظالم والمفساد بقدر ما تسوغه له مقتضيات الاحوال وترجي من امراء المانيا ان يعينوه في اجراء ما يكون به ازالة الاعتزال الموجود في بلادهم

فبعد ان قرأ ارباب مشورة الديانة فرمان البابا اتوا عليه في نظير محبته للكنيسة وشكروه على حسن مقاصده واعتذروا له عن عدم اجراء امر الاميراطور الذي صدر لهم في مدينة ورس بكونهم لم يسهل عليهم ذلك لكثرة ارباب لوتير وانصاره وبيان ديوان رومة كان ميفضا عند الرعايا لشدة ظلمه وعدوانه فلذا كان اجراء ذلك الامر خطرا جدا بل كان من قبيل المستحيلات وايدوا انه يلزم الان اتحاذ احتياطات جديدة قوية لتفناء غليل اهل المانيا مما يتشكون منه حيث ان شكواهم في محفلها لكونها مؤسسة على نظام كبيرة لا تطاق كما سيعلم البابا باطلاعه على الجدول الذي سيعرضه

مطلب

استدعاء مشورة الديانة
المتعقدة في نورمبرغ بان
تقدم مشورة قديمة
عامة لتتناكر في ازالة
اسباب الاعتزال

سنة ٥٢٤ هـ

عليه ارباب مشورة الديينة فكان راي ارباب هذه المشورة ان لا دواء يصلح لهذا الداء وبعيد الكنيسة الى قوتها الاولى الاجمع مشورة قيسية عامة وبناء على ذلك اشاروا على البابا ان يستأذن الایمبراطور ويجمع في اقرب وقت تلك المشورة في احدى المدائن الكبيرة ببلاد المانيا وكل من كان له حق في الحضور بتلك المشورة يأتي اليها آمنًا مطمئنًا ويبدى رأيه كيف شاء والا فنجشى على الدين القديم من الضياع

مطلبه

تحيل نائب البابا ومحاولة
لاجل منع انعقاد تلك
المشورة القيسية

ولكن لما كان نائب البابا اروغ منه واكثر نياهة واعرف بمقاصد ديوان رومة وآراءه السياسية فزع حين سمع انهم يريدون جمع مشورة قيسية عامة لانه كان يعلم انه من الخطر للكنيسة والبابا ان تجتمع تلك المشورة في ذلك الزمن اذ كان اغلب الناس حينئذ يغضون البابا وينكرون حكمه عليهم وقل عندهم احترامه واخذوا يخرجون عن طاعته فاستعمل جميع ما في طاقته من التحيل والخذاع ليحمل ارباب مشورة الديينة على مطاردة لوتبر ويتركوا مقصدهم من عقد تلك المشورة العامة ببلاد المانيا ولكن حيث اذول ارباب الديينة ان نائب البابا يريد بذلك مراعاة مقاصد ديوان رومة لا المحاطة على ابقاء الراحة في الایمبراطورية ولا على ابقاء الكنيسة الرومانية طاهرة منزهة عن الدنس والارباب لم يتحولوا عن مقصدهم واستمروا على تحريرجدول يتعمن تكواهم ليعرضوه على البابا ولما خاف نائب البابا ان يوكوه بعمل هذا الجدول ليوصله الى ديوان رومة وهو لا يجب ان يتقل الى الديوان مثل هذا الخبر المشؤم عمل بالخروج من مدينة فورمبرغ ولم يستأذنهم

مطلبه

عرض مشورة الديينة
على البابا جداول مستحالة
على مائة شكوى

فخر راءه الا هالي ارباب المشورة جدولا مشهورا في تواريخ المانيا يشتمل على مائة مادة يتشكون منها وبعدتها من مظالم ديوان رومة واما امراء القسوس الذين كانوا بتلك المشورة فاقصروا على عدم المعارضة في هذا الشأن لانهم رأوا انه لا يليق بهم استحسان ذلك والرضاء به ولا ينبغي ان اغلب هذه الشكاوى كان غير مذكر في الجدول الذي حرر في عهد الایمبراطور

مكسبيلان ولا نذكرها هنا تفصيلا خوفا لاطالة وانما نقول انهم تشكروا من المبالغ التي كانت تضرب على العفوة والبراءة والغفران ومن المصاريف الكثيرة التي كان يفرمها من اقيمت له دعوى في ديوان رومة ومن هزينة كانت للقسوس من انهم لا تجرى عليهم الاحكام المدنية كسائر الاهالي ومن الخيل والمخادعات التي كان يستعملها قضاة القسوس ليطلعوا على سائر الدعاوى المدنية ومن قبح سلوك معظم القسيسين وفساد اخلاقهم ومن عدة امور اخرى مستقيمة قد ذكرنا اغلبها في ضمن الاشياء التي اعانت على تقدم مذهب لوتير وقبول ارائته بين الناس وختم الامر آء هذا الجدول بقولهم ان لم يبادر البابا بازالة هذه الاشياء الذميمة المضرة فلا صبر لنا بعد ذلك بل نبذل في انقاذ انفسنا منها جميع ما يسره الله تعالى لنا من القوة والطاقة

ومع ان نائب البابا المخلص على ارباب الديانة ان يطاردوا لوتير واحزابه ويضيقوا عليهم كل التضيق صدر منهم امر كسائر اهالي الايجراطورية ان يبقوا على ما هم عليه حتى تجتمع المشورة القيسية العامة ولا ينبغي نشر شيء من العقائد والمذاهب الجديدة يكون مخالفا للمذاهب الكنيسة حتى نتعقد تلك المشورة القيسية ونحكم بما تنصوبه وصدر ايضا امر بان سائر الرهبان والوعاظ لا يتصدون في خطبهم لذكر حقائق الدين كما هي لمجرد افادة العامة يقتصرون على ذكر حقائق الدين كما هي لمجرد افادة العامة

وكان لاحزاب لوتير قمع عظيم وفائدة كبيرة من هذه الاوامر الصادرة من مشورة الديانة وذلك انها تدل اوضح دلالة على الفساد الموجود في ديوان رومة وتدل ايضا على ان المغارم التي كانت تضربها القسوس على الناس كانت زائدة عن الحد لا تطيقها الا نفس وكان لهم في فرمان البابا ما يبدل على صحة قدحهم وتنفيعهم على الكنيسة بالنظر للامر الاول وهو فساد ديوان رومة واما الثاني وهو ضرب المغارم المتجاوزة للحد فاقره وكلاهما الجمعية الجرمانية في مشورة الديانة وكان انصار المذهب الجديد في تلك المشورة اكثر عددا من انصار الدين القديم واغوى منهم بأسا وشوكا وجعلوا

مطابق
حاصل ما ألمحت عليه
الاراء في مشورة الديانة
في ٦ من شهر اذار
سنة ١٥٢٣

سنة ١٥٢٤

المظالم التي كان لوتير يشنع بها على الكنيسة الرومانية من جملة الامور التي كانت اهالي الامبراطورية تشكي منها فذلك صار لوتير واصحابه في سائر المؤلفات الجدلوية التي نشروها بعد ذلك بين الناس يستدلون بقول البابا اديان والمائة شكوى التي حررها ارباب مشورة الديانة على صحة ما كانوا يقولونه في اختلال ديوان رومة وطلم القسوس

وطلمهم

واما اهل رومة فقرأوا ان سلوك اديان بهذه المثابة عميل على حقه وعدم حمز لان ارباب ديوان رومة كانوا قد طبعوا على مثل خث دواو ين البيايات وتعودوا على اتخاذهم نصب اعينهم في سائر افعالهم ولا يراعون عدالة ولا حقاً فتجيبوا كل العجب من البيايات اديان حيث عدل عن نزع الحزم الذي كان يتبعه البيايات قبله واعترف بان الكنيسة لا تخلو عن الخلل والفساد والعجب من ذلك انه كان يستعين بأراء اناس كان حقه ان يأمرهم بماش لان يستشيرهم في اموره فكان ارباب هذا الديوان يخشون ان يستند لوتير واحزابه على قول اديان فلا يزالون على اعتزالهم وعنادهم وربما أدى ذلك الى ضعف شوكة البيايات وترتب عليه سد الابواب التي تأتي منها ايرادات القسوس واموالهم فلذا كانوا يحاولون منع اديان عن التغير والتبديل الذي كان يريد احداثه في الكنيسة الرومانية فكان في تعب شديد من جهتين مختلفتين الاولى عناد لوتير والاخرى قبح سلوك اهل ايطاليا وفساد اخلاقهم وطالما تأسف على زمن قضاه في رئاسة دير لوان وان كان هذا المنصب دون منصبه الا انه كان به في راحة تامة لا يرى ما ينقص عليه عينه ويمنعه عن تعيين مقاصده الحسنى

واما البيايات كليمان السابع الذي تولى بعد موت اديان فكان يفوقه في السياسة وفي الحكم بقدر ما كان اديان يفوقه في حسن الاخلاق وصفاته النية فكان كبقية البيايات يكره ان يعقد مشورة قيسية كل الكراهة خصوصاً وكان لم يول منصب البيايات الا بطريق غير موافقة للقوانين فكان يخشى من

مطلبه

ما كان يلام اديان على فعله

مطلبه

الاحتراسات التي اتخذها كليمان لابطال مذهب لوتير

سنة ١٥٢٤

انفقدت تلك المشورة لانهار بما نازعت في قوليته فلاجل أن يخرج من تلك الحيرة التي اوقعه فيها عدم حزم اديان الذي كان قبله لزمه ان يحاول كل المحاولة في اجابة اهل المانيا عن الامر من الذين كانوا يطلبونهما اعنى انفقاد المشورة القيسية وازالة المظالم والمفاسد من ديوان رومة فانتخب رجلا حاذقا فطنا وبه عنه ليكون نائب عنه في مشورة الديانة التي انعقدت ثانيا في مدينة نورمبرغ وهو الكردينال كبيجه الذي كان البابا بات قبل كليمان يفوضون له الامر في انتهاء مصالح جسيمة حجة وبت امور صعبة مهمة وكان يوفي بها حق التوفية

فلما حل الكردينال كبيجه بمشورة الديانة لم يتعرض لذكر ما حصل في المشورة السابقة بل وعظ الناس بخطبة طويلة موضوعها تحريض ارباب المشورة على اجراء الامر الصادر من الامبراطور الى المشورة التي انعقدت بمدينة ورس لانه لا يمكن منع اعتزال لوتير الا بهذا الامر فاجابه ارباب المشورة بانهم يريدون أولا ان يعرفوا رأى البابا في شأن ما عرضه عليه وهو طلب عقد المشورة القيسية وازالة المظالم التي ذكروها في تقريرهم فحاولهم أن لا يجهجهم عن الغرض الاول وهو عقد المشورة القيسية حيث اجابهم بكلام مجمل مبهم وهو ان غرض البابا البحث عما فيه المصلحة للكنيسة الرومانية واما الغرض الثاني وهو ازالة المظالم المذكورة في تقريرهم فاجاب عنه بان التقرير لم يصل الى رومة الا بعد موت البابا اديان وبناء على ذلك فهو لم يتعرض على البابا الجديد حتى يظهر رأيه في هذا الغرض ولكن قال امام ارباب المشورة ان هذا التقرير الذي ارسل الى البابا يشتمل على مواد فيها اساءة ادب في حقه وان ارباب المشورة قد اساءوا الادب ايضا في حق الكنيسة الرومانية حيث امروا بنشر تلك المواد بين الناس وختم كلامه بطلبه منهم ان يضيئوا على لوتير واتباعه كل التضييق ووافقه على هذا رأى رسول الامبراطور وافاد ان الامبراطور يريد نشر في الكنيسة واقامها محترمة مجيلة ومع ذلك فكان حاصل مذاكرات هذه المشورة عين ما لم تحط

مطلب

مداولة نائب البابا
في مشورة الديانة
المنعقدة ثانيا بمدينة
نورمبرغ في شهر سباط
سنة ١٥٢٤

* (المقالة الرابعة) *

٢٠٣

بتاريخ الايمبراطور شرلكان

سنة ١٥٢٤

الآراء في المشورة المنقذة قبلها ولم يرد عليه شيء من التشديد والتضييق على لوتير ولا على اتباعه واحزابه
وقبل أن يخرج الكرديشال كبيجة من بلاد المانيا نشر بين الناس بعض قوانين لطيفة كان غرض منها استعطفهم واستماله قلوبهم لان هذه القوانين كان فيها ازالة بعض اشياء من النظام والمقاسد التي كان يرتكبا اسافل القسوس ولكن كانت قليلة فلم تنسف غليل اتباع لوتير ولم تجده تقعا في نكبين غيظ الناس لان هذا الكرديشال فعله ذلك كانه انما قطع بعض فروع من شجرة خبيثة الاصل كان اهل المانيا يريدون قلعها واستئصالها من جذرها

* (المقالة الرابعة) *

من اتخاف ملوك الزمان

بتاريخ الايمبراطور شرلكان

كان اهل ايطاليا يجزمون بانه بعد ان هزم الفرنساوية وطردهم من دوقية ميلان ومن اراضي جمهورية جنويرة لابتدأ من انقطاع الحرب بين الايمبراطور شرلكان والملك فرنسيس ولما رأوا انه لم يبق في ايطاليا بعد طرد الفرنساوية منها ملك ذو شوكة وقوة يمكنه ان يقاوم الايمبراطور صاروا يخشون من ازدياد قواه وتغشوا كونه واخذوا يبذلون غاية جهدهم في ايقاع الصلح بين الفريقين وكان السبب الاصل الذي دعاهم الى المعاهدة مع الايمبراطور هو أن يردوا الى الامير سفورس بلاده الوراثية فلما بلغوا هذا العرض لاحظت منهم علامات تدل على انهم لا يريدون من الا ان فصاعد العانة الايمبراطور على خصمه الملك فرنسيس وانه قد حصل لهم باطنيا غيرة من ظفر الايمبراطور وازدياد شوسته وصولته لاسيما البابا كليمان فانه كان يخاف كثير لمن طمع الايمبراطور وبذل غاية جهده في ان يغرس في قلبه حب القساعة وتركه الطمع وان يستميله الى الصلح كما استدل على ذلك بمراسلته التي حررها للايمبراطور وبكلام رسله الذين بعثهم اليه لم هذا العرض

مطلب

آراء دول ايطاليا في شأن مصالح الايمبراطور شرلكان والملوك الفرنسيين

تصميم شرلكان على
الهجوم على مملكة فرنسا

ولكن لنجاح الامبراطور وشدة طمعه وتغريض الدوقدى بوربون اياه
لانه كان يريد الانتقام لنفسه لم يلتفت الى قول كليمان بل اظهر انه صمم على
الحرب وانه لا يمكن ان يرجع عن نيته وانه سيامر جيشه بان يسير من جبال
البنة ليجمع على اقليم برونسة لانه غير حصين وحاول ارباب الخبرة والتجارب
من وزرائه ان يحولوه عن هذا التصديق وانه صعب عليه لقله عساكره
وقساد امواله فلم يجد ذلك شيا لانه كان يؤمل ان ملك انكلترة سيعينه اتم اعانة
وزياده على ذلك كان الدوقدى بوربون يعد بهانه بمجرد دخول جيشه
في فرنسا يضم اليه طائفة كبيرة من احزابه واصحابه الذين كانوا في قلق
عظيم من طرده من المملكة وبعده عنهم فلذا استمر شرلكان مصمما على
مقصده ولا يدري انه في غرور واماني باطلا وقد التزم الملك هنرى ان يدفع
مائة الف دوقية (نوع من النقود) على سبيل الاعانة مدة اول شهر من الحرب
وبعد هذا الشهر يكون مخيرا بين امرين اما ان يستمر على دفع هذا المبلغ
في كل شهر او يجمع على اقليم بيكردي مع جيش عظيم قبل فراغ شهر تموز
والتمز الامبراطور ان يجمع قبل فراغ الشهر المذكور على اقليم غينية مع
طائفة كبيرة من العساكر فاذا تفجج رد الى الدوقدى بوربون جميع اراضيه
المسوبة منه وولاه ملكا على اقليم برونسة ويكون تحت سيادة الملك
هنرى لانه هو الاحق بالتلك على فرنسا

ولم يحصل من هذه الامور كلها الا شئ واحد وهو الهجوم على اقليم برونسة
لان شرلكان لم تقهره منته ولم يرجع عن هذا التصديق وان كان الدوقدى
بوربون لم يراع الاحوال اذذال واني ان يكون تحت سيادة الملك هنرى
وان يقهره بالوكية على مملكة فرنسا فالتخذ الملك هنرى ذلك على وجه
عن جميع الاشياء التي كان التزم بها وكان جيش الامبراطور الذي اعده لهذا
المشروع لا يبلغ الا ثمانية عشر الفا وجعل الامير بيكر رتيسا عليه وامره
ان يمثل في جميع حركاته واعماله لاوامر الدوقدى بوربون فصار هذا الامير
واجتاز جبال البنة ولم يجد من يقاومه ويصد عنه الطريق فدخل اقليم

سنة ١٥٢٤

مطلب

دخول جيش الامبراطور
في اقليم برونسة في ١٩
من شهر آب

مطلب

ما اتخذته الملك فرانسيس
من الاحتراسات المبنية
على الخزم والحدق

مطلب

رفع جيش الامبراطور
الحصار عن مدينة
مرسيليا في ١٧ من شهر
ايلول

برونسة ووضع الحصار امام مدينة مرسليليا وكان مرام دي بوربون ان يسير
الى مدينة ليون لان اراضيها كانت قرب تلك المدينة فتكون شوكتها
اقوى ولكنه اكره فذاولكن كان الامير يسكير يعلم ان الامبراطور
شرلكان يرغب كل الرغبة في الاستيلاء على ميناء مرسليليا لانه اذا استولى
عليها يسهل عليه ان يدخل مملكة فرانسيس متى شاء فلم ينتل تلك المرة لقول
بوربون وراى ان اخذ مرسليليا هو الغرض الاصلى فلما ادركه الملك
فرنسيس مقصد الامبراطور اخذ يدبر الوسائط والاحتراسات التي بها يمكنه
ان يفسد على الامبراطور مآذيره وقصد تجهيزه بخرب البلاد التي حول
مرسليليا لتلاييد الاعداء فيها ما يقتلون به وهدم ضواحيها وانشاء
تحصينات جديدة ووضع في المدينة طائفة كبيرة من المحافظين وجعل عليهم
ضباط اهل خبرة ودراية وشجاعة عظيمة وانضم الى المحافظين نعة آلاف
من اهل المدينة خافوا من الوقوع في ايدي اهل اسبانيا فلم يعاؤا بالاختار
والاهوال وتسلموا وتصدوا للدفع العدو وضاقت شجاعتهم ونشاطهم فحددى
بوربون ومعارف يسكير العسكرية وفي انشاء ذلك سهل على الملك
فرنسيس ان يجمع جيشا عظيما تحت مدينة اوينون وسار به الى
مرسليليا وكان جيش الامبراطور قد مضى عليه اربعون يوما وهو يكابد
مناق المحاصرة فتعب كل التعب وضعت قوى العساكر بسبب
الامراض وكان قد اشرف زادهم على النفاذ فرفقوا الحصار وفتروا
الى ايطاليا

ولو هجم الامبراطور والملك هنرى على مملكة فرانسيس في مدة ما كان
الحبس في اقليم برونسة حسبا انتفاعا عليه لكانت تلك المملكة عرضة لاختار
عظيمة لان الامبراطور وجد ان ابراده لا يكتفيه في تنعيم ما عزم عليه فاضطر الى
ابقاء نصف ما ربه بدون تنعيم كما هي عادته من انه كان يصمم على امور كثيرة
ولا ينجزها كالم اولم يساعده الملك هنرى في هذا المشروع لاسباب منها انه
حصل له غيظ من دي بوربون حيث ابى ان يقره بان يكون له الحق في ملكية

سنة ١٥٢٤

فرانسا ومنها ان اهل ايقوسيا بخرى ملك فرانسا اياهم عزموا على السير الى انكلتره لشن الغارة عليها وزيادة على ذلك لا يخفى ان الوزير ولى هو الذى كان يبحث ملك انكلتره على اعانة الاميراطور ليساعده فى نيل منصب البابا فلما تولى اثنان قبله على هذا المنصب ولم يعنه الا اميراطور كما كان وعده خاب امه فيه وفترت همته من جهته وصار لا يعنى بمصالحه ولا يسعى فى نفعه حتى عزم ببحث سيده الملك هنرى على اعانته فى مشروعاته

ولوا كفى ملك فرانسا يحفظ رعاياه وبلاده من تلك الاغارة الموهلة التى ادخلت فى اعتقاد الافرنج ان قواه الداخلية عظيمة جدا حتى امكنهم اطراد جيش الاميراطور وان كان معه الدوق دى بوربون واعانته ام الاغارة وهو ذو شوكة عظيمة ومعارف غزيرة ويعرف مملكة الفرنساوية حتى المعرفة لكونه منها لثم هذا الحرب بابنائى الفخر والشرف له ولرعاياه لكنه لما كان شجاعا طامعا يغتر بمساعدة دهره وكان من دأبه الميل الى الخطر لالى الحزم كان يفرح بمآلاته ومآحه واذا ظهر قياحه وغتر بظفروه فى كل مشروع خطب يلزمه التثبت والمحصرة فلما ساعده الدهر فى هذا المشروع تعلقت آماله بمافوق ذلك لا سيما وكان له اذ ذلك الجيش جرار بعد من اعظم الجيوش التى سبق جمعها فى مملكة فرانسا فابت نفسه ان يسرح هذا الجيش قبل ان يظهر به فى حرب كبير وقواه على ذلك انه راي ان جيش الاميراطور تدفع من مشاق المحاصرة وفترت همته بعد الهزيمة وان دوقية ميلان لا تجد من يدافع عنها وانه لا مانع من دخولها قبل ان يصل اليها بسكر مع من بقى معه من العساكر بعد الهزيمة وايضا لاتصل عساكر هذا الامير اليها الا وهم على غاية من التعب والمشفقة من سمرعة سيرهم لما داخلهم من الخوف والرعب فلا يكون لهم اقتدار على مقاومة عساكر عديدة لم تفتر همتها ولم يكل عزمها فتبادر دوقية ميلان الى التسليم بدون مقاومة كما حصل منها ذلك غير مرقم ان هذه الامانى فى حدة ذاتها كانت مقبولة لا يستبعد لها العقل

مطلب

اغترار الملك فرنسيس
بهذا النجاش

مطلب

هزمه على الهجوم على
دوقية ميلان

سنة ١٥٢٤

الا ان الملك فرنسيس لم يجته رأها من الامور البقيية فحاول اولو
الدراية من وزرائه وجنرالاه ان يمنعوه عن هذا المشروع وابدوا له انه خطر
يصعب عليه تجيزه وقتئذ كان وقت شتاء وامطار لا سيما وكان معظم جيشه
من السويسيين والالمانيين لامن رعاياه فلا مانع انهم يتحولون عنه فيكون
عرضة لاختار عظيمة ولما بلغ ذلك والدته لورنة عجلت بالسفر الى اقليم
برونسة لتمنعه عن هذا المشروع الخطر ومع ذلك لم يلتفت الى قول وزرائه
ولاجل ان لا يفضب والدته بعدم قبوله لنصحها سافر قبل ان تصل اليه ولكن
حيث كان ذلك يحل بمقامها على كل حال وبديل على عدم اعتبارها لم اجعلها
قبل سفره فتابت على الملكة مدة عيته هذا وينبغي لنا ان ننه هنا على ان الامير
بونيو بيطة قد بذل غاية جهده في حث الملك فرنسيس على المسير الى
ميلان لانه كان ذاجية وشدة وكان بين طعنه وطبع الملك فرنسيس شبه
كلى وزيادة على ذلك كان مدة حربه الاولى في دوقية ميلان قد عشق امرأة
من نساء تلك الناحية فكان في قلق من بعده عنها وكان يجب الاجتناع
بها ويقال انه اخبر الملك فرنسيس عنها وبالحق في حسناتها وجمالها حتى يعلق
بها قلبه واستعمل بها خاطره وابيه وشوق الى رؤيتها فانه كان بمكانة عظيمة بين
العشاق

مطلب
اقامة امه فانه عنه
في الملكة مدة عيته

مطلب
الحرب الحاصل في دوقية
ميلان

فاجتاز الفرنساوية جمال آله من جبل منها يسمى سينيس واسرعوا
في المسير لانهم كانوا يرون نجاحهم متوقفا على مبادرتهم ووصولهم الى
ميلان فدل وصول بسكير مع عساكر الامبراطور اليها وكان بسكير
قد سار من طريق اطول واصعب من الطريق التي سار منها الملك فرنسيس
بجيشه فانه سار من طريق موناكو وطريق فينسال فلما بلغه مقصد
فرنسيس علم ان دوقية ميلان لا تحوم منه الا اذا لحقها بعساكره فحث
السير حتى وصل الى دلبه يوم وصل الجيش الفرنسي الى ورسية
ولما كان الملك فرنسيس يعلم ان تواني بونيو بيطة وتأخره في الحرب
الاول هو السبب في خذلانه وانهم زامه لم يقف بل سار بدون تراخ ولا مله الى

مدينة ميلان فبغير دظهوره يجهشه العظيم امام تلك المدينة وقع الرعب والخوف في قلوب اهلها حتى ان الامير بـسـكـير حين دخل فيها مع اعظم عساكرها وكبرهم شجاعة ومهارة حزم بانه لا يمكنه ان يخرج في المدافعة عنها ولان يتقدها من ايدي الاعداء بوجه من الوجوه فوضع في القلعة طائفة من المحافظين وخرج من باب وكان القرنساوية اذ ذلك السيد خلونهما من الباب الآخر

فكانت سرعة سير ملك فرنسا صيا في افساد ما دبره فريق الاميراطور في شأن المدافعة وصاروا بعد ذلك في حيرة كبيرة ولم يسبق لاحد من رؤساء العساكر ما حصل يومئذ لرؤساء فريق الاميراطور حيث كان يلزمهم مقاومة جيش جرارهم على غاية من الضنك والضييق فم ان دول الاميراطور شر لكان كانت كبيرة واسعة لا يحكم على مثلها احد من ملوك الافرنج ولم يكن عنده من العساكر المستأجرة الاجيش اللندنية الذي كانت عدته ستة عشر الفا ولكن كانت شوكته ضعيفة وكلته طيلة النفوذ في دوله وكان لا يجوز له ان يضرب على رعاياه مغارم جديدة لابرصائهم وكانوا يظهرون التضجر والتظلم اذ اضرب عليهم مفرما جديدا غير المعتاد فكثت عساكره بدون ماهية وزادوا ملبوس بل كان لا يمكن تحصيل المهمات والمواد الحربية اللازمة لهؤلاء العساكر فكان لا يقوم بهذا الخطب الجسيم الا ان يذل الامير لانواى غاية حزمه وسداد رايه وان يظهر الامير بـسـكـير غاية شجاعته ومهارته وان يجتهد الاميردى بوربون بقدر ما في قلبه من البغض والحقد للملك فرنسيس وبدون ذلك لا يمكن منع عساكر الاميراطور من الوقوع في اليأس والقنوط ولا تحصيل المبالغ التي بها يمكن لفريق الاميراطور ان يغزو من تلك الاخطار ولا شك انه ليرى للاميراطور دول في ايطاليا لا يسبب حزم هؤلاء الرؤساء الثلاثة واجتهادهم لابتكاره رجاله وقواه العسكرية فزهن الامير لانواى اراد مملكة نابلي وحصل بذلك ما صرفه على العساكر في امورهم الضرورية وكان العساكر الاسبانيوليون يحبون الامير

سنة ١٥٢٤

يسكب حبا جافهم على ان يلتزموا بخدمة الامبراطور في هذا الخطب وان لا يطلبوا ما هيأتهم ليقول الافرنج انهم يقاتلون لجسرد الفخر والشرف وذلك يجعلهم في الاعتبار فوق العساكر المستأجرة قبلوا منه ذلك عن طيب نفس وذهن الامير دي بوربون حليبه وجواهره الثمينة واخذ بدلها مبلغا عظيما وسافر فوراً الى بلاد المانيا وكان له ماشوكه عظيمة وكله نافذة ليجمع منها طائفة كبيرة من العساكر لاعانة الامبراطور

وقد اخطأ الملك فرنسيس خطأ كبيرا حين اسهل رؤساء عساكر الامبراطور حتى فعلوا ذلك كله لاسيما وكان عساكر الامبراطور قد قروا امامه وذهبوا الى مدينة لودي على نهر العدة وهي مدينة غير حصينة حتى كان الامير يسكب قد عزم على تركها بمجرد ظهور العساكر الفرنسية ودنوا منها ولكن استحسن الملك فرنسيس رأى الامير بونيويطة وان كان مخافا لرأى بقية الرؤساء ووضع الحصار امام مدينة ياوبا الموضوعة على نهر تيزان وكانت تلك المدينة مهمة يسهل بالتغلب عليها الاستيلاء على جميع البلدان التي على شاطئ هذا النهر لكنها كانت حصينة منيعة فكان من الخطر الشروع في حصارها في مثل ذلك الوقت اى في اثناء فصل الشتاء هذا وكان رؤساء عساكر الامبراطور يعلمون ما يترتب على تغلب الفرنسيين على هذه المدينة فجعلوا فيها لحفظها ستة آلاف من اقدم العساكر المتحكين من فن العسكرية وجعلوا رئيسهم انطوان دوليو وهو ضابط جليل القدر كبير الاعتبار له من الدراية والشجاعة الحظ الاوفر وله في الادارة اليد الطولى ذو حزم وعزم يحب الشرف والفخر متعود على حسن القيادة والاتقاد فكان يسهل عليه ان يتحمل جميع المشاق ويذل ما في وسعه ليخج ويربح

وقد شدد فرنسيس في هذه المحاصرة وبذل في تنميتها فوق طاقتها فلاجل التغلب على قلعة المدينة استعمل مهندسو ذلك العصر ما في طاقاتهم ولم يبق للعساكر عزم الاجادوا به ولا جهد الا بذلوه ولم يمكن للامير لانواي ولا للامير

مطلب

محاصرة فرنسيس لمدينة ياوبا

مطلب

تشديده في تلك المحاصرة

سنة ١٥٢٤

مطلب
مدافعة المحصورين

يسكر ان يفعل شيأ مع الملك فرنسيس بل مكافى انفرى والصغار حتى شاع
في رومة استهزاء بالايبراطور وحزبه انه قد عين جعل لمن يجيد الجيش
الايبراطورى الذى ضل في شهر تشرين الاول وضاع في الجبال التى تفصل
فرانسا من لومبردي ولم يقف له احد على جلية ولا خبر

ولما رأى الضابط اتنوان دليوه ان يشاء وطنه في حيرة عظيمة وكره
شديد ورأى انه لا يمكن مقاومة العدو خارج الحصون علم انه لا ينبغي له التعويل
الا على تيقظه وشجاعته وعزمه ومهارته فايدى من ذلك ما يلائم عظم القلعة
التي امن عليها يدافع عنها فكثر ما خرج منها بعساكره واتقضى على عساكر
الفرنساوية بقلب ثابت وعزم قوى فعاقم بذلك عن الدخول منها وما كانت
تقعه مدافعهم في الاسوار كان يجدد دوائهم استحكامات حصينة متينة كانت
تظهر انهم اليست دون الاستحكامات القديمة وكان يدفع الاعداء المحاصرين
بقوة عظيمة وعزم مكين وتأسى به في ذلك المحافظون وسكان المدينة فكانوا
لا يكتفون بكابدة المشاق ولا باقتحام الاخطار وما اعان الهمام ليوه على
مقاومة الاعداء وابعادهم فوازل فصل الشتاء وما يحدث عنها ومن جملة ما فعله
الملك فرنسيس ليتغلب على المدينة نحو ما لمجرى نهر تيزان وكان
كالحصن لها من احدى جهاتها الان هذا الثمر فاض على حين غفلة فيضانا
كبيرا فاضاع في يوم واحد ما جده الملك فرنسيس في عدة اسابيع
ومحاربين الجسور التي بناها جيشه وصرف فيها اموالا جسيمة ومهمات
عظيمة

مطلب
فتح البابا عن الفريقين
بموجب مشاركة عقدها

ومع بطى المحاصرة وما حصل للشهير ليوه بحسن مدافعتهم كان من المجرم به
انه لو وضعت الاحوال على ما كانت عليه لاضطرت المدينة الى التسليم ولو بعد
حين لا سيما وان كان قد عين للبابا ان جيش فرنساوية هو الغالب وكان يضار
من الايبراطور وكل القيرة فجعل يقضى المشارطات التي كانت منعقدة بينهما
وبادى بتقديم معاهدة جديدة مع الملك فرنسيس وكان البابا ليون العاشر
قبله قد عزم على مشروع خطب وهو اقتفاء بلاد ايطاليا من ايدى كل

سنة ١٥٢٤

من الإمبراطور ملك فرنسا وأما هو فكان يحترس غاية الاحتراس في جميع أموره فقصوبة هذا المشروع عدل عنه إلى مشروع آخر أسهل منه وهو إظهار الميل لأحد الفريقين ولو لم يسيل المداخلة ليضعف به قوى الفريقين الآخر فظهر أن أحب الأشياء إليه هو استيلاء ملك فرنسا على دوقية ميلان ليقمع الإمبراطور حيث كان لا يوجد حيث يذللاد إيطاليا من له اقتدار على قمع فبذل هذا البابا جهده في عقد صلح به يتم للملك فرنسيس أخذ بلاده في مملكة إيطاليا ولكن كان الإمبراطور شريكان قوى العزم والقلب لا يرد شي عن تمييز ما أزمع عليه فرفض قول البابا ونظم منه حيث أنه هو الذي دعاه إلى الانتارة على دوقية ميلان قبل توليته منصب البابا فلما أبى الإمبراطور أن يقبل قول البابا عقد فوراً مع ملك فرنسا مشاركة بأنه لا ينصر أحد الحزبين على الآخر وكانت جمهورية فلورنسة داخله في ضمن تلك المشاركة بمعنى أنها اتحدت عن الفريقين

فبهذه المشاركة تحلى عن فريق الإمبراطور ودلتان قوتان أعنى البابا وجمهورية فلورنسة وإذا فالملك فرنسيس أن يمر بجيشه من أراضيهما فطارأى هذا الملك أن ذلك بعينه أتم أعانة عزم على شن الغارة على مملكة نابلي مؤملاً أنه يسهل عليه الاستيلاء عليها لأنها ليست محصنة والإمبراطور غير ملتف إليها ولو فرض أنه لا يمكنه التغلب عليها فله في المصوم عليها ما رُب أخرى وهي أن عاملها أي نائب الإمبراطور فيها يطلب أن يحضر إليه الفريق من العساكر الإمبراطورية الموجودة في دوقية ميلان وبناء على ذلك أرسل إلى مملكة نابلي سنة آلاف من العساكر وجعل عليهم رئيساً الأمير حنا ستوار وهو دوق البانية ولكن أدرك الأمير بيسكير أن ذلك كله مشاغلة وملاها توأى أن دوقية ميلان هي مركز العمل فأمر الأمير لأنواى بأنه لا يلتفت إلى ذلك ولا يقترب لانه خداع ومحاوله بل يجعل قتال الملك فرنسيس مطمح نظره ولا يلتفت إلى غيره حيث أنه قد ضعف نفسه بنفسه إذ هزق جيشه بدون ثمرة مجزوم بها وفصل عنه تلك السرية التي

مطلب

اغارة فرنسيس على مملكة

نابلي

سنة ١٥٣٤

مطلب

حاذله كل من الامير يسكبر
والامير دي يوربون من
عظيم الجهد والعزم

ارسلها الى قايي واستحق بذلك لوم الناس عليهم من حيث ان عادته ان يحاطر
بنفسه ويعزم على امور تقع من الاماني الباطلة

ولترجع الى الكلام على مدينة باويا فنقول ان محاسنها كانت في كرب شديد
وضنك عظيم حيث اخذت ذخائرهم ولوازمهم الحربية في النقصان وكانت
العساكر الالمانية منهم لم تصرف لها ماهياتها منذ سبعة اشهر كاملة
فقصت وقالت انها تسلم المدينة الى العدو ان لم تدفع لها ماهياتها حتى
ان الامير ليوه مع نباهته وحسن سياسته وتنفوذ كلمته عليهم عسر عليه
ان يمنعها عن العصيان فلما علم رؤساء عساكر الايمراطورية انه في كرب شديد
بادروا بالمسير اليه ليعينوه وكان لا يمكنهم حينئذ ان يفعلوا احسن من ذلك
فسار اليه الامير دي يوربون ومعه اثنا عشر الفا من الالمانيين وحث
السير حتى وصل في اقرب مدية الى بلاد لومبردية وانضم مع هؤلاء العساكر
الى جيش الايمراطور فكد يساوي في العدة جيش الفرنسيين و بعد
ان انقضت عنه ستة الاف المبعوثة الى قايي مع دوق البانية خصوصا
وكان جيش الفرنسيين قد تعب وكنت همته لطول المحاصرة ومضار الشتاء
ولكن كان جيش الايمراطور كلما ازداد عددا ازداد فيه القهقري واحتاج
الى اموال ومصاريف كل لا يمكن تحصيلها فكان لا يتيسر تحصيل الاموال
اللازمة لصاريف العساكر بل ولا ما يلزم لنقل الاسلحة والمهمات الحربية
والذخائر الا ان مساهرة رؤساء الايمراطور مدت مسد ذلك كله حيث ابدوا من
العزم والحزم ما يجبل عن الوصف وشرحوا صدور العساكر بمواعيد
من خرقه من بنة حتى استمالوا قلوبهم وساروا بهم الى ملاقات العدو من غير
ان تدفع لهم ماهياتهم لاسباب كانوا قد زخرفوا لهم القول حيث ابدوا لهم
انهم سيسرونهم الى الاعداء بدون قتور ولا تراخ وانه ستكون لهم النصر
ويقتنمون مغنما عظيما من جلب جيش الفرنسيين ويأخذون ما يكافئهم حتى
المساكنة على قههم وبذل جهدهم وزيادة على ذلك كان العساكر يرون
انهم ان عصوا وخرجوا من الجيش ضاعت عليهم ماهياتهم المتأخرة وكانوا

سنة ١٥٢٤

مطلب
هجوم الجيش الاميراطوى
على عساكر فرنساوية
في ٣ من شهر رباط

في تلك عظيم ليفوزوا بالكنوز الواسعة التي وعدهم بها الرؤساء فطلبوا بانفسهم
الحرب وملاقات العدو وواظفروا من القلق والجزع ما يبدر عادة ممن يتصدى
للقاتل لقصد السلب والنهب والاعتنام
فلما طلب العساكر الحرب بانفسهم لم يعلمهم الرؤساء حتى تنزهتهم بل حاذروا
ضياح تلك القرصة وتوجهوا بهم فورا الى معسكر فرنساوية فلما بلغ الملك
فرنسيس ان جيش الاميراطور قادم اليه جمع رؤساء جيشه وعقد مشورة
حرب للمذاكرة فيما يلزم عمله فاحتفظ رأى ارباب الدواية والخبرة من ضباطه
على ان يسافر مع جيشه ولا يتصدى لقتال جيش تعضده سواعد اليأس
والقنوط لان القتالين بذلك كانوا يرون ان رؤساء الجيش الاميراطورى
اذ لم يجدوا احدا يحاربونه يحتل نظامهم وتعصى عليهم العساكر بسبب
عدم صرف ما هيأتهم فيضطرون الى تسريحهم لانه لم يمنعهم عن العصيان
الاتعلق آمالهم بأخذ سلب اعدائهم اوان العساكر لا يرون ما وعدوا به
فياخذون في العصيان ولا يلتفت رؤسائهم الا الى ما يأمرون به على انفسهم
وبالجمله فكان رأيهم هو ان اشاروا على الملك فرنسيس ان يتحصن في محل
حصين حتى تأتية العساكر الجديدة التي ارسل يطلبها من مملكة فرانسوا
ومن السويد فانه حينئذ يمكنه بدون مشقة ولا سفك دم ان يتغلب
على دوقية ميلان قبل فراغ فصل الربيع ولكن كان رأى الامير
بونيويلطة بخلاف ذلك فكانه قد سبق في الازل انه لا يسى مدة هذا الحرب
رأيا الا يكون رأى سوء وشوم على مملكة فرانسوا وذلك انه رأى ان من العار
للك الملك فرنسيس كونه يترك مدينة باويا بعد ان حاصرها لمدة مستطيلة
ويهرب من جيش اقل عددا من جيشه وقال ان الحرب اولى من ترك مشروع
تثبت به الملك شهرة عظيمة تبقى مدى الدهور والايام لاسيما وكان الملك فرنسيس
يحافظ على اسباب الشرف ويراعى مفاسد العرض وكان قبل ذلك قد اخبر غير
مرة بأنه امان بأخذ مدينة باويا اوبيلك تحت اسوارها فرأى انه لا يليق به
العدول عما عزم عليه ولم يصغ لقول من اشار عليه بالرجيل والاتجاء

في محل حصين بل مكن تحت اسوار ياويا ينتظر قدوم جيش
الايبراطور

طلبه
واقعة ياويا

فلما وصل رؤسائه جيش الايبراطور بعساكرهم الى معسكر الفرنساوية
وجدوه على غاية من التحصين والاحكام حتى انهم مع ما كان لهم من الاسباب
التي تدعوهم الى الجمل على العدو بدون مهلة ولا تراخ مكنوا زمنا طويلا وهم
في تردد وسيرة لكنهم لما رأوا ان المحصورين بالمدينة قد ضاق بهم الحال
واستولى على قلوبهم اليأس ورأوا ان الجيش قد ضج من طول المدة خاطروا
بأنفسهم وشروعوا في القتال وتصادم الجيشان بحمى لم يسبق مثلها في ميدان
حرب ولم يسبق ان جيشين آخرين اظهرا من العزم عند اللقاء ما اظهره كل من
هذين الجيشين ليثبت لنفسه النصر على الآخر ولم تسبق واقعة ترتب عليها
من نتائج النصر والهزيمة ما يضاهاى نتائج هذه الواقعة ولا واقعة اخرى
كان الفريقان فيها يدلان غاية جهدهما لما بينهما من الغيرة والحقد والبغضاء
المالية وغير ذلك من الاسباب الاخرى التي تجعل الانسان على كونه يذل ما فوق
طاقتة فمن جهة كانت ترى ملكا في عنقوان شابه تعضده ابطال الامراء
والاشراف الذين يذلون نفوس قومهم في محبته ورعايا كانت جميعهم لا تزال
في نمو وازدياد من مقاومة العدو ولهم وكان قتالهم لتحصيل الفخر وشرف العرض
ومن جهة اخرى كنت ترى فرقا آخر مؤلما من ابطال اعرف بفضون العسكرية
من الفريق الاول ورؤسائهم اكثر مهارة وحرما وكانوا جميعا يقاتلون مع الحمية
التي تسلطن على القلب عند اليأس والضرورة ومع ذلك لم يكن جيش
الايبراطور في مده الامر أن يشت امام جيش الفرنساوية حتى ان اعظم
اورطة واحكمها انتظاما واصطفافا اخذت في التزلزل والتقهقر الا ان الدهر أدبر
عن الفرنساوية بعد الاقبال وتغير الحال في الحال فان جميع العساكر
السويسية الذين كانوا مع جيش الفرنساوية نسوا ما اكتسبته منهم من الشهرة
والفخار بسبب الامانة والشجاعة وحلهم الجبن على ترك معسكرهم فسد ذلك
خرج الامير ليوم مع عساكره من المدينة وحل على ساقه الجيش الفرنساوي

٢٤ من شهر سباط

سنة ١٥٢٥

مطلب
انهزام جيش فرنساوية

حالة متكررة فاختلف نظامها وتفرقت صفوفها وحل ايضا الامير يسكير
مع خيالة الاميراطور على الخيالة فرنساوية وكانت خيالة الاميراطور من
الامانيين وكان الامير يسكير لحزمه وسياسته قد جعل في خلال هؤلاء
الخيالة شجاعا غير من المشاة الاسبانيولية وكان هؤلاء المشاة متسلحين
بقرابان ثقيلة فاقنعهم الامير يسكير صفوف الخيالة فرنساوية بواسطة
طرق حرية جديدة لم تكن تخاطر بالفرنساوية فانهم عند ذلك جيشهم من
كل جهة حتى لم تحصل منهم مقاومة الا في المثل الذي كان به الملك فرنسيس
وبالجمل فصار هذا الملك لا يقايل لتحصيل انشرف ولا للتخفر والنصر وانما كان
يقايل لمجرد الذبح عن نفسه فجر عدة جروح او هنت قواه وسقط من فوق
جواده بعد ان قتل نفسه ومع ذلك لم يزل يقايل ويدافع عن نفسه مع عزم
الابطال وبطش الرجال وكان قد اجتمع حوله من الضباط عدة افراد وابدوا
العجب المحباب وفدوا الملك بارواحهم لكنهم قتلوا حوله واحدا بعد واحد وكان
من جملتهم الامير بونيويلة الذي كان سببا في تلك المصائب الكبيرة
فلم يتأفف احد على قتله وكاد الملك يكون وحده في المداخلة عن نفسه وكنت
قواه من الطعن والضرب لاسباب والعساكر الاسبانيوليون الذين كانوا
محدثين به اشتد غيظهم وغضبهم من مدافعتهم وثباته امامهم وهم لا يستطيعون
التقرب منه ولا يعرفون من هو قربه حينئذ الامير بوميران احد
البيكرزادات فرنساوية وكان قد دخل في خدمة الاميراطور مع بوربون
وخرج عن طاعة الملك فرنسيس فلما راه متخيرا بين العساكر اقتضى عليه
ومنهم عنه واقسم عليه ان يذهب معه الى الدوق دي بوربون لانه كان
قريباً منه فأبى فرنسيس وان كان في خطب عظيم وكرب شديد ورأى
ان ذلك منقصة له وتدنيس لعرضه وموجب لشجاعة عدوه لكنه رأى الامير
لاواى قريبا منه فناداه ولم له حسامه على حسب العادة فخر لاواى
ليقبل يد الملك واخذ الحسام مع الادب والاحترام ثم اخرج حسامه ودفعه اليه
فأثابته لانه لم ينفى الملك عظيم ان يبقى بدون سلاح امام احد رعايا الاميراطور

مطلب
اسر الملك فرنسيس

وقتل من الفرنسيّة عشرة آلاف في هذه الواقعة المعدودة من اكبر المصائب التي نزلت بمملكة فرنسا وهلك فيها معظم الاشراف والبيكرادات حيث آثروا القتل على الفرار الذي يورثهم الخزي والعار ويدنس عرضهم واسر مقدار جسيم من بجلته هنري دالبير الذي كان سابقا ملكا على نوار وفرت طائفة صغيرة من ساقه الجيش مع رئيسها الدوق دالتسون وحين وصل خبر انهزام الفرنسيّة الى المحافظين الذين كانوا بمدينة ميلان تركوا المدينة وولوا مدبرين قبل أن يعرض لهم احد وبالجمله فلم يعض خمسة عشر يوما بعد تلك الواقعة الا ولم يبق يلاذ ايطاليا احد من الفرنسيّة

واما لانواي فكان يعمل الملك فرنسيس معاملة الملوك وابدى في اكرامه ما يليق بمقامه ويلام طبيعته لكنه كان يحفظه كل الحفظ ويلتفت اليه غاية الالتفات خوفا ان يفر منه او يقبض عليه عساكر الامبراطور وبأخذوه رهنا عندهم حتى تدفع اليهم ما هيأتمه الباقية لهم ولاجل الاحتراس من هذين الامرين اخذ بيد الملك فرنسيس في اليوم الثاني من الواقعة وادخله في قلعة بيريفيتون التي بقرب مدينة كريمون واناط بمحافظته الامير فردينند الرسون سر عسكر المشاة الاسبانيّة وكان ذا مروءة كبيرة وعرض فعامل الملك بما تقتضيه جلالة قدره وشدد في محافظته حتى كانه وديعة عزيرة يحاذر ذلك الامير أن يفرط فيها

ولكن لما كان الملك فرنسيس طيب النفس حسن الظن خطرياله ان الامبراطور شر لكان مثله متصف بهذه الاوصاف فكان يود ان يبلغه ما هو عليه من سوء الحال فنامنه انه اذا علم بذلك رفق لحاله وخلي سبيله وكان رؤساء عسكر الامبراطور يودون ايضا أن يخبروه بالنصرة العظيمة التي حصلت لهم ويستفهموا منه عما ينبغي لهم فعله وفي ذلك الفصل كان طريق البر اقرب الطرق وامنّها في توصيل الاخبار الى بلاد اسبانيا فاعطى الملك فرنسيس للامير بانالوزة الذي ارسله لانواي الى الامبراطور ورقة

سنة ١٥٢٥

مطلب

حالة الإمبراطور حين
وصلته الأخبار بنصرة
جيشه في عشرة من شهر
آذار

طريق ليرتجها من ارض فرنسا بدون معارضة

فلما وصل هذا السفير الى الإمبراطور واعطاه الاخبار تلقاها مع التؤدة والسكون
بهيئت لو كان ذلك عن نية خالصة وطوية سليمة لا كسبه شرفا وغرا اكثر من
اعظم نصرة وذلك انه لم يفرح بظفر جيشه ولم ينظم منته امارات كبر وتعاظم
ودلائل عظم وشجاعة بل ذهب فوراً الى الكنيسة ومكث ساعة كاملة تهويدعو
الله تعالى ويشكره ثم عاد الى ديوانه فراه مشعو من اكابر آسبانيا واعيانها
ومن سفراء الملوك والكل مجتمعون لهنوه بالنصرة فقبل منهم التهنئة بوجه
التؤدة والسكون واطهر التأسف على اسر الملك فرنسيس قائلاً له عبرة
عظيمة للملوك والسلاطين تربهم انه لا ينبغي لاحد ان يأمن من مصروف الزمان
ونكبات الحدان ومنع ان تقام مواسم وافراح او يتجمل زينة في حد آس دوله
وبنادرها قائلاً انه لا ينبغي الفرح في مثل هذا الحرب حيث انه بين الملل
النصرانية وانما الفرح والسرور سيكون بعد النصر على جيوش الاسلام
وبالجمله فتشوه من حاله انه لم يفرح بتلك النصر الا لكونه صار بهذا اقتدار
على تسكين بلاد أوروبا في ظل الوية الصلح والامان

مطلب

مقاصده التي عزم عليه

ولكن كان شرلسكان يضر خلاف ما ينظم اذا كان الطمع نصب عينيه
وكان خالياً عن الحلم والكرم والمروءة البشرية فانه بمجرد ما بلغه الخبر بانتصار
جيشه في واقعة باويا حصل له باطمان من الفرح والسرور ما يجمل عن الوصف
وفعلقت اماله بمشروعات جليلة ومقاصد عظيمة ولكن حيث كان يعلم انه يصعب
عليه تقيمها رأى من اللازم الضروري ان لا يظهر ما انجره مادام يأخذ
اهبه ويجيز جميع المواد اللازمة فلما انه بذلك يمكنه اخفاء اغراضه الباطنية
وسترها عن نظرمولك أوروبا

مطلب

غم اهالي مملكة فرنسا

هذا وكانت مملكة فرنسا في غم جديد وحزن شديد لان هزم جيشها واسر
ملكها حيث كتب الملك بنفسه الخبر بان هزمه في كتاب ارسله الى والدته صهيبة
الامير بامالوزة وهكذا لا يستعمل الاعلى عبارة واحدة وهي (تفيد الالدة)
انما قد ناكل شي ماعدا الشرف والعرض) وقد حكى من قرمن العساكر

سنة ١٠٢٥

ورجع من بلاد ايتاليا جميع ما حصل في تلك الواقعة المشؤومة فخرن
اهالي المملكة كافة عما وقع لساكرهم وصاروا في غم شديد وكانت مملكة
فرانسا حين اسر ملكها الامال بجزأ تنها ولا عسا كرلها ولا ضباطا يحسنون
الادارة الحربية والسياسة العسكرية وكانت في قبضة اعداء عديدين حتى
صارت على شفا جرف ولم يتقدها في الواقع وقس الامر من تلك النكبة الكبيرة
الامعارف الاميرة لوردة ام الملك فرنسيس وعزمها وكانت نائبة عن
الملك فيها كما سبق فقد اتقدها تلك المرة وان كانت عرضتها للخطر غير مرة
اشار الشهورتها وحفظتها وذلك ان هذه الاميرة المشهورة بالشقة على
ولدها لم تترك نفسها لاستيلاء الحزن والغم عليها حتى تفسدهم تابل اطهرت
ايضا من السياسة المحكمة وحسن التدبير ما اعجب فحول الرجال في السياسة
وحير عقول ارباب الكياسة والرياسة فجمعت العساكر الذين سلوا من
من واقعة باويا ودفعت فداء الاسارى ودفعت لهم ما كان متأخرامن
ما هيأتهم وامدتهم بجميع ما يلزم حتى صاروا مستعدين للحرب والقتال
وجمعت عساكر جديدة وحصنت الضواحي والرساتيق وعرفت بحزمها
وعزمها ان تحصل المبالغ اللازمة لتتيم هذه الاشياء الحسنة وبذلك غاية
جهدها في استمالة هنري ملك انكلترة الى حزبها فن هذه الحيشية اخذ

• طلب •

حسن سياسة النائية
في المملكة

الرجاء ينشئ قلوب فرنساوية

واما الملك هنري فانه لما كان يتعاهد تارة مع الايمراطور واخرى مع ملك
فرانسا لم يتخذ له غرض سياسي انتهى اليه مشروعاته ويكون مطمح نظره
في اغصانه بل كان يقتصر عادة على فعل ما تقتضيه الاحوال ولكن قد حصلت
وقائع عرف بها انه من اللازم الضروري نصب ميزان تعادل بين قوى الفريقين
المتخاصمين يعني فريق الايمراطور وفريق ملك فرانسا حتى انه رأى
فيما بعد ان هذا الامر متعين عليه لا يقوم به غيره وانه لا ينبغي له اهماله فجعله
مطمح نظره وجعل ابناء التعادل بين قوى الفريقين المذكورين نصب عينيه
وذلك ان سبب معاهدته قبل ذلك مع الايمراطور هو انه كان يظن انه يمكنه اخذ

• طلب •

ما قام بنفس الملك هنري
السامن بسبب نصرة
الايمراطور في واقعة باويا

سنة ١٥٢٥

بعض اراض من مملكة فرنسا كانت قبله للملوك انكلترة فباغتراره
بهذه الاماني من اخذ تلك البلاد تعاهد مع الإمبراطور وهم باعته على الملك
فرنسيس لكنه كان لا يظن ان ذلك يؤدي الى انضمام جيش فرنساوية كل
الانضمام كما حصل في واقعة باويا لان هذه الواقعة جرت الى ضعف قوى
احد الحزبين بل محقتها بالكلية ورأى ان هذه الواقعة يمكن ان تؤدي الى خدش
المذهب السياسي الذي هو اصل في ابقاء التعادل بين ملوك الافرنج فغدير
في امره وحصل له فزع كبير حيث رأى ان بلاد اوروبا صار يخشى عليها
ان تقع في ايدي الإمبراطور شرلكان اذ هو يعد انتصاره على جيوش
الفرنساوية صاوعظم الشوكة والبأس لا قدرة لاحد من ملوك الافرنج على
مقاومته وصدمه عن المشروعات التي تضر بالملك النصرانية نعم انه بالنظر لكونه
حليف الإمبراطور ومتعاهدا معه كان يسوغ له ان يؤمل مقاسمته في بلاد
الملك المأسور لكنه كان يلاحظ ان الإمبراطور شديد الحرص والطمع فرما
تكون القسمة بينهما ضيزى او انه لا يمكنه حفظ ما يخصه فيها وزيادة على ذلك
رأى انه ان ترك الإمبراطور يشغل ما بد الله مع الملك فرنسيس واخذ من مملكة
فرنسا بعض اراض عظيمة واضافها الى الممالك الكبيرة الواسعة التي كانت
حيث قد تحت يده يريد طغيانا وقسوة ويخشى منه على مملكة انكلترة اكثر من
ملوك فرنسا الاقدمين الذين كانوا يشتون عليها الفارات في سائر
الاقوات ويؤدي ذلك ايضا الى انعدام ميزان التعادل بين ملوك الافرنج مع
ان هذا الميزان هو اصل شوكة انكلترة ومتأصولها ونفوذ كلتها بل
وبدونه لا تأمن على نفسها وزيادة على ذلك رثى الملك هنري لحال فرنسيس
في وقوعه في مثل هذه التكبة خصوصا وقد بلغه انه ابدى في واقعة باويا من
الشجاعة ما لا مزيد عليه فازداد بذلك رافة وشقة عليه وكانت عاده
الميل الى مكارم الاخلاق فطمع ان يثبت لنفسه القنارين بمالك الافرنج بكونه
انتقد ومامهر وما هذا ولا يخفى ان وزيره ولسي كان يذل غاية جهده
في استمالته الى حزب الملك فرنسيس لان هذا الوزير لماخاب امله في نيل

منصب البابا وتولاه اثنان غيره مع ان الامبراطور كان قد وعد به بأنه عند خلوه لا يولى عليه احد سواه غضب من الامبراطور واعتقد أنه هو السبب في عدم توليته لذلك المنصب وكان ينتظر حصول فرصة تعينه على الانتقام منه فلما طرأت تلك الاحوال عذها من اعظم الاشياء موقعا لتخفيف ما كان عزم عليه لاسيما وقد ارسلت الاميرة لويرة والدة الملك فرنسيس الى هذا الوزير والى الملك هنرى تستعطفهما وتدعوهما الى اعانتها على الامبراطور فوعدها الملك هنرى سرهاته من الآن فصاعدا لا يعين الامبراطور على ايداء مملكة فرنسا وانصرارها ما دامت على حالتها المشؤومة التي آلت اليها بعد انهزام جيشها في واقعة باويا لئلا يكتسب منها ان تقعه بان لا ترضى بتزيق مملكتها وتشتيت بلادها عن بعضها ولو كان ذلك بقصد انتقاد ابنها من الاسر والرق

ولكن بسبب المعاهدة التي كانت بينه وبين الامبراطور لزمه ان يسلك سقيا بحيث لا تظهر عليه آثار ما وعد به الاميرة لويرة فامر ان تجعل في بلاده مواسم واعبياد عامة لادخال السرور والفرح على كافة الناس لنصرة الامبراطور حتى وكأنه يود ان يحصل فرصة تعينه على تخريب مملكة فرنسا وتدميرها بالكلية وبعث سفراء من طرفه الى مدينة مدريد كرسى اسبانيا بقصد تهنيئة الامبراطور بالنصرة وليذكروه بان الملك هنرى له الحق في اقتسام ثمراتها لانه حليفه ومعاهده وكتب له ايضا ما معناه انه بموجب ما اتفق عليه الرأى وتقرر في المشاركة يلزم ان يسير الامبراطور مع جيش عظيم ليتغلب على اقليم غينية ويسلمه اليه وانه يريد ارسال بنته الاميرة ماريه الى بلاد اسبانيا او الى مملكة البلاد الواطية لتكون تريتها بعرفة الامبراطور حتى ينعقد نكاحها بموجب ما هو مقرر في المشاركة ويطلب من الامبراطور ايضا ان يبعث اليه الملك فرنسيس لانه بموجب المشاركة المتعقده بمدينة ابروجه يجب على كل من المتعاهدين ان يسلم الى المظلم من ظلمه او تعدي على حقوقه * هذا مضمون ما كتبه الملك هنرى

سنة ١٥٢٥

الى الامبراطور وبغته اليه مع السفراء المتقدم ذكرهم ولكن كان يعلم انه لا يجيبه في شيء من ذلك كله لانه يساين مزاج مصلحته بل ولا يستطيع الاجابة لان ارباب دولته يمنونه عن ذلك فلذا قيل ان الملك هنرى لم يطلب ذلك من الامبراطور الا ليرده فيتعلل عليه ويتعاهد مع مملكة فرنسا على حسب ما تقتضيه الاحوال

مطلب
ما قام بنفوسه الى دول
الاطاليا بسبب نصرته
الامبراطور

وعجز دما بلغ دول ايطاليا ان جيش الامبراطور قد انتصر في واقعة باويا حصل فيها فزع كبير وغم شديد لكافة الناس لان هذه النصره ترتب عليها اعدام تعادل قوى القريبيين وكان هذا التعادل نصب اعينهم في جميع اداراتهم وسياساتهم اذ هو اصل اطمئنانهم وامنهم على دولهم وبلادهم فبعد نصرته الامبراطور على الملك فرنسيس رأوا انهم صاروا عرضة اكثر من غيرهم لان يلحقهم بطش الامبراطور الذي كانت اطماعه دائما في الغزو والازدياد خصوصا بعد هذه النصره وقويت شوكتهم عما كانت عليه قبل ذلك لاسيما وكان قد ظهر لهم فيه علامات كثيرة دلته على انه بوصف كونه امبراطورا اولمسا على بلاد نابلي لاما نفع أن يدعى دعوى عريضة بتطايه لمعظم بلاد ايطاليا ويسهل عليه ان يظفر بمرامه فيما يدعى به فيخشي منه أن يضرب بلادهم كل الضرر وواقعه في ذلك في الحيرة والربح فاخذوا يبحثون عن وسائط بها يمكنهم ان يعرضوا له قوة عظيمة فيها كفاه قتلعه وصدته ولكن لم يسلكوا في ذلك مسلك الحزم وسداد الرأي فلم يحصل لهم فلاح ولا نجاح وذلك ان البابا كلبان لم يجر على ما اتفق عليه مع اهل البنادقة في شأن حفظ بلاد ايطاليا وابقا حريته بل جعله الخوف من الامير لانواي او غروره بالمواعيد المزخرفة التي وعده بها على ان يعدل عما صمم عليه مع البنادقيين وعقد مشاورة خصوصية بينه وبين هذا الامير والترم فيما ان يدفع في الحال مبلغا جسيما من المال في نظير بعض شروط طلبها فلما دفع اليه ذلك المبلغ وارسل تلك المشاركة الى الامبراطور رأى ان يقرها فاستوجب البابا من خط الناس عليه بكونه أثر مصلحة نفسه على المصلحة العامة وبكونه ارتكب من

في عزه شهر نيسان

مطلب

قيام جيش الامبراطور
وخروجه عن الطاعة

الذات ما كسبه الخزي والعار من غير ان يعود عليه ثمرة من ذلك
ومع ان هذا المبلغ قد اخذ من البابا بطريق التحويل والتداع الذي يدنس العرض
ويورث المعرفة صاحبه تقول انه كان له عظيم وقع حيث ان وقوعه في يد الامير
لاواى قد وافق وقوعه في يد الجيش فصرفه على العساكر وسكن به هذه
القسمة فكان ذلك ميبيا في نجاحه من التطور وذلك انه بعد ان زام جيش الفرنساوية
طن العساكر الالمانيون الذين دافعوا عن مدينة باويا حق المدافعة
انه بخارهم الذي اكتسبوه بشجاعتهم حق لهم ان يطغوا ويسفوا ويفعلوا
ما لا ترضاه النفوس الشريفة من السفه والوفاة فطلبوا وفاء ما كانوا وعدوا به
قبل الحرب فحصلت لهم محاولة من جهة حكاهم فاستولوا على مدينة باويا
وصمموها على اقبالها باليد على سبيل الرهن حتى تصرف لهم ما هياتهم وكان
يظهر من باقي الجيش انه يخرج الى اعانتهم لاني قعهم ولكن سكن الامير لاواى
هذه القسمة بصرفه عليهم المبلغ الذي اخذه من البابا ولما رأى انه ربما يتعذر
عليه فيما بعد ان يصرف لهم ما هياتهم شهر اشهر بدون تعويق فيعصون عليه
ثانيا ورأى من الجانب انهم حين عصيانهم ربما قبضوا على الملك فرنسيس
الذي كان اسيرا عنده فاحتسب ان يسرحهم جميعا المائتين وايطاليين
ولا يبقى منهم احدا في خدمة الامبراطور ومن العجيب وان كان ملايما
لما كان جاريا في معظم الممالك الافرنجية في القرن السادس عشر ان اغلب
ملوك الافرنج كانوا يخشون ان يجمع الامبراطور عليهم وبأخذ بلادهم وكان هو
في الحقيقة مصمما على ذلك مع ان ابراداته كانت قليلة جدا بحيث لا تفي
بصارف هذا الجيش الذي لا يزيد على اربعة وعشرين الفا

مطلب

مذاكرة الامبراطور
هيما يكون به تحصيل
قوائد جليله من نصرته
على الملك فرنسيس

هذا ولا يخفى ان الامبراطور شارك كان لم يبق على ما كان يتكفه اولاً من
انهم ارا التؤدة وعدم اظهار الفرح حين بلغه نصرته جيشه بل عدل عن ذلك
وصار يذلل غاية جهده حتى يستفيد من مصائب خعبه التؤاد الجليله
وقد اشار عليه بعض ندماؤه وارباب ديوانه ان يعامل الملك فرنسيس معاملة
اهل الضو والخلم وان يترك دأب الشامتين عند التؤاد ولا يكاف الملك

سنة ١٥٢٥

فرنسيس بام ورمعة بل بطلقه لتكون بينهما رباط المحبة الاكيدة لان رباط
حسن الصنيع اعظم واثبت من كل رابطة تكون ناشئة عن المواثيق التي تحصل
بمحض الارام والا سكراء لكن ربما كان مثل هذا الحلم لا يوافق الاغراض
السياسية خصوصا وكانت هذه الصفات لا تلايم طبيعة هذا الايمبراطور
فمن ثم شق عليه ان يقبل نصيح هذا الفريق واما الفريق الآخر وهو الجمهور
فكان رأيهم موافقا لرأيه فلذا قبله منهم بدون توقف الا انه لم يجر في مقاصده على
منهج العزم والهمة وذلك انه فضلا عن كونه يسذل جهده ويدخل
في مملكة فرانساً مع العساكر الاسبانية ووعساكر البلاد الوالطية ويغير
على دول ايطاليا قبل ان تعيق من الدهلة التي اوقعها فيها بنجاح
عساكره في واقعة باويا سلك سبيل التخيل والخذاع واضاع وقته
في المذاكرات والمداولات التي لا تجدى نفعا ولكن لم يكن الحامل له على سلوك
هذا السبيل هو مجر دميئه الى ذلك بل الحأنة اليه الضرورة ايضا وذلك انه لقله
امواله كان لا يمكنه تحصيل المواد والمهمات اللازمة لتجديد جيش عظيم لاسبيا
وكان لم يذهب ابدا مع جيوشه في الحروب والوفائع بل كان يجعل عليها سر عسكر
ينوب عنه فكان لا يعيل الى الحرب كل الميل ولا يعجل به وانما كان يعول على
المذاكرات وآراء المشورات لانه كان في ميدانها بمكانة عظيمة وزيادة على ذلك
اغتر بنصرته في واقعة باويا كل الفرور حتى كان يترأى منه اعتقاده انه دمر
قوى مملكة فرانساً واخذ خراستها وانه عن قريب ستقع تلك المملكة بين
يديه كما وقع ملكها

ولما كان عروره يزين له تلك الاحال صمم على ان لا يسج حرية الملك فرنسيس
الاباغلي فمن وعزم على عدم اطلاقه من الاسر الا اذا املى عليه ما شاء من
الشروط فامر القوتة ووكس ان يذهب الى الملك فرنسيس في حصنه
ويخبره على لسانه انه لا يطلق من الاسر الا اذا قبل هذه الشروط وهي ان يرد الى
الايمبراطور اقليم بورغونيا لانه اخذ من آياته واجداده بمحض الاقتيات
والتمدي وان يتخلى عن اقليم برونة ودوقية دوقنة لتتكون منهما

مطلب
الشروط الصعبة التي طلبها
من الملك فرنسيس

مملكة مستقلة تعطى للدوق دي بوربون وان يسلم الملك انكسرة في جميع ما كان يطلبه منه وان يسطل من الآن فصاعدا جميع ما يدعى به من الحقوق في مملكة نابلي ودوقية ميلان وغيرهما من دول ايطاليا هذا وكان الملك فرنسيس يظن ان الامبراطور سيعامله معاملة الملوك ويطلقه على احسن الوجوه فلما عرضت عليه تلك الشروط غضب غضبا شديدا واصل حسامه قاتلا الا ليق بالملك ان يموت ~~هكذا~~ واخذ يقتل نفسه واذا بالامير الرسون قام فزعا وقبض على يد الملك حتى سكن غضبه وعاد الى عقله واخاد انه يؤثر الامر على شراء حريته بهذا الثمن الذي يقبض بمقامه مدة حياته ويدنس عرضه

ولما وقف الملك فرنسيس على حقيقة ما رب الامبراطور اخذت آلامه في الزيادة وشق عليه ان يمكث اسيرا عند الامبراطور ولولا ما كان يتسلل به اليه من كل اليأس وجزم ان لامناص وهو انه اعتقد ان الشروط التي عرضها عليه القوتة روكس لم تكن صادرة من نفس الامبراطور وانما حكم بها ارباب ديوان اسبانيا وانه اذا قابل الامبراطور بنفسه يطلقه من الاسر بخلاف ما اذا كان الوزراء هم الواسطة بينهم فاقطع طول عليه المدة وبناء على ذلك طالب ان يسافر الى مدينة مدريد ليقابل الامبراطور وان كان هذا يقضي به الى ان يكون كالمجوبة يتفرج عليها الخاص والعام من الاسبانويين فاقره الامير لانواي على ذلك بل رغبه فيه واره كيف يسلك في هذا الامر وكان الملك فرنسيس في قلق عظيم حتى اتى من عنده بالسفن اللازمة للسفر لان الامبراطور شرلكان لم يكن حينئذ له اقتدار على تجهيز دفعة اباما كانت فاسر الامير لانواي مع الملك فرنسيس الى جنويرة ولم يجتز بقصده الامير دي بوربون ولا الامير بسكير وانما تملل بكونه يريد ان يتقل فرنسيس الى نابلي فبجزد ان اقلعت السفن امر الملاحين ان يتوجهوا الى اسبانيا وكانت الريح مساعدة فتدفقت السفن الى نواحي مملكة فرانسفا فصار فرنسيس يلتهب اليها مع التحسر والتأفف ويرجع بصره

سنة ١٥٢٥

٢٤ شهر اب

مطلب

المشارطة المنعقدة بين
ملكه فرانسوا ملك انكلترة
وامانة هذا الملك للمملكة
المذكورة

واحتشاه تملظي وبعد ايام قليلة رسوا على مدينة برسلونه فصدر امر من
الايمبراطور بوضع الملك فرنسيس في السراية الملوكية التي بمدينة مدريد
وامر الامير الرسون بحفظه وخفزه فقام بذلك مع التيقظ الذي كان عليه
في السجن الاول وبعد وصول ملك فرانسوا الى مدينة مدريد ببعض ايام
علم انه لا ينبغي له ان يعتمد على حلم الايمبراطور وكرم نفسه وانما تلى
بالمشارطة التي انعقدت بين امه الاميرة لوردة والملك هنري الثامن
مؤملا ان يطلق بهما من اسره وذلك ان الامور التي طلبها ملك انكلترة من
الايمبراطور الغاها في مدينة مدريد لان الايمبراطور اغروره بالتصرة صار
لا يظهر لملك انكلترة الاحترام والتبجيل الذي كان يظهر له سابقا وكان
الوزير ولسى متكبرا كسيده يجب من تلق له ويداهنه فاغتاط كل الغيظ
من الايمبراطور حيث قطع المودة وعلائق المحبة التي كان يظهرها له سابقا وهذه
الاسباب قوت الاسباب التي ذكرتها آشا فحلت الملك هنري على
عقد مشارطة مع الاميرة لوردة التزم فيها بالدفاع عن مملكة فرانسوا
وجايتها من الايمبراطور وبذلك زالت جميع الاسباب التي كانت فوجب العدواة
بين انكلترة و فرانسوا ووعد الملك هنري ان يتخلص فرنسيس من
روطة اسره

مطلب

القصة التي اوقعها مورون
لاعدام حكم الايمبراطور
من بلاد ايطاليا

وبينا كان الايمبراطور في حيرة عظيمة بسبب بخلي ملك انكلترة عن حربه
اذ حصلت حادثة اخرى مشؤومة زادت بها حيرته وذلك ان مورون فخبلي
ميلان كان يدبر سرقة كبيرة لاعدام حكم الايمبراطور من بلاد ايطاليا
لان مورون وان كان يغض القرناوية الا ان تلك البغضة زالت من قلبه
بعد مردهم من بلاد ايطاليا وحصل له ايضا سرور من جعل الامير
سفورس حاكما على دوقية ميلان لكنه اغتاط حين توقف ديوان
الايمبراطور في تولية سفورس المذكور على دوقية ميلان وادى عللا
كثيرة في عدم نجح به بتولية هذا الامير وكانت هذه العلل طامرها المحاولة
والمخادعة فظن مورون ان قصدا لايمبراطور وارباب ديوانه من هذه

المحاولة ان يسلبوا من الامير سفورس دوقية ميلان مع انها اخذت من
ايدى الفرنسيواية لاجله وكان البابا واهل البنادقة يظنون ذلك ايضا
قاراد شرلكان ان يزيل ذلك من قلوبهم فجعل باعطاء حكومة ميلان
للامير سفورس لكن بشروط صعبة واحتراسات بموجها كان يرى ان الامير
المذكور صار من رعايا الايمراطور لامن خراجي الايمراطورية وصار اعتماده
على بقاء هذه الدوقية بيده متوقفا على ارادة سيد طماع اعنى الايمراطور
فكان من الجائز ان الايمراطور يأخذ منه تلك الدوقية وكان مورون يعلم
انه اذا اخذها وضمها الى مملكة نابلي يخشى على حرية بلاد ايطاليا
باجتماع ابل ويخاف ان يفقد ما كان له حقيقته من الشوك وتفقد الكلمة وحيث
كانت هذه الامور المرجفة فاقم بذهنه لانتفك عنه اخذ يدبر ما يكون به
انقاذ بلاد ايطاليا من حكم الايمراطور وهذا الغرض كان يميل اليه
ارباب السياسة من اهل ايطاليا في ذلك العصر وكانوا يرغبون فيه
كل الرغبة فرأى مورون انه اذا كان سببا في خلاص مملكة نابلي من ايدى
اهل اسبانيا يثبت له فخر كبير وشهرة عظيمة لاسيما وقد كان سببا ايضا في
طرده الفرنسيواية من دوقية ميلان فبجزم ما تعلقت آماله بتنجيز هذا الغرض
سخر بذهنه طريق يسلكه في هذا المعنى فاستحسنه وصمم عليه وان كان صعبا
جدد لانه كان جسورا ما هر الاتعوقه خطوب ولا نصده اخطار

فظلا
مذاكرته مع الامير يسكير

هذا ولا يخفى ان كلام الاميردى بوربون والامير يسكير كان قد حصل له
غيط شديد من كون الامير لانواى توجه بملك فرنسا الى اسبانيا
من غير ان يخبرهما اما الدوقى بوربون فخشى ان يحصل بين الايمراطور
والملك فرنسيس عقد مشاركة تضر بمصالحه فساخر فوراً الى مدينة
مدريد ليأمن من وقوع ذلك وبعد سفره بقي الامير يسكير وحده منوطا
بحكم الجيش فلم يكتفه ان يترك بلاد ايطاليا لكنه كان في كل وقت يظهر
الغيط من الامير لانواى ويتكلم في حقه بامور تدل على بغضه وكرهته له
وبعث الى الايمراطور كتابا يذكر فيه ان لانواى لم يتفق وقت الحرب ولم يظهر منه

سنة ١٥٢٥

سوى الحين كانه بعد الحرب لم يظهر منه سوى الوقاحة وفتح السلوك وزيادة
على ذلك كثيرا كان الامير بسكر يتظلم من الاميراطور ويخبرانه لم يكافئه
ولم يجزه على خدمه واشغاله حتى ان مورون المتقدم اسس ما كان شاعرا
فيه على غيظ الامير بسكر وذلك انه كان يعلم ان طمعه رائد عن الخدولة
فضل شهر وباع طويل في الحرب والصلح وله نفس شريفة وهمة علية يقدم
على ما لا يمكن الاقدام عليه فيعود رافلا في حلال الظفر والنجاح وكان
معسكر جيش اسبانيا قريبا من مدينة ميلان فسهل على مورون
ان يتقابل مع الامير بسكر فقابله عدة مرات وفي كل مرة يتكلم معه في شأن
الحوادث التي اعقبت واقعة باويا لان الامير بسكر كان يكثر دأتما من
ذكر هذا المعنى فلما رأى مورون انه يظهر الغيظ والتظلم من فعل الاميراطور
اخذ يكره جميع الامور التي يمكن ان تزيد في غيظه وغضبه فكان يبالغ
في ظلم الاميراطور وعدم انصافه معه حيث اثر عليه الامير لافاوى وفوض له
امر ملك فرانسا فاخذه وسافر به الى اسبانيا ولم يشاوره مع انه هو
السبب في نصرة جيش الاميراطور فكان حقه ان يفوض له لالغبره امور الملك
فرنسيس مادام اسبروا بهذا القول طس انه قد قوى غيظ الامير بسكر
واخذ يفيد بطريق التلويح والتلميح ان الوقت يساعد اذا اراد الانتقام من
الاميراطور في نظير هذه النعال القبيحة بل ويمكنه ان يثبت لنفسه خيرا موبدا
وفضلا مخلدا يبقى مدا الاعصار والدهور بكونه يتقذ وطنه من ظلم القسراء
واجفاف الحكام الاجانب لاسيما دول ابيطاليا كانت قد ستمت من حكم
الاسبانيولين لغفلتهم وسوء فعالهم ففى متأهة لان تجتمع مع بعضها
وتطلب استقلالها واهاليها كلهم متطلعون اليه ولا يرون احدا سواه عقل
ونهى وقريحة واسعة ودهى يقدر على تجهيز هذا المقصد المهم وتقييمه مع النجاح
وابدى له ان تقييم هذا الغرض موقوف على ارادته حيث ان الاميراطور ليس له
من العساكر في بلاد ابيطاليا الا طائفة من المشاة الاسبانية فاذا وزعهم
في قرى ميلان بقتلهم الاهالي في ليلة واحدة لانهم في غيظ شديد منهم بسبب

سنة ١٩٢٥

ظلمهم وافعالهم القبيحة وبعد ذلك يمكنه بدون صعوبة ان يستولى على كرسى
 مملكة نابلي وواقع في ذهنه ان الدهر اعذله تاج هذه المملكة مكافأة له على
 اقتصاده لبلاد أيطاليا من ايدي الغرباء لاسيما والسياسا الذي هو سيد مملكة
نابلي حيث انه طالما تصرف فيها البوابات قبله كيف شاؤا يحصل له غاية
 السرور من جعله ملكا عليها وافاده ان اهل البنادقة و فلورنسة و دوق
ميلان بلغهم هذا الخبر وانهم سينضمون الى مملكة فرانسا ويقومون مع
 القرنساوية بانبات حتى الملوكية له في نابلي وان اهل نابلي انقسم
 يودون ان يكونوا تحت حكمه لانه من ابناء وطنهم ويعزونه كثيرا لفضله
 ومعارفه وان نفوسهم قد سئمت من حكم الغرباء الذين اتعبوهم بظلمهم
 وشدة قسوتهم وان الامبراطور اذا ظهر له ذلك على حين غفلة يقع في الورطة
 والارتباك ولا يمكنه مقاومة هذه العصبية الكبيرة لاسيما وهو قليل الاموال
 والرجال

وفي مدة هذه الحكاية كان الامير بسكر يصفي الى قول مورون وهو
 في عجب رآ ثمن صعوبة هذا المشروع كانه يفكر في امور جمة ومقاصد مهمة
 فكان من جهة ينقر من قول مورون حيث كان يحسنه ويدعو الى القيام
 على الامبراطور ووقدا ستأمنه وجعله رئيسا على عساكره وكان من جهة اخرى
 تحسن له نفسه اتباع مورون حيث كان يقره بقوله انه هو الذي يتولى ملكا
 على بلاد نابلي فكث بسكر مدة وهو يتردد بين هذين الامرين ثم جنح
 الى ما يكسبه المعزة منهما وحسن له نفسه الطماعة ان يغدر بالامبراطور
 ليستولى على مملكة نابلي وكثر ما حصل ان اناسا عند تغييرهما بين مافيه
 نعمهم ومافيه شرف عرضهم ويثرون الاول لكنه اراد قبل خيانتته وغدوره
 ان يبحث له عن علة يتعلل بها ووجهة يستند اليها فالزم مورون ان يسأل بعض
 علماء الدين هل يجوز لشخص من الرعايا ان يعصى ملكا الذي فوقه مباشرة
 ليطيع من له الحق والسيادة في الدولة التي هي الغرض من العصيان والخروج
 فاجابوا بالجواز واستمرت من ذلك الوقت المداولات والمذاكرات بين مورون

سنة ١٠٢٥

مطلـبـ

عند بـسـكـير بالتـجـلـيل

مورون وقبضه عليه

والامير بسكير حتى بذلا كل الجهد في تحصيل ما يلزم لتخصيص هذا
الغرض المهم
ولكن الامير بسكير اما لكونه استعظم هذا الامر وارعدت فرائعه من
الغدر بسيد الذي له عليه خيرات جزيلة او لكونه رأى ان الدهر لا يساعده
في ذلك وتيقن عدم النجاح اخذ يفكر فيما يتعلل به في تقض الشروط التي
انعقدت بينه وبين مورون وكان اذ ذاك الامير سفورس قد اعتراه مرض
ظن انه يقضي به الى الهلاك فرأى الامير بسكير انه ان كشف سر هذه الفتنة
وقبض على مورون الذي يريد ان يشاعها يسر منه الاميراطور ويجعله حاكما
على دوقية ميلان مكافأته على اماته وصدقه وان هذه الوسيلة اكثر حزمًا
واقرب للنجاح مما اذا بحث عن اخذها بطريق الغدر والخيانة الا ان هذه النية
الجائفة الى ارتكاب امور قبيحة تزيى ايضا بالمروءة وتدنس العرض وكان
للاميراطور المام بامر هذه الفتنة حين اخبره بها بسكير فظهر منه انه
قد حصل له غاية السرور من هذا الامر لاماته وصداقته وأمره ان يستز على
ما هو عليه من المذاكرة مع البابا والامير سفورس حتى يختبرهما
ويعرف باطنهما ووعده على ما ادله وانحة تثبت خيانتهم او لما كان بسكير
يهلم من نفسه ان مذاكرته او لا لم تكن عن خلوص طوية بالنسبة للاميراطور وان
سكوته على ذلك مدة لا بد وأن وقع في قلوب اهل ديوان مدرية سوء الظن به
واتهامه بالخيانة وعد الاميراطور بتخصيص امره به ليبرى نفسه عند الناس حتى
لا يسوء الظن به فلذلك اضطر الى ارتكاب ما يدنس مدي الايام والدهور وهو
مداخلة قوم للغدر بهم واذا التفت الانسان الى سعة قرائع من خادعهم بسكير
راى ان مداخنته لهم ليست في الصعوبة دون ما ينشأ عنها من تدنيس العرض
ومع ذلك سلك فيها مسلكا غريبا حتى امكنه ان يدخل حيله وخداعه على
مورون وكان بمكان من الدكا والقطنة ذلك ان مورون لما كان يعتقد
صدق الامير بسكير وينتبه ذهب اليه في قصر تورو ليتيم معه ما اتفق عليه
في هذا الخوص فلقاه بسكير يحمل كان الامير ليوه حيث تذخنت خيافه

ليسمع قول مورون مع يسكير ويكون شاهدا عليه فبعد ان قضى مورون امره وهم بالخروج من القصر ليرجع الى داره اذ فرغ فزعا شديدا وتحير في امره حين رأى الامير ليون قد قبض عليه بطريق النسيابة عن الامبراطور وذهب به الى قلعة مدينة پاويا وبعد ان كان يسكير شريكا في القتلة صار يسأله ويقضى في دعواه وصدر امر من الامبراطور بحرمان الامير سفورس من جميع حقوقه في دوقية ميلان لانه كان من ارباب القتلة وامر باخذ جميع قلاع دوقية ميلان ومدنها فاخذها يسكير ماعدا مدينتي كريمون و ميلان لان الامير سفورس بادربالمدافعة عنهما وبادر عساكر الامبراطور بحصارهما

ثم ان هذه القتلة التي كان الغرض منها تجريد الامبراطور عن اراضيه التي يبلاد ايطاليا لم تنجح بل ترتب عليها تكثير اراضيه في البلاد المذكورة ومع ذلك رأى الامبراطور ان من الضروري للالزام له ان يتفق مع ملك فرنسا ويصالحه ويحلى سبيله وانه ان لم يفعل ذلك عادى سائر دول اوربا وتتعصب عليه لما رأى منها انها كلها قد فرغت من شجاع جيشه في واقعة پاويا وبما ظهر من شدة الطمع والشر حيث كان لا يتكف اخفاء ما كان قائما بنفسه وكان الى ذلك الوقت لم يعامل فرنسيس المعاملة اللائقة بالمولد بل ولم يحترمه الاحترام اللائق بمقامه فعوضا عن كونه يسلك معه ما تسلكه الملوك العظام مع المصائب بالنكبات سلك معه مسلك ارباب الصيال وقطاع الطرق الذين يطمعون انهم يأساهم من وقع في ايديهم يجبرونه على فداء نفسه منهم بما تملكه يده وذلك انه مجبن الملك فرنسيس بقصر عتيق ووضع عليه خرا كان يشدد عليه كل التشديد حتى تنغص عينه وسقطت نفسه وعند الفسحة كان لا يؤذنه الا بركوب بقلعة وتحديق به خيالة متسلحة ولم يذهب اليه الامبراطور بل تعلل بانه لا يمكنه ان يفتيب عن المشورة العامة المتعقدة بمدينة طليطلة وذهب بدويانه الى تلك المدينة فاصدا بذلك ان لا يقابل الملك فرنسيس فاضت عدة اسابيع من غير ان يذهب اليه في المجن مع ان فرنسيس كان

مطلب

ماتاساه فرنسيس من سوء
المعاملة في بلاد اسبانيا

يطلب ذلك بنفسه ويحج في طلبه فهذه القبيحة التي لا تطيقها نفوس
الملوك قد تمت نفس الملك فرنسيس ولحقه غم شديد حتى كره الدنيا وما عليها
لما انه كان ذا شرف وشرف قس وقد الميل الى اللذات وزالت بشاشته الطبيعية
وبعد ان مكث زمنا طويلا وهو آخذ في الضعف والهزال اصيب بجمي شديدة
حتى اشرف على المهلاک وفي شدة مرضه كان لا يتسكى الا من تشديدهم عليه
وسوء معاملتهم ايامه وكان يلهم غالباً بقوله ان الايمراطور سيحصل له غاية السرور
من كون عدوه مات في السجن تحت قبضته من غير ان يفضل عليه بعبادته
ولومرة واحدة فلما عجز الاطباء عن معالجته ونشوا من حياته اخبروا
الايمراطور بانه لا يرجى له شفاء من هذا المرض الا اذا اتم عليه بما يتناه ويطهجه
في اغلب اوقاته وهو ان يذهب لعيادته وكان الايمراطور يود حفظ حياة الملك
فرنسيس حتى تتحقق له القوا آتد الحيلة التي كان يأملها بعد انتصار جيشه
في واقعة باوبا فجمع خورا ووزراءه ليتذاكر معهم في شأن ما ينبغي فعله
وكان اعظمهم علما ودراية التخليع غايتناره فايدى للايمراطور انه من عدم
المروءة ان يعود الملك فرنسيس ان لم يكن عازما على التساهل معه وتخليع
بيله بموجب شروط مقبولة وافهمه ان من العار في حقه أن يعود له مجرد
الطمع والحرص على عدم ضياع مصالحه حيث انه قبل مرضه واشرافه على
المهلاک طالما طلب منه ذلك مع الاحاح فلم يجد ذلك شيا واما الايمراطور فكان
دون هذا الوزير في المروءة والعرض فلذا لم يلتفت لقوله وسافر الى مدريد
لمجرد نظراسه ومقابلته لكن لم يمكث معه الا برهة يسيرة لان الملك فرنسيس
لشدة مرضه كان لا يستطيع التطويل في المحادثة الا ان الايمراطور في تلك
البرهة التي مكثها معه خاطبه مع الاحترام والتعظيم ووعد ان يعامله
المعاملة للاتفة بالملوك وانه يخلى سبيله عن قريب ولو كان هذا القول
من الايمراطور صادرا عن صدق وخلص نية لكفاه ذلك شرفا وغفرا
الا ان فرنسيس كان في حالة رديئة من شدة مرضه فاعتقد صدق قول
الايمراطور وداخلته العافية لانسراح صدره بما وعده به ومن وقتئذ اخذ

سنة ١٥٢٥

في الانتعاش والشفاء حتى استقامت صحته بعد مدة قليلة ورجعت له قواه

مطلب

وصول الدوق دي بوربون الى مدينته مدريد

ولكن بعد أن شفي وتغلب داخله الندم والحسرة حيث اعتقد صحة كلام
الايمبراطور واغتر بزخرف قوله مع ما سبق له منه هذا واما الايمبراطور فانه بعد
خروجه من عند فرنسيس توجه فوراً الى مدينة طليطلة وأحال
الامور على وزرائه فصار الملك فرنسيس من تشديد الخفاء عليه في ضنك
وضيق أكثر مما كان فيه اولاً وحصلت حادثة اخرى ازدادت بها الالام وحرارة
وهي ما حصل من المراجعة ومزيد الاحترام لاحداثباعه وذلك ان الدوق
دي بوربون حين دخل بلاد اسبانيا قابله الايمبراطور بالتبجيل
والاحترام ومزيد التعظيم والاکرام مع انه اى فرنسيس مكث مدة طويلاً
وهو لا يرضى ان يعود في محضه وذهب لمقابلة الدوق دي بوربون خارج
مدينة طليطلة وعاقبه معانقة الاحباب وجعله على يساره وسار معه
في محفل عظيم وموكب مبتهج حتى وصل به الى قصره فاودع ذلك في قلب
فرنسيس حسرة كبيرة الا انه تسلى بمحادثة اخرى اعقبت تلك الحادثة وهي
ان ظهر له ان مروءة اهل اسبانيا مبانة لطبع سيدهم وذلك انهم كانوا
يغضون الدوق دي بوربون لخيانته حتى ان اشراف تلك الملة كانوا
يتباعدون عنه ويتجنبون معاشرته والمخاطبة معه وان كان ذا معارف
جليلة وتقع وطنهم كل النفع في مواطن مهمة وقد حصل ان الايمبراطور التمس
من الملك ويلونة ان يسكن بوربون في قصره مدة إقامة الديوان
الايمبراطوري بمدينة طليطلة فاجابه الملك الملتزم المذکور مع الادب بانه لا يستطيع
مخالفة الايمبراطور لكن المأمول منه ان لا يهيج اذا حرق القصر بعد خروج
بوربون منه وجعل عليه ساقله لان البيت اذا تدنس بسكنى اهل القدر والخيانة
فيه لا ينبغي ان يسكنه احد من اهل شرف العرض والامانة

مطلب

جعل بوربون سر عسكر
الجيش الایمبراطوری الذي
كان يلا د ايطاليا

ومع ذلك لم يعأ الایمبراطور بذلك بل مازال مصمماً على مكافأة بوربون على
خدمته حتى المكافأة الا انه كان متخيراً في ايكا فته به وكان بوربون يطلب من

الایمبراطور

سنة ١٥٢٥

شهر كانون الاول

الايمبراطور ان يوفيه بما وعده به وهوان بزوجته اخته اليونورة ملكة
البورتنغال وقال له ان هذا الامر هو الذي دعاني الى القيام على الملك
فرنسيس وكان فرنسيس المذكور قبل سفره الى بلاد ايطاليا قد طلب
ان يتزوج بهذه الاميرة منعاً لتزوج الدوق دي بوربون بها وكانت الاميرة
المذكورة توتران يتزوجها ملك ذوصولة وشوكة على الزواج برجل من رعيته
مطرو د عن بلاده فلذا كان الايمبراطور متعيراً في امره لا يدري ما يصنع الا انه
في اثناء ذلك مات الامير يسكيه عن ست وثلاثين سنة بعد ان اشهر وعقد من
اعظم جزالات عصره واهضر ارباب السياسة في دهره فكان موته سبباً في اتقاذ
الايمبراطور من تلك الحيرة وذلك انه قام مقامه الدوق دي بوربون حيث
جعله رئيساً على جيش ايطاليا وزيادة على ذلك جعله حاكماً على دوقية
ميلان بدلا عن الامير سفورس واشترط عليه ان لا يطلب التزوج بالاميرة
اليونورة ملكة البورتنغال وكان الدوق دي بوربون لا يستطيع
مخالفته فرضي بذلك

واعظم الاشياء التي كانت تمنع من تخليع سييل الملك فرنسيس هو انه كان
لا يرضى ان يعطى اقليم برغونيا للايمبراطور وكان الايمبراطور يشدد في ذلك
ويظهر انه لا يخلى سبيله الا بعد رضائه بهذا الشرط وكان الملك فرنسيس يظهر
انه لا يرضى بذلك ابداً لان فيه غزيرى مملكته وانه ان نسي ما يجب عليه من حيث
كونه ملكاً وقيل هذا الشرط هو ان يملكه تسلياً بذلك كل المنايذة وانما
رضى انه من الآن فصاعداً يترك حقوقه في بلاد ايطاليا والبلاد الواطية
للايمبراطور ولا يسأعه فيها ابداً ووعده ايضا انه يرد الى الدوق دي بوربون
سائر الاراضي التي اخذت منه وانه يتزوج بالاميرة اليونورة وان يدفع مبلغاً
عظيماً في فداء نفسه لكن لم يحصل بينهما اتفاق بل صار كل منهما من وقتئذ
لا يراعى الا شرولا يتنهبه ونزع ذلك من قلوبهما الى الابد ونشأت بينهما العداوة
والبغضاء ولم تزل متمكنة من قلوبهما حتى فارقا الحياة وفي تلك المرة لازالا
في جدال ونزاع وعرض وقض حتى تراهي للناس ان لا انتهاء لتلك المذاكرة

مطلبه

المذاكرة التي حصلت
في شأن تخليع سييل الملك
فرنسيس

وانه لا يحصل توافق بين الجانبين فان احدهما كان طماعا مصمما على ان يبتز
هذه الفرصة ويغتنم فيها جميع ما يساعد عليه دهره من التواء المصالح واما
الجانب الآخر فكان على غاية من الاحتراس لما سبق له وعهده من خصمه وكانت
الدوقة داليسون اخت الملك فرنسيس قد ذهبت اليه لتعوده فاذن
لها الايمبراطور ودخلت عندها خيما في السجن وبذلت غاية جهدها في فككه من
ربقة الاسر بشرط مهلة لطيفة لا ترضى بالعرض كالاولى واعتنى بذلك ايضا
هنري ملك انكلترة لكن لم ينجعا في ذلك حتى ان الملك فرنسيس يس
كل اليأس وعزم على ان يخلع نفسه من مملكته ويتنازل عن حقوقه وينقلها
الى ابنه ويمكث هو في السجن حتى يقضى الله امره كان مفعولا ورأى ان ذلك
اوفق به من كونه يغدى نفسه بشرط لا تليق بالمقام الملوكي فكتب حجة بهذا
الامر ووضع عليها امضاءه وامر اخته ان تذهب بها الى مملكة فرانسوا
لتقيد في دقائر دواوين المملكة ويعمل بمقتضاها واخبر الايمبراطور بذلك
وترباه ان يعين لسجنه محلا ويعمل له بيتا لا تقامه ليقضى فيه ما بقي
من عمره

فاثر ذلك تأثيرا عظيما في قلب الايمبراطور وواقعه في حيرة كبيرة فغشى انه
يتشديه في الشروط يخيب سعيه ولا ينظر بمرامه ويؤول الامر الى كونه يرى
بين يديه ملكا لا بلاده ولا ايراد لاسيما وقد حصل في انشاء تلك المدة ان بعض
اتباع ملك نوار بذل جهده حتى اخرج سيده خفية من السجن الذي وضع به
بعد واقعة باويا فغشى الايمبراطور ان الملك فرنسيس اوتباعه يمكنهم
بالرشوة وغيرها ان يخرجوا ملكهم من السجن مع تيقظ الضباط المأمورين
بحفظه واذ حصل ذلك خابت آماله وضاعت جميع فوائده فاهله الاسباب
رأى ان الاحسن والاوفق للصواب والخزم ان يتساهل في المشاركة ولا يلزمه
بشروط صعبة هذا ما كان من امر الايمبراطور واما الملك فرنسيس فكان
قد قسم من السجن وطول المدة وكان قد اتت اليه اخبار من بلاد ايطاليا
بان هنالك من يدبر امر عصابة كبيرة على الايمبراطور فضمهم على ان يتساهل

مطله
سيرة الايمبراطور

سنة ١٥٢٥

سنة ١٥٢٦

مطلب —

المشاركة المنقذة بمدينة

مدريد

ايضا في المشاركة ويقبل ما يلزمه به الامبراطور وبعد ان يخلص من السجن ويخلى سبيله يمكنه ان يأخذ ثانيا جميع ما سلم فيه بطريق الاكراه والقهر

وهذه الاسباب فساهل كل من المملكين في اشياء وافقدت مشاركة اطلاق الملك فرنسيس بمدينة مدريد في اربعة عشر من شهر كانون الثاني سنة ١٥٢٦ من الميلاد واما اقليم بورغونيا الذي كان ميباني تأخير عقد المشاركة الى ذلك الوقت فانحط الرأي على ان الملك فرنسيس يتركه الى الامبراطور مع سائر ما يتعلق به من الاراضي والبلدان ولكن حيث رضى الامبراطور باطلاق الملك فرنسيس وتخليه سبيله قبل وضع يده على هذا الاقليم وغيره مما تضمنته المشاركة وقع التراضي ايضا على ان الملك فرنسيس يسلم للامبراطور على سبيل الرهن اكبر اولاده الذي هو ولي عهده وابنه الثاني دوق اورليان وابنه الاكبر واثني عشر من امراء فرنسا يختارهم الامبراطور ويعين اسماءهم ويقيمون تحت يده حتى يوفي الملك فرنسيس بما حوته المشاركة وكان في تلك المشاركة شروط اخرى صعبة جدا وان كانت دون الشروط المذكورة في الاهمية منها ان الملك فرنسيس يترك دعواه في شأن بلاد ايطاليا ويترك حقوقه الملوكية في بلاد القلنت واقليم اربوازه وانه بعد اطلاقه بستة اسابيع يرد الى الدوق دي بوربون وسائر اخزائه واصحابه جميع املاكهم وامتعهم وعقاراتهم ويعطيهم اشياء عظيمة في نظير الاشياء التي تلقت عليهم بسبب اخذ املاكهم وامتعهم منهم ويجبر الامير هنري دالبيرطه على ان يترك دعواه في حق الملوكية على بلاد نوار وان لا يعينه من الاث فساعد على الاستيلاء على تلك المملكة وان يكون بين الامبراطور والملك فرنسيس محبة أكيدة ومعاودة لا تنقض على مدا الدهور والايام وان يعين كل صاحبه عند الحاجة ولاجل تمكين تلك المعاملة وتقويتها انحط الرأي على ان الملك فرنسيس يتزوج بالاميرة اليونورة اخت الامبراطور شرلكان ملكة البورغغال والتزم فرنسيس ان يضع

سنة ١٥٢٦

على تلك المشاركة مع ما تضمنته من الشروط اقرار ارباب مشورة وكلاء
مملكة فرنسا ويقدها في سائر دواوين مملكته والتزم الامبراطور ايضا
انه بمجرد وصول هذا الاقرار اليه يخلى سبيل وادي الملك فرنسيس المروني
عنده ولكن يرسل اليه بدلا عنهما الامير كزوس دوق انغوليم ثالث ابن
ملك فرنسا ليتربى في ديوان الامبراطور ويكون به تمكن المحبة ودوامها
بين ابيه الملك فرنسيس والامبراطور ووعد فرنسيس وأ كد وعده
بالقسم انه ان لم يوف بما تضمنته المشاركة في المدة المعينة يرجع ثانيا الى بلاد
اسبانيا فيمكث اسيرا تحت يد الامبراطور كما كان

ظن الامبراطور شريكاً انه بتلك المشاركة قد ارغم ان يقدوه وسد عليه
كل باب حتى لا يمكنه ان يعود الى صولته الاولى فيحشى بأسه ولكن ادرك اعظم
ارباب السياسة من اهل عصره ان هذه المشاركة لا يمكن العمل بمقتضاها
وان الملك فرنسيس بعد اطلاعه وتخليه سبيله تستكشف نفسه ان يعمل بموجب
شروط رفضها عدة مرات ولم يقبلها الاضيقه من السجن واسره فقالوا
ان الطمع والمقد سيجملانه من غير شك على تقض تلك الشروط التي لم يقبلها
الامبراطور والقهر والاكراه وبسبب عليه تمصيل ما يستند اليه في هذا المعنى
ويبرهن به على انه لا يجب عليه الوفاء بشيء مما ذكر في المشاركة لانه انما قبلها
بالاكراه والاجبار لا بالطوع والاختيار ويجب من بعضه اذا اعتذر بحيث
ان الضرورات لا يقاس عليها ولو اطلع على ما ضميره فرنسيس حين عقد
المشاركة ليقول ان هذا الرأي في محله وانه عين الصواب لاحتمال لان الملك
فرنسيس قبل ان يضع امضاءه على المشاركة المذكورة ببعض ساعات جمع
من كان معه من ارباب ديوانه ومشورة بمدينة مدريد وحالهم ان يكتموا
السرو ولا يفشوه ابدا ثم قص عليهم ما فعله الامبراطور معه من الحيل قصد
مخادعته وسوء المعاملة التي لاتباق بالملوك لتهدية وتخويفه وبشاء على ذلك
فهم من الشاهدين على ان المشاركة التي هو مطالب بوضع امضاءه عليها ليست
صحبة بوجه من الوجوه ولا يعمل بها الا انها محض الازام والاكراه * وبهذه

مطلب
ما قارن هذه المشاركة من
مقتضيات الاحوال

مطلب
انكار الملك فرنسيس
لامشاركة المتقدمة

سنة ١٥٢٦

الطريقة التي ليست من شروط الصدق وخلوص الطوية ولا يقبل اعتذاره فيما بالبداه من مخادعة الامبراطور له واسأته اياه ظن انه قد فعل ما فيه شرفه ورضاء نفسه فلم يضع امضاءه على المشاركة الا وهو مصمم على قضائها وعدم العمل بها

ولكن كان كل من الامبراطور والملك فرنسيس يظهر لصاحبه الصداقة والمحبة التامة فكانا يخرجان مع بعضهما امام العامة والخاصة ويكثران المحادثة والمسامرة ويسافران معا في عربية واحدة وكانت تزهدتهما وحظوظهما واحدة الا انه في انشاء ذلك كان الامبراطور مشغول البال موسوس الخاطر فانه مع تجهيز الشروع في اشهار نكاح الملك فرنسيس للاميرة الينورة عقب المشاورة لم يرض الامبراطور بتتيم هذا الزواج بل ابقاه حتى يأتي اقرار المشاركة من مملكة فرنسا واما الملك فرنسيس فكان لم يخلص من أسره بالكلية بل كان الخفر ملازمه في سائر الاوقات فكانوا يراعونه ويكرمونهم بوصف كونه صهرا للامبراطور وكانوا يحقرونه ويلاحظونه كل الملاحظة بوصف كونه اسيرا ومن ثم ادرك الحازمون من ارباب السياسة والفطنة ان تلك المحبة ليست صادقة ولا دوام لها حيث انها من مبدتها مشوبة بالفتن والحيانة

وبعد معنى شهرات المشاركة من مملكة فرنسا عليها اقرار الملكة لويورة ام الملك فرنسيس وكانت حينئذ نائبة عنه في المملكة ولحزم الملكة المذكورة أكثر في هذه الصورة المصلحة العامة على مصلحة نفسها حيث ارسلت تحبير ولدها فرنسيس بانها عواضعت ارسال الامراء الاثنى عشر المذكورين في المشاركة قد ارسلت الدوق دورليان واخاه الى البلاد اسبانيا لما رأته من ان المملكة لا تتوقف مصالحها على غيبة ولد صغير وتتعلل امورها وتبقى بدون من يقوم بحمايتها والذب عنها اذا غاب عنها الابطال والخترالات اولو الفضل والمهارة الذين عينهم الامبراطور في المشاركة لياخذهم عندهم هينة عوضا عن الدوق دورليان

مطلبه

اقرار المشاركة ببلاد
فرنسا

وبعد ذلك كله وقع الوداع بين الملك فرنسيس والامير اطورز وكانت وسوسته
 ذاتما في نمو وازدياد حتى انه لاجل تأكيد المشاركة اشترط شروطا جديدة
 وقبلها الملك فرنسيس بدون توقف وعطفا على الاولى ولا حاجة الى بيان
 ما لحق فرنسيس من المسرة والفرح حين خروجه من مدينة مدريد لانه
 غنى عن الوصف واتماي كفى التأمل فيما لحقه بتلك المدينة من الضنك
 والضييق فيعرف به مقدار كراهته لها ودرجة مروره حين خروجه منها
 ثم سافر فرنسيس ومعه جماعة من الخيالة تحفصه وكان رئيسهم الامير
 انسون فكان هذا الامير كلما قرب من اطراف مملكة فرانس يزاد
 النفاه وتنتبه للملك فرنسيس فلما وصل به الى نهر بيداسواه الفاصل
 بين مملكة فرانس وبلاد اسبانيا رأى على الشاطئ الآخر من هذا النهر
 الامير لوتريك ومعه جماعة من الخيالة تساوى في العدد بالجماعة التي معه
 وكان هناك سفينة خالية واقفة في وسط النهر فاصطف الجماعة امام بعضها
 على الشاطئ وتقدم الامير لانواي من شاطئ الاسبانين ومن معه
 ثمانية من البيكزادات وتقدم الامير لوتريك من شاطئ الفرنسيين
 ومعه ايضا ثمانية وكان الملك فرنسيس في سفينة لانواي وكان ابنه
 البكرى وابنه الثاني وهو دوق دورليان في سفينة لوتريك فتلاقى
 السفينتان عند السفينة الخالية فعند ذلك عانق فرنسيس ولديه ثم وثب
 من سفينة لانواي الى سفينة لوتريك وانتقل ولدا الى السفينة لانواي
 وافصل السفينتان حينئذ وتوجهت كل سفينة منهما الى حيث آتت فبعدد
 ان وصلت سفينة الملك فرنسيس الى شاطئ فرانس وثب منها طائرا
 من القرح وركب فرسان ركبا وركضه وهو يطوق يده فوق رأسه وصاح
 عدة مرات وهو يقول (ها أنا الآن ملك) ووصل في اقرب مدة الى مدينة
 سيجاندولوز ولم يستقر بها بل توجه الى مدينة يابونة وقد وافق حصول
 هذا الامر الذي كان يتناهى الفرنسيين كما كان يتناهى الملك نفسه الثامن عشر
 من شهر اذار بعد واقعة يابويا بسنة واثنين وعشرين يوما

سنة ١٥٢٦

مطلب

نزوح الایمراطور بالاميرة
ايرايه البورقغاليه

واما الایمراطور فجميز دان ودع الملك فرنسيس واذن باطلاقه فوجه الى
مدينة اشبيلية ليتزوج بالاميرة ايرايه بنت المتوفى ايمويل ملك
البورقغال واخذت الملك حنا الثالث الذي خلف ايمويل المذكور
في الحكم وكانت الاميرة المذكورة نادرة في جسها ذات جمال فائق
وبهاء رائق وكانت بكان من الفضل والمعارف وكان ارباب مشورة بملكة
قسطيله وبملكة اراغون منذ زمن طويل يحشون الایمراطور على الزواج
فلما اختارت تلك الاميرة ليتزوج بها وكانت من نخذ العائلة المالوكية الحاكمة
بمملكتي اراغون وقسطيله استحسن الرعايا رايه واستصوبوه وفرح
البورقغاليون كل القرح بتزوج الایمراطور لاميترهم وكان اعظم ملوك الافرنج
فاعطوها جهازا عظيما بساوى تسعمائة الف كورون (نوع من النقود تقدم
ذكره) وبالنظر لحالة الایمراطور اذ ذاك كان لهذا المبلغ موقع عظيم عنده فان فقد
النكاح وانتشرت المسمرات والافراح وعاش الایمراطور في ارض عيش
واحسن منوها وابدى لها ما لا مزيد عليه من المعزة والاکرام والتعظيم
والاحترام

مطلب

مصالح بلاد المانيا

ولما كان الایمراطور شارل كان مشغلا بهذه الامور في بلاد اسبانيا
كان لا يمكنه ان يلتفت حق الالتفات الى مصالح الایمراطورية الالمانية مع انها
وقتها كانت عمزة كل ممزق بما حدث فيها من الفتن والتعكيرات حتى كان يخشى
ان تنفض بها الى عواقب مشؤمه تضر بها كل الضرر لان القوانين الاترازية
والرسوم السيادة كانت اذ ذاك باقية على اصلها في تلك الایمراطورية فكانت
الاراضي والضباع ملكا للبارونيين وكانوا يعطونها لاتباعهم ويكلفونهم
بامور تشترتها النفوس وكان باقي الملة في حالة سيئة لافرق بينها وبين حالة
الرق والاستعباد حتى انه في بعض بلاد المانيا كان رماع الناس في استرقاق
شخصي ومتري بمعنى ان اشخاصهم ومنازلهم وما ملك ايمانهم ملان لساداتهم
وفي بعض بلاد اخرى منها لاسيما اقليم بوهيمية وهي جهة واطليم
لوراس كان الفلاحون تابعين لاراضي ساداتهم بمعنى انهم يعتدون في ضمن

مطلب

الحالة السيئة التي كان
عليها الفلاحون

الارض انما تلت بيع او غير ملتزم آخر وفي اقليم هوايه وغيره من الاقاليم
التي على شواطئ نهر الرين كان يجب على الفلاحين مع انهم في تلك البلاد
احسن حال من غيرهم ان يدفعوا الى ساداتهم وملتزمهم محصولات الاراضي
بتمامها بل وكافوا اذا اراد احد منهم أن يغير مسكنه او يحترف بمهنة اخرى غير
الزراعة والفلاحة لا يرخص له في ذلك الا اذا دفع لسيده او ملتزمه مبلغا معلوما
واما الفلاحون الذين كانت تعطى لهم بعض اراض فكانوا لا ينتفعون بها
الامدة حياتهم ولا تنتقل بعدهم الى ارض اخرى بل كان الملتزم يهدمهم الحق في
اخذ ماشاء من امتعتهم وأثاثهم وكان ورثتهم اذا ارادوا أن يقرروا في تلك
الاراضي دفعوا مغراما جسيما ومع ذلك كان الفلاحون لا يتشكون ولا يتظلمون
من هذه المظالم الكبيرة لانهم كانوا قد تعودوا عليها وتمكنت من طباعهم لكن لما
حصل التقدم في التمدن والرفاهية وتغيرت الاحوال وصارت الحروب تستلزم
مبالغ جسيمة اتسعت مصاريف الدول واضطر الملوك الى ضرب مغارم كبيرة على
رعاياهم لاسيما وكانت اغلب تلك المغارم على البوظة والبيذ وما شبههما مما تكثر
الحاجة اليه فضج الناس من ذلك حيث اشتدت ازمتهن وساءت حالتهن وكان
اهل السويدية قبل ذلك اى في القرن الرابع عشر قد سئموا من مثل
هذه المغارم فخرجوا عن الطاعة وابتغوا لانفسهم شجاعتهم الحرة التي يتمتعون
بها الآن وبذلك الاسباب خرج الفلاحون عن طاعة ساداتهم في عدة اقاليم
اخرى من بلاد المانيا في اواخر القرن الخامس عشر واول ثل القرن
السادس عشر ثم لم يترتب على عصيانهم ما ترتب على عصيان اهل السويدية
الا انه لم يكن اطفاء تلك القسنة الا مع مشاق كبيرة وسفك دماء كثيرة تفوق
على ما حصل في عصيان السويديين

مطلب
عصيان الفلاحين
في سوابه

ولكن بعد قمع الفلاحين في تلك المرة لم تفرهم منهم بل كانت آمالهم لم تزل متعلقة
باتخاذ انفسهم من الظلم والجور لاسيما وكان الظلم يتجدد كل يوم فعيل صبرهم
وهو بالعصيان ثانيا واولوا اسلحتهم وقد بلغ منهم الغضب منتهاه فانتشرت
في سنة ١٥٢٦ اعلام القسنة باقليم سوابه قريبا من مدينة اوله فبادر

سنة ١٥٢٦

الجم الفلاحون اقوا ايا فوا اجاس سائرا ملاد التي حولها لينهر وانك الفرصة
 وشقوا اقسامهم من المطالم الكبيرة التي هم بها في ضللك وكرية شديد منذ زمن
 طويل واسقل خبر هذه القسنة من اقليم الى آخر حتى انتشر في سائر بلاد
 المانيا وتغصب جميع الفلاحين تلك البلاد وصاروا يطوفون في البلاد
 الالمانية كالجائنين وكلما دخلوا بلدة نهبوا اديارها وكائناتها وخرّبوا اراضي
 الملتزمين وهدموا قصورهم وذبحوا من وقع تحت ايديهم منهم
 ولما طنوا انهم بهذه القسنة قد اوقعوا الخوف والرعب في قلوب الملتزمين والحكام
 الذين كانوا يظلمونهم اخذوا في السكون والهدوء وصاروا يجنون عن الوسائط
 التي يأمنون بها في المستقبل من المطالم والجور وتعدي الملتزمين والحكام
 فغزروا لهذا الغرض تقرر امشاجا على الامور التي يتظلمون منها وذكر وافيها
 انهم لا يقنون السلاح الا اذا انصفهم الاعيان طوعا او كرها في هذه الامور كلها
 وكان اعظمها هو طلبهم الحرية في شأن الخوريين بحيث يكون لهم حق
 انتخابهم وان لا يدفعوا الاعشار الا في محصولات القمح فقط وان لا يكونوا
 كالارقاء للملتزمين وان لا يساح لهم صيد البر والبحر كاصحاب الشرف فلا تكون
 الغابات والاجبات من خصوصيات الاشراف والملتزمين بل يكون
 لسائر الناس حق فيها وان يرفع عنهم ما حدث من المعارم وان تجتنب
 الاغراض في الحكم والقضاء ويناهل ديه عن الحالة التي هو عليها
 وان لا يفتن الملتزمون على الغيطان والخلوات وعلى حقوق الجمعيات
 البلدية

مطل.
 تسكن القسنة السابقة

ولاشك ان طلبهم لا غلب هذه الاشياء كان في محله وكان منهم جم غفير حاملا
 سلاحه حتى كانت حالتهم تقضي بانهم لا بد ان يفوزوا بطلبه ولكن كان هؤلاء
 الفلاحون لا ضبط ولا ربط عندهم ولا معرفة لهم فن الحرب وكانوا متمسكين
 عن بعضهم في عدة محال فكانوا في قتالهم خالين عن الانظام وكان رؤسائهم
 من رعايا الناس لا معرفة لهم فن الحرب ولا مجال لهم في الوسائط التي
 توصلهم الى مقاصدهم فلم يكن قتالهم الا بمحض الخسونة خالي عن الانظام

سنة ١٥٢٦

وحسن الترتيب فجمع اشرف سوابه واشراف البلاد التي على اسفل نهر
الرين اتباعهم وساروا للقضاء هؤلاء العصاة الذين كانوا يخربون الاقاليم
فجمعوا على بعض هؤلاء الفلاحين في السهول وانتصوا على البعض الآخر
في المحال التي كان كلناهم فافهمهم ومن قوهم كل عمزق وبددوا شملهم وبعد
أن خرب الفلاحون جميع البلاد الغير المحصنة وهلك منهم في القتال أكثر من
عشرين الف سار جعوا الى مساكنهم وهم في القنوط والياس لا يرجون فكأ كما
من شقوتهم وكروهم

وكان مبدء هذه الفتن في الاقاليم الالمانية التي كان مذهب لوتير لم يتمكن منها
كغيرها وحيث كانت اغراض الفلاحين من هذه الفتن سياسية محضة كما ترى
لم يتعرضوا الى شيء من الاحكام الدينية التي كان النزاع حاصل فيها اذ ذلك بين
لوتير والكنيسة الرومانية ولكن لما حصلت الفتن في البلاد التي كان مذهب
لوتير قد تمكن منها ازداد غضب اهل تلك البلاد حتى تجاوز الحد ودلن النسخ
الديني كان كلما دخل في بلدة يطبع الجسارة والمخاطرة في قلوب اهلها فتشوق
نفوسهم الى احداث او رجدة ولا تقترلهم همة ولا شك ان من تجاسر على
ابطال مذهب الكنيسة مع علوانه واحترامه لا يخشى صولة ولا يخاف بطشا
وذلك انهم لما كانوا يرون انفسهم حكما عدلا في المواد الدينية المهمة ونعودوا على
رفض ما ينظر لهم خطأ في الدين كان لا يصعب عليهم التعرض الى اصول
الحكومة وازالة ما يستحقونه منها ويرونه من قبيل الظلم والجور بل لجسارتهم
رأوا ان ذلك من حقوقهم لاسيما وكانوا قبل ذلك قد ازالوا مظالم الدين
واما استحقاقه فيه من غير ان يستعينوا بالاحكام المدنية فتقويت بذلك قلوبهم
حتى شرعوا في ازالة المظالم السياسية كما فعلوا بالمظالم الدينية

وبناء على ذلك لما ظهرت الفتن في اقليم طورنجه وكان عليه منتخب حكس
وكان اهلها قد تمسكوا بمذهب لوتير وتمكنت آراؤه من قلوبهم كل التمكن
صارت تلك الفتن كبيرة متهولة لم يسبق مثلها لاسيما وكان تومس مونسير احد
اصحاب لوتير مستوطنا بهذا الاقليم وصار له موقع عظيم في قلوب اهلها وكان

مطلب

النشئة الحاصلة في اقليم
طورنجه

مطلب

ازدياد الفتن الحاصلة
بالقليم طورنجه

سنة ١٥٢٦

قد طبع في عقولهم عقائد باطلة وآراء عاطلة لانهم كانت تستلزم الحث على
العصيان وايقاع الفتن حيث كان يعظمهم بقوله (اعلموا ان اضرار توتير
بالدين اكثر من فعله فانه وان اتخذ الكنيسة من مظالم البابايات ومفاسدهم
الان مذهبه يعين على فساد الاخلاق حسبما يشهد به لثما كد على المعاصي
والمحارم فينبغي للناس لاجل منع ذلك ان يسلكوا في معيشتهم مسالك التشف
والتحسن وان يكون الانسان على هدى وتقوى ملازما للتؤدة لا يتكلم الا بقدر
الحاجة ويلبس الملابس الخشنة ولا يمتك ولا يمزح ويراعى شعائر الزهد
والتشف في جميع اموره الطاهرة فغن فعل ذلك طهر قلبه وباطنه ورأى الله
معه اينما توجه وافاض عليه من بھار جوده وحلمه فاذا جرّده عن نعمته وهو
على تلك الحالة فله ان يث اليه الشكوى ويرجو وجهه الكريم في ابقاء ما وعده به
وازالة البؤس عنه فيقبل الله شكواه ويحقق رجاءه ويحفظه بقدرته كما حفظ
الانبياء السالقين وينبغي لسان نحافظ ونحذر كل الحذر حتى لا نستوجب
خطئه بذنوبنا وسي اعمالنا ونلننا لانفسنا لان الله سبحانه وتعالى قد خلق
الناس على حد سواء فيستوى عنده الغني والفقير والخلير والحقير فليرجع
الناس الى تلك الحالة التي هم عليها من اصل القطرة ولتكن جميع الاموال
والخيرات الموجودة في الكائنات مشتركة بينهم على سبيل الشيوخ لا يختص بها
انسان دون آخر وايه يشوا اخوانا مع بعضهم حتى لا يكون فيهم اعلا وادنى
انتهى كلامه

ثم ان هذا الكلام وان كان من بعض الوجوه من قبيل الهذيان الا انه يلام
الطباع البشرية ولذا كان له موقع عظيم في قلوبهم واثري في عقولهم كل التأثير
حتى انهم لم يصمموا على مجزئ حق الاشراف وخفض شوكتهم بل رأوا ذلك امرا
واهيلا لا يستحق ان يهتموا به فصمموا على ازالة درجات التفاوت في الجمعية حتى
يكون الناس جميعا على حد سواء وان يطلوا حق التملك على العقارات
والاراضي حتى يعود الناس الى ما كانوا عليه من المساوي من اصل القطرة
وتكون الاراضي مشتركة بينهم على وجه الشيوخ لا يختص احد بها دون آخر بل

سنة ١٥٢٦

كل انسان يستخرج منها ما يحتاج اليه من اسباب المعيشة وافهمهم مونسير
المتقدم ان الله سبحانه وتعالى يريد منهم ذلك حيث رأى في المنام انه جل وعلا
وعده بالنجاح والظفر فعند ذلك زاد تصميم الفلاحين على مقصدهم وابوا
الاتيمه وتبخره وكان هنالك بنون بعيدين حيتهم وحية الفلاحين الذين عصوا
في بلاد اخرى من الاميراطورية الالمانية حيث كانت حيتهم ناشئة عن قواع
ديني فعزلوا القضاة والحكام في سائر المدن التي تغلبوا عليها واستولوا على
اراضي الاشراف وجبروا من وقع في ايديهم من هؤلاء الاشراف والمترمين
على ان يلبسوا ملابس الفلاحين ويتناولوا عن جميع خصوصياتهم ومن اياهم
والقيام ويكتفوا من الالقاب بما كان يقال ان ذلك البقية الاها الى فكنت ترى
من كل جهة افواجا من الناس يادرون الى الدخول في هذا القتال
الان مونسير الذي كان كاهنهم وقائد كاتهم لم يكن مستكملا للشروط
اللازمة لمن حقه القيام بقيادة العساكر والرياسة عليهم فم انه كان جامعا
لضلات اهل البدع وخزعبلاتهم لكنه لم يكن موصوفا بشجاعتهم وثبات قلوبهم
وعصر عليهم ان يفهموه انه لا بد من البروز الى الاعداء ومحاربتهم فلم يزل
في تردد واهمال حتى احاطت به فرقة من الخيالة يقودها الامير منتخب سكس
والامير حاكم هيسة والامير دوق برواويك مع ان عساكره كانوا ثمانية
آلاف ولكن حيث كان هؤلاء الامراء الثلاثة لا يرون عليهم سفك دماء
رعياهم لكونهم لم يعرجوا عن الطاعة من تلقاء انفسهم بل اغراهم على ذلك
وجعل لا عقل له بعثوا اليهم احدا اليكزادات بعرض عليهم انهم ان القوا السلاح
وقبضوا على من كان سببا في القسنة عني عنهم فلما عرض عليهم ذلك ووقف عليه
مونسير فزع كل الفرع واخذ يعظهم مع الجماعة التي هي عادته في الوعظ
ان لا يصفوا الى قول هؤلاء النخلة الجبارين وان لا يجمعوا عن شئ اراده الله
وبه تكون نجاة الله النصرانية وثبت حريتها

ولكن خوف هؤلاء الفلاحين من الاخطار التي كانت قريبة الوقوع بهم
أثرفهم اكثر من قارع وعظ مونسير وتصبح يانه فيمينا كانوا يترددون

سنة ١٥٢٦

١٥ من شهر اذار

في هذا المشروع ولا يستطيعون الاقدام عليه اذ سطع في السماء قوس من التور
كان قد رسم الفلاحون المذكورون صورته على يارقهم فاعان ذلك مونسير
على احياء قلوبهم حيث دفع يديه ورأسه حالاً الى السماء قائلاً باعلى صوته
هاهي العلامة القاطعة التي اظهرها الله لنا كي نطمئن وتحقق انه خصنا
بالنصر على اعدائنا وانهم هم المغلوبون الاشقياء فعند ذلك صاح الفلاحون
فرحاً وسروراً حتى كأن النصر ثبت لهم لا محالة وقتلوا الامير الذي أتى اليهم
بالعقوف من طرف الامراء وطلبوا التوجه الى الاعداء فغضب الامراء
والاشراف من ذلك حيث انه يخالف لقوانين الحرب ورسومه وبعد أن اخبروهم
بانهم قادمون عليهم ساروا للقائهم ولكن لم يظهر الفلاحون في هذا الحرب من
الشجاعة والحية ما كان يظن بهم حيث لم يمكنهم لعدم معرفتهم بالعسكرية
ان يقاوموا عساكر الامراء والاشراف الذين هم متعودون على الحروب ولهم
في العسكرية باع طويل ودراية عظيمة فقتل منهم في ميدان الحرب اكثر من
خمسة آلاف وقر الباقى وقسنت شمل جيش الفلاحين وهرب رئيسهم مونسير
أمامهم وقبض عليه في اليوم الثاني من الواقعة وحكم عليه بالقتل فقتل وهو
يهدى من امور الجبن مادنته واورثه الخزي والعار وبعد موته سكن الفلاحون
وانقطعت الفتنة التي كانت بها بلاد المانيا في فزع عظيم وانقلاب ورعب
واضطراب غير ان ما نشره مونسير بين الناس من الاوهام الباطلة لم يزل
باقياً على حاله حتى نشأ عنه فيما بعد امور اكبر واشهر من هذه الامور
السابقة

وفي انشاء هذه الفتنة كان لوتير يسلك في اموره مسلك الحزم والحذق فكان
يشق عليه حصول تلك الفتنة التي هي مصائب للتصاري الدين كان يعتبرهم
كعائلة واحدة وهو ابوها فاختد بر ما يكون به اصلاح حال الفريقين فبين
للإشراف والامراء ان ظلمهم هو الداعي لقيام الفلاحين وبين للفلاحين انهم
قد اخطأوا في قياسهم وخروجهم عن الطاعة وذلك انه كتب الى الاشراف
بقسم عليهم بالله ان يعلموا رعاياهم بما تقتضيه المروءة والشفقة ولين الجانب

مطلب
خرم لوتير وحذقه

سنة ١٥٢٦

وان يتروا منظر المم المعتادة وكتب الى الفلاحين يعظهم ان يصبروا لقضاء الله تعالى ولا يصبروا مما ابتلاهم به وان يعملوا المشاق التي هم بها تحمل الصابرين وانهم ان يجنحوا عما يكون به خلاصهم واتخاذا انفسهم من هذه المشاق فليكن ذلك بمقتضى القوانين والاحكام ولا يعدلون عن سنن الشريعة

وفي تلك السنة تزوج لوتير بامرأة عابدة راهبة يقال لها كاترينة بورية وهي من عائلة عريقة في الحسب والنسب كانت رفضت الرهبانية وفرت من الدير وقد حصل التوقف في اقرار هذا الزواج فكان اعداء لوتير يعدون هذا النكاح من قبيل الزنا والفواحش المناهضة للدين والشريعة وكان احبابه واهرابه يرون انه لا يليق منه ذلك في زمن كانت مصائب وطنه فيه شتى فأدرك لوتير ان هذا النكاح قد اغضب الناس الا انه لما كانت عادته التحمل والصبر صبر على لوم اهرا به وقدح اعدائه

هذا وقد مات ايضا في تلك السنة الامير فريدريك متعجب سكران الذي كان يدافع عن مذهب لوتير ويحمي جاء الا انه خلفه اخوه الامير حنّا وكان دأما مسارة وجسارة فتظاهر بحماية مذهب لوتير واخذ يعضده بالدليل والقوة ثم لم يكن في المعارف مثل اخيه الا انه كان اعظم منه جسارة وبأسا

• من شهر ايار

وقد حصل ايضا ليلاد المانيا في اثناء ذلك الزمن حادثة عظيمة جديدة بالبحث عن اسبابها واصولها وحاصلها انه بينما كانت عقول الافرنج في اضطراب مدة القرن الثاني عشر والثالث عشر بسبب تولعهم بالحروب الصليبية اذ ترتبت عدة طوائف دينية شوارية كان الغرض من ترتيبها حماية دين النصرانية من الاسلام وكان من اشهر هذه الطوائف الطائفة التوتونيقية التي ترتبت في بلاد المانيا وكان رجال تلك الطائفة قد امتازوا كل الامتياز في جميع مشروعاتهم وغزواتهم في اخذ ارض القدس فلما طردوا فيها بعد من الاراضي التي كانت لهم ليلاد المشرق جبروا على

سنة ١٥٢٦

مطلب

اخذ اقليم البروسيا من
الطائفة التونيقية

العود الى اوطانهم لكنهم لشجاعتهم وجيئتهم انفت نفوسهم ان يمشوا زمنا طويلا
بدون غزوات وحروب فتعلوا بالامور واهية غير مقبولة وتقلبوا على اقليم
البروسيا وكان اهل الى ذلك الوقت جاهلية لم يدخلوا في النصرانية فبعد
أن استولوا عليه بتمامه في اثناء القرن الثالث عشر مـ كت بايديهم عدة
سنوات بوصف كونه التزاما تابعا لتاج بولونيا وهي بلاد له وفي اثناء
تلك المدة حصلت منازعات شديدة بين رؤساء الطائفة المذكورة
وملوك له حيث كان الرؤساء يطلبون الاستقلال وملوك له يمانعون
عن حقوقهم ويحافظون على ابقاء اقليم البروسيا تابعا لهم وكان
من جملة هؤلاء الرؤساء الامير البرطه وهو امير من عائلة برندبورغ جعل
رئيسا على تلك الطائفة سنة ١٥١١ وكان له مدخل عظيم في هذه
المنازعات حتى حصل حرب طويلة بينه وبين ملك له المسيحي سيجموند
الان هذا الامير كان على مذهب لوتير فتلاشت رغبته في تحصيل مصلحة
طائفته شيئا فشيئا فلما وقعت الفتنة في الاميراطورية وغاب عنها الاميراطور انترز
هذا الامير تلك الفرصة وعقد مشارطة مع الملك سيجموند ولم يراع فيها
الامصلحة نفسه وبموجب هذه المشارطة اتفق على أن ما كان للطائفة
التونيقية من اقليم البروسيا يصير دوقية وراثية ويعطى للامير البرطه
بشرط ان يكون على تبعية ملوك له وبعد عقد هذه المشارطة امر البرطه
اهل اقليمه كافة ان يتحدوا بالدين الجديد ويتبعوا مذهب لوتير فتزوج باميرة
من بلاد دانيماركة فتشكى اهل الطائفة التونيقية من افعاله المنكرة
وخبائسه المنشرة حتى انه نفى من الاميراطورية الالمانية لكن لم يرل الاقليم
المتقدم يده حتى انتقل بالوراثة الى ذريته ثم انتقل فيما بعد الى فرع مخصوص
من عائلته يقال له الفرع الانتخابي وخرج هذا الفرع عن طاعة ملوك له
وصار مستقلا بنفسه غير تابع لتلك الملكة وحكم امراء عائلة برندبورغ
اقليم البروسيا بوصف كونهم ملوكا مستقلين وصاروا من اعظم امراء
المانيا بل وعدوا من اكبر ملوك بلاد الافرنج

الاحتراسات التي اتخذها
ملك فرنسا حين رجوعه
الى مملكته

ولما رجع الملك فرنسيس الى مملكته صار مطمح نظر ملوك الافريج والتفوق الى
حركاته واطواره كي يعلموا ما سيفعله فيما بعد فلم يمكنوا على ذلك زمنا طويلا حتى
عرفوا ما كان يصممه وذلك انه يجهز دوصونه الى مدينة بايوننة كتب الى هنري
ملك انكلترا يشكره على صنيعه معه واعادته له في مدة محبته واعترف بان له
الفضل والمنة عليه في انقاذه من الاسر وفي اليوم الثاني من وصوله الى تلك
المدينة دخل عليه رسل الایمراطور وطلبوا منه أن يأمر بما هو لازم في اجراء
ما تضمنته المشاركة المتعقدة بمدينة مدريد فاجابهم فرنسيس مع
عدم الاكتراث بانه مصمم على تضييما تعهده بحرقا بحرف ولكن في تلك
المشاركة بنود كثيرة لا تتعلق به وحده بل تتعلق ايضا بالملكة الفرنسية
ولا يمكنه انهاء شيء في شأنها الا بعد رضا مشورة وكلاء المملكة وقال لهم
ايضا انه يلزم لذلك مدة طويلة حتى يمكنه ان يتصبل على الاهالي ويستجملهم
الى قبول الشروط الصعبة التي وقع الاتفاق عليها بينه وبين الایمراطور وبهذا
الجواب ظهر انه مصمم على المحاولة في اجراء ما تضمنته المشاركة وظهر
ان قصده من اداء الشكر الى ملك انكلترا انما هو استمالته الى حزبه ليعينه
في الحرب الذي سيحصل بينه وبين الایمراطور لعدم عمله بمقتضى المشاركة
المتعقدة بينهم بمدينة مدريد وزيادة على ذلك كان فرنسيس يكتب سرا
وزرؤاء اغلب ملوك ايطاليا ويخبرهم انه مصمم على ان لا يعمل بمقتضى
المشاركة فلم ارباب السياسة من اهل ذلك العصر انهم لم يخطئوا فيما فهموه
من حاله او لامن انه انما رضى بما تضمنته تلك المشاركة لينفذ نفسه من الامر
لاخبره وانه مصمم في الباطن على أن لا يوفي بما حثت انفضح لهم انه لا يريد تضيي
ما ذكر في المشاركة وانما ينتظر فرصة ينقم فيها من الایمراطور في ظنير
الامور السيئة التي حملته على اظهار قبول تلك المشاركة هذا ولا يخفى ان البابا
كليمان وان كان من دأبه التسكامل والتمول الا انه خالف في تلك المرة عادته حيث
اظهر الميل الى حزب الملك فرنسيس وذلك ان هذا الملك لما اظهر انه مصمم
على نقض ما حصل الاتفاق عليه بينه وبين الایمراطور قوى قلب البابا

سنة ١٥٢٦

المدكور حتى كان لا يخشى للامبراطور بأسا لاسيا وكانت حالة ايطاليا
اذ ذال الانسوخ لهذا البابا أن يضع زمنا طويلا في هذا النصوص
وذلك ان الامير سفورس كان يحصره عساكر الامبراطور في قلعة ميلان
وحيل بينه وبين الامير مورون الذي كان يقوى قلبه ويرشده اليه ما ينبغي فعله
وزيادة على ذلك كان الامير سفورس في كرب شديد حيث لم يتبق له وسيلة
في المداخلة فكتب الى البابا واهل البنادقة يخبرهم انه سيلم عن قريب
ان لم يسعفه بمديد تعين به هذا وكان عساكر الامبراطور منذ واقعة بادوا
باقين في دوقية ميلان يعيشون من اموال اهلها لانهم كانوا الى ذلك الوقت
لم تنصرف لهم ماهياتهم فكانوا يأخذون في كل يوم خمسة آلاف دوقية كما ذكره
المؤلف غياردن وكان من المهزوم به ان هؤلاء العساكر بعد تسليم قلعة
ميلان لا يستطيعون الاقامة في الدوقية المذكورة حيث انها اقتربت
بسبب الحرب بحيث صارت لا تفي بمقتهم بل ينتقلون الى بلاد البابا وبلاد
البنادقة ويستوطنون بها لانها كانت الى ذلك الوقت ذات ثروة لم تلحقها
مصائب الحرب ومضاره وبناء على ذلك كان يدون اعانه ملك فرنسا لا يمكن
اقتضاد الامير سفورس ودوقية ميلان من عساكر الامبراطور ومظالمهم
الشديدة

مطلب
العصبة المتحزبة على
الامبراطور

فلهمه الاسباب دى البابا واهل البنادقة والامير دوق ميلان انه لا بد
من المعاهدة مع ملك فرنسا وكان هذا الملك ايضا يرغب في المعاهدة
معهم لتقوى شوكة وصولته ويكون له اقتدار على مقاومة عدوه وبناء
على ذلك انقضت المشاورة بينهم بمدينة كونيافة في اليوم الحادى
والعشرين من شهر ايار ومكنت تلك المشاورة مدة لا يعلمها احدونودها
الاصلية هي ان يكره الامبراطور على اطلاق ولدى ملك فرنسا وبأخذ
في غذائهما المبلغ اللازم ويكره ايضا على اعطاء دوقية ميلان للامير
سفورس واتفق المتعاهدون على انه ان أبى الامبراطور قبول هذين الامرين
يوجهون الى دوقية ميلان جيشا قدره خمسة وثلاثون الفا وبعد اخذ هذه

سنة ١٥٢٦

الدوقية وطرد الاسبانوليين منها بنوح الجيش المذكور الى الاغارة على
مملكة نابلي وصي ملكا انكلترة حامي العصبة وسميت هذه العصبة
بالعصبة المقدسة لان البابا كان رئيسها ولاجل استتالة الملك هنري وربطه مع
تلك العصبة باسباب اكد من ذلك انخط الرأى على أن يعطى له في مملكة نابلي
اقل من ابراده السنوي ثلاثون الف الفدقات ويعطى لوزيره ولسى من
الاراضي حصصا يكون ايرادها في السنة عشرة آلاف دوقية

وبمجرد انعقاد تلك المشاركة ووضع القرار على ما صدر حكم من البابا بمرامة
الملك فرنسيس من اليمين التي حلفها ان يعمل على مقتضى المشاركة المنعقدة
بمدينة مدريد ولاشك ان هذا الامر الذي يدعى البابا ان من حقوقهم
لكونهم خلفاء المسيح على ملته وعصمتهم عن الخطا محل باصول الديانة وخلوص
الخدمة المبني عليه المعاملات البشرية فلما رأى الناس ان البابا له جراءة على
ان يحكمهم بنقض مثل تلك العقود والالزامات التي توجب الاصول المربعة
احترامها والعمل بمقتضاها وانه مهما اراد شيا حكم به وان لم يوافق اصول دين
النصرانية اعتقدوا لكثرة تلك الاحكام وما فيها من المصلحة للصالحين
واخذهم اياها قضية مسلمة ان له ان يحلل امورا ترى في حد ذاتها من قبيل
المحظورات ويقر ما هو من حيز المنكرات

ولما علم الامبراطور ان الملك فرنسيس معمم على المحاولة في المشاركة
المنعقدة بمدينة مدريد لحقه من ذلك غم شديد وواردت على فكره امور
شني وتأنف على كونه اساء معاملته مدة اسره واستوجب لنفسه اللوم
والتشجيع لاسيما وقد ظهر طمعه بموجب المداولات التي حصلت بينه وبين
فرنسيس حين كان في قبضته فلم ان سائر دواوين ممالك اوربوا تكثرت من
توبيخه واللوم عليه ولم يعد عليه من ذلك ثمرة حتى يعذره اهل السياسة في ذلك
العصر وروا ان تشديده كان لقصد مصلحة او ثمرة تعود عليه فيقاولوا من اللوم
الا انه كان يرى ان فرنسيس قد خلص من يده ولم يظفر بشئ من الفوائد
التي قصد هاسن اطلاقه وتحلية ميده فندم كل الندم حيث اعتمد على قول هذا

مطلب

حكم البابا بمرامة الملك
فرنسيس من اليمين التي
حلفها أن يعمل بمقتضى
المشاركة المنعقدة بمدينة

مدريد

مطلب

تأنف الامبراطور

سنة ١٥٢٦

الملك وخلي سبيله مع ان عقلاء ورآه اشاروا عليه بخلاف ذلك وعلم انه قد اخطأ في تدبيره حيث اطلقه قصد منع عصبة تحدث فلم يجد ما يبره فعلم بل رأى ان العصبة لا بد من وقوعها وان فرنسيس يكون مشربها وهو عدوه الا كبر فكأنما خلى سبيله ليقوى به عضد المتعصين وبالجملة فكان الامبراطور في ندم عظيم على ما فرط منه وفي قلق وحيرة كبيرة مما سيقع الا انه كان من دأبه العزم والحزم وعدم العدول عما صمم عليه فرأى انه ان عدل عن شيء مما تضمنته مشاركة مدريد فكأنه اطهر العجز والخوف وهذا لا يليق بمقامه فصمم على التشديد في اجراء مشاركة مدريد وعدم التساهل في شيء منها وقصد الامهال لا الاهمال ولو حصل ما حصل خصوصاً اردد وقية بورغونيا اليه فانه لا يرجع عن ذلك ولو اعطى خزان الدنيا وكنوزها

ولما صمم على ذلك بعث الامير لنواي والامير الرسون رسولين الى مملكة فرنسا يطلبان من فرنسيس ان يعمل بمقتضى ما تضمنته المشاركة حيث ان الكذب والاخلاق لا يليق بالولاء او يعود الى مدينة مدريد ليقم بها اسيراً كما كان حسبما التزم به فلم يجيبهما الملك فرنسيس بشيء وانما جمع وكلاء اقليم بورغونيا امامه بمحضرتهما وسألهم في هذا المعنى فأجابوه مع الادب والوفاء رانه قد تعدى طوره من حيث كونه ملك فرنسا اذ وعد الامبراطور ان يرد اليه هذا الاقليم مع انه حالف اهل قبل ذلك ان يقيه معه على ما هو عليه وان لا ينقطع فيه ابدًا فتمسك بهم الملك فرنسيس على رغبتهم في حفظ حقوقه والتسليم منهم بدون تشديد أن يراعوا الشروط التي اتفق عليها مع الامبراطور وبوجهها يجب عليه ان يسلم اليه اقليم بورغونيا فعند ذلك اطهر وانهم لا يطيعون له امر الخائفين لاصول المملكة وقوانينها وانه اذا جئهم الى تسليم اقليمهم للامبراطور يذفعون عن وطنهم باقتسام او يملكون ولا يدخلون تحت حكم ملك اجنبي فلما سمع ذلك منهم التفت الى رسولي الامبراطور وقال لهم ما لي لا يمكنني التسليم بوجه من الوجوه في اقليم بورغونيا وحيث كان كذلك فاقوم بدفع مليونين من الريالات للامبراطور ولكن لما ادركت رسولا

مطلب

طلب الامبراطور من الملك
فرنسيس أن يعمل بمقتضى
المشاركة

مطلب

جواب فرنسيس للرسولين
المبعوثين من طرف
الامبراطور

سنة ١٥٤٦

الايمبراطور ان ما قاله الوكلاء متواطئون عليه مع الملك قبل ذلك افادوه ان سيدهما اعني الايمبراطور مصمم على ان لا يتساهل في شيء قل اوجب على ما اشتقت عليه المشاركة وخربا لوقتهما وقبل سفرهما من مملكة فرنسا اقشرت الاخبار بالعصبة المقدسة المتخربة على الايمبراطور

ولما وقف الايمبراطور على خبر انشاء تلك العصبة استعد بما في وسعه وشنع على الملك فرنسيس قائلا انه ملك كذاب لا عرض له وتظلم ايضا من البابا كايان وسعى في ترغيبه والبعد عن تلك العصبة فأبى فرماه الايمبراطور بالخيانة والغدر والطمع الفاحش الذي لا يليق بمقامه من حيث كونه ابانصارى كافة ولم يقتصر على تهديده وتخويفه بانظما للحقده والتصميم على الانتقام منه بل امر بعقد مشورة قبيحة عامة لهذا الغرض فاودع في قلب البابا كايان الرعب والخوف حيث ان بابا رومة كانوا يحشون بأس هذا المشاور القبيحة ومع ذلك قد رأى الايمبراطور ان التهديد واللوم لا يكفيان في مثل هذه الصورة ولا يحميانه من العصبة الكبيرة المتخربة عليه فابدى امره ان يحب منه الخاص والعام حيث ارسل عساكر جديدة الى بلاد ايطاليا وبعث من الاموال مبالغ جسيمة واما المتعاهدون اى ارباب العصبة فكانت همهم في هذا الحرب دون ما كان يترأى من حيثهم حين تعاهدوا مع بعضهم ودخلوا في العصبة المقدسة فكان يظن ان الملك فرنسيس يذل غاية جهده لئلا يسي به بقية ارباب العصبة لان هزيمته في واقعة باويا كانت قد حطت بمقامه وازرت بشرفه فلا بد وان يذل جهده فيما به يرقى الى مقامه الاول بين ملوك الافرنج لاسيما وكان الايمبراطور شريكاً قداساً معاملته وفضل معه امورا كثيرة تفر منها النفوس فكان يظن ان ذلك يحمله على انه ينتهز من تلك العصبة فرصة عظيمة وينتقم من عدوه حق الانتقام وزيادة على تلك الاسباب كان الملك فرنسيس ذا حدة جبلية وحجة طبيعية فظن الناس ان هذا الحرب يـكون اقـطـع من الحروب التي حصلت من قبل بينه وبين الايمبراطور ولكن لم يتحقق ظنهم لان الشدايد والكروب التي كلبها الملك

مطلب
تأهب الايمبراطور للعرب

مطلب
ضعف همه المتعاهدين

سنة ١٥٢٦

فرنسيس كانت قد انطبعت في نفسه وعكنت منه حتى كان لا يأمن من الدهر
وصرو فبل ولا يأمن من نفسه على نفسه فكان يأبى أن يرغب الا في الراحة
والصلح وزلزال احوال الحرب وشدة آتده وكان غاية مراعاة أن يدفع الى الامبراطور
مبلغا من الدراهم ليطلق له ولديه ويقطع النظر عن اقليم بورغونيا ولويس له
الامبراطور في هذين الامرين لما التفت الى اعانة الامير سفورس ولا الى اثبات
حرية بلاد ايطاليا حتى أنه لم يكن قصده من تلك العصبة الا اتباع الخوف
والرعب في قلب الامبراطور فيرضى بما يعرضه عليه فيما بعد من الشروط المقبولة
الصحيحة لاسيما وكان اهل العصبة بمنزلة رغبت في مصالح نفسه ولا يبقى بوعده فخشي
أنه اذا ارسل جيشا من عنده لتقاذد دوقية ميلان وهزم جيشه عساكر
الامبراطور وطردهم من هذه الدوقية بقتل عنه اهل العصبة وبصير فريدا
فلا يعود عليه من سعيه الثمرة المقصودة له ولترجع الى حصار قلعة ميلان
فتقول ان عساكر الامبراطور قد دوا على اى الحصار كل التشديد حتى لم يبق
للامير سفورس حيلة ولا وسيلة وكان اهل ابتداء والبايا ينظرون الى الملك
فرنسيس يبعثهم اتم الاعانة فوجه وعساكرهم الى ميلان ليعينوا الامير
سفورس وكان اهل ميلان يحبون سفورس لانه من عائلتهم الحاكمة
ويغضون عساكر الامبراطور لما فعلوه معهم من الامور الفاحشة والمظالم
التي تشغل النفوس فصمموا على اعانة المتعصبين في مشروعاتهم الان جبرالمهم
الدوق اوربان كان يغض عائلة ميديسيس من قديم الزمان فابت نفسه
ان يفعل شيئا يكون به ازدياد شوكة البابا كايان اويذبت له به الفخار لان هذا
البابا كان من العائلة المذكورة فكم لاحترص واوقات يسهل بهما شن الفارة
على عساكر الامبراطور والطفر بهم فتغافل عنها هذا الجبرال قصدا لانه كان
من دأبه التردد والترأخي

٢٤ من شهر غوز

وبسبب هذا التراخي والامهال امكن للامير الدوق دي بوربون أن يجهر
عساكر جديدة لتعينه وحصل المبالغ التي كان يحتاج اليها وبعد ذلك صف
جيشه وشدد في الحصار حتى اضطر الامير سفورس الى تسليم القلعة وفتر هاربا

سنة ١٥٢٦

الى مدينة لوديه وكانت يابدي ارباب العصبه وبعد هروبه بقي الدوق دى
بوربون حاكما فى دوقية ميلان لان الايمبراطور كان وعده بتوليته عليها
كأن تقدم

فعند ذلك ادرك اهل ايطاليا ان معاهدة الملك فرنسيس معهم ليست
الامن باب المخادعة ورأوا أنه قد تلاعب بقولهم وان كانوا مشهورين اذ ذلك
بالخزم فى الامور السياسية بل كانوا يظنون انهم مختصون بذلك لا يشركهم
فيه احد وذلك ان الملك فرنسيس كان الى ذلك الوقت قد حطم اقال الحرب
واناطهم بازماته وشداؤه واغتم فرمة ما بذلوه من مجاهداتهم حيث عرض
على ديوان مدريد أن يطلق له ولديه نظامه أن الايمبراطور لرعبه وخوفه
من العصبه يصطليح معه على شروط غير الشروط المذكورة فى مشاركة مدريد
المتقدم ذكرها فشنع البابا واهل البنادقة على الملك فرنسيس فى نظير
هذه الامور ووجهوا اليه اللوم والتوبيخ عساه يتجنب الاهمال ويبادر بانجاعتهم
على عدوهم فلما لم ينفع معه تحريضهم ولا توبيخهم قرت همهم بالتدريج حتى
صاروا منه وتأمف البابا كليان كل التأسف واشهد على نفسه انه قليل الخزم
والادارة وعاد الى ما فطر عليه من التردد والخول

واما الايمبراطور فانه لما كانت اموره كالمصادرة عن نفسه كانت احكم واتقن
من اموره أعدائه وكانت تزداد احكاما واتقانا لو كانت ايراداته اذ ذلك تكفيه
حق الكفاية الا انه استعان فى ذلك بالذسائس والسياسة وذلك ان العائلة
الكولونية التى هى اقوى عشائر رومة واعظمهم شوكة وصولة كانت من
حزب الجبلين اى الحزب الايمبراطورى فى مدة المناجرات الطويلة التى وقعت
بين البابا والايمبراطور ومكنت نيرانها مضطربة بين الفريقين عدة قرون كاملة
وفشأ عنها تكبير بلاد ايطاليا والايمبراطورية الالمانية وكانت الاسباب التى
اوجبت هذا الشقاق قد زالت بالكلية ولم يبق لها اثر الا ان العائلة الكولونية
كانت لم تزل تميل الى الايمبراطور وترغب فى رواج مصالحه لانها كانت ترى
انها ما دامت تحت حماية الايمبراطور تكون آمنة على اراضيها ورمياها الاسيا

مطلب
بحيرة اهالى بلاد ايطاليا

مطلب
الاحتراسات التى صدرت
من طرف الايمبراطور

سنة ١٥٢٦

وكان كبير هذه العائلة اذ ذاك هو الكريستال بومبه كولون وكان رجلا طماعا ماهرًا معروفًا بآفاق الفتن والدسائس وكان من قبل ذلك العهد عدواً مبدئياً للبابا كليمان وذلك انه كان يطمع في منصب البابا وتوجب الى الامبراطور رجاء انه يعينه على نيل هذا المنصب ويؤثره على كليمان فلما خاب امله نسب عدم نجاحه الى كليمان ودسائسه فخذ عليه من ذلك الوقت وان كان لم يظهر ذلك حتى انه كان من جملة من انحط رأيهم على تولية كليمان بل لاجل اخفاء ما في ضميره بالسلكية اخذه وظيفة عند البابا كليمان المذكور واستخدم في ديوانه لكنه كان في الباطن يود فرصة تعينه على الانتقام منه * وكان الامبراطور قد ارسل الامير هوغو منونكاد الى رومة بوظيفة الجلي وكان هذا الامير يعرف ما قلب بومبه كولون من البغضة للبابا كليمان فلما ارسل البابا عساكره الى بلاد لنبردية وبقيت رومة بدون خفر اخذ الالجي المذكور يفسد الامير بومبه كولون ان هذا الوقت يعينه على الانتقام لنفسه من البابا وانه بذلك تزداد محبة الامبراطور اياه فقبل منه بومبه ذلك وصمم على ان يوقع قسنة تغضى بالبابا الى الانحطاط غير ان هذا البابا لوسوته كان لا يفضل ابداع حركات اعدائه واطوارهم فادرل قصد همام من بدء الامر واحضر عنده طايفة كبيرة من العساكر خباب امل الامير بومبه كولون وفسد تدبيره الا ان الالجي هوغو منونكاد لحزمه وسياسته عرف كيف يشاغل البابا ويستولي على عقله بمواعيد المزخرفة واطهار العداقة حتى انه ازال ما قبله من التهمة وسوء الظن ومنعه أن يحتس بالاحتراسات اللازمة لامنه وبذلك اسكن للامير بومبه كولون مع ثلاثة آلاف رجل أن يتقلب على احد ابواب رومة وكان البابا اذ ذاك في أمن واطمئنان ويرى انه لا تصعب عليه مقاومة هذا العدو فكسبه ذلك من المعرفة ما لا مزيد عليه حيث كان ذا قوة عظيمة وشوكة كبيرة وكان مشهوراً بالسياسة والكياسة وكان الرومانيون لا يخشون اذى من عساكر بومبه كولون فتركهم يدخلون رومة ولم يعترضوا المنعهم فلم تضر مدة سيرة الا وتشتت خفر البابا كليمان بل فر هو

٢٩ من شهر ايلول

ايضا لما اخذه من العرب ورأى ان كل الناس قد تخلوا عنه وذهب الى قلعة
سنتج وهو يتصر على عدم احترامه وعلى اعتماده على ما لا يعتمد عليه فاقام
الاعداء حصارها فورا ووقع النهب والسلب في قصر واتسكان وكنيسة
مارت بطرس ويوت وزرا البابا وابعاه واما بقية المدينة فلم يلحقها اذى
ضرر ولا ألم يكن عنده ما يقدر به على المدافعة عن نفسه بل ولا ما يتقوت به
اضطر الى التماس السلم بعد مدة قليلة ودخل الالجي هو غس مونكاد
قلعة سنتج وهو في ابهة الغالين والزمه بشروط صعبة فلم يملكه ردها
ولامناقضتها وكان اعظم هذه الشروط ان البابا يعفو عن العائلة الكولونية
واخراجهما ينظر اليها بين الرضا والاعتبار وان يحصل بدون تراخ عن جيش
المتعاهدين المتعصين على الامبراطور جميع العساكر الذين كان ارسلهم
من طرفه

وكان قصد العائلة الكولونية ان تعزل البابا وتولى بدله على الكنيسة الرومانية
قريها بومبه كولون فتظلمت من هذه المناورة حيث تجعلهم في قبضة
البابا تصرف فيهم كيف يشاء لكن كان قصد الالجي هو غس مونكاد مجرد
مصلحة سيده الامبراطور فلم يلتفت الى شكوى تلك العائلة لانه بلغ قصوده
من ايقاع الفشل والشقاق بين المتعاهدين وتشتيت قواهم

وبنجا كان جيش المتعاهدين يضمه فويل عدده في ذلك الوقت بسبب انفصال
عساكر البابا عنه اذ اتي الى جيش الامبراطور طائفتان عظيمتان احدهما
طاقتة تبلغ ستة آلاف رجل آتت من اسبانيا وكان عليها رئيسان وهما
الامير لانواي والامير ارسون والطاقتة الاخرى آتت من بلاد المانيا
وكان رئيسها جرجي فروندسبرغ وهو امير الماني شهد حروب ايطاليا
وكان له فيها شهرة عظيمة وصار له حظوة ونفوذ كلمة بين ابناء وطنه حتى انهم
في هذا الوقت كانوا يأتون اليه افواجا ويدخلون تحت الويتة لينقذوا انفسهم
من جور الكنيسة والمظالم الدينية فاجتمع عنده من العساكر اربعة عشر
الف الكل فاحد منهم ايكو (ريال) لاغير وانضم اليهم الفان من الخيالة جميعهم

• طلب •

تغلب حزب العائلة
لكولونية على مدينة رومة

• طلب •

از ياد جيش الامبراطور

الامير فرد بنده من بلاد اوستروسيا ذكرت عساكر الاميراطور لكنه لم يكن عنده ما يكفيهم من الصاري ف وذلك ان اراد انه المعتادة كانت قد نفذت وكانت التجارة انذاك لم تتسع دائرتها فلم تكن كلمة الملولة نافذة كل النفوذ بالنسبة للاقتراض والاخذ والعطاء ونحو ذلك وطالما تعجل الاميراطور على مشورة القورطس بمملكة قسطنطينة واحداث بعض تغييرات في قوانين هذه المشورة لعله يحصل بذلك ما يطلبه من الاهالي فلم يجد ذلك فعاقد المشورة المذكورة أثبت أن تقرر على اخذ اموال غير المعتادة فن ثم كان كلما كثرت عدد جيش الاميراطور ازادت حيرة الجنرالات والرؤساء لاسيما الدوق دي بوربون فانه كان في خطب عظيم لهذا السبب ولم ينج منه الا بعد أن بذل غاية جهده وجميع ما في وسعه وذلك ان العساكر الاسبانولية التي كانت في دوقية ميلان كان لها عدة اشهر لم تأخذ ما هيتهما فدخل الامير فروندسبرغ ومعه عساكره الالمانية المتقدمة وكانوا على غاية من الاحتياج لايملكون شيأ يطلب عساكر اسبانيا أن تدفع لهم ما هيتهم وطلب العساكر الالمانية المذكورون أن يصرف لهم ما وعدوا باعطائه عند دخولهم دوقية ميلان وصار كل من العساكر الاسبانولية والالمانية يشدد في الطلب كل التشديد فلما رأى الدوق دي بوربون انه لا يمكنه تسكين غضبهم اضطر الى ارتكاب امور طولية تخالف طبعه من الحلم والمروءة وذلك انه قبض على كابر دوقية ميلان وهددهم واذاقهم العذاب الاليم حتى حصل منهم مبلغا جسيما واخذ من الكنائس جميع ما كانت خزائنه من انواع المعادن الثمينة ومع ذلك فلم تكف هذه المبالغ الالهام وادعوا على العساكر امكنه أن يسكن غضبهم بتخليه وخذاعه وان كانوا لم يستوفوا جميع استحقاقهم

مطلب
تقاد اموال الاميراطور

مطلب
اطلاق الدوق دي برون
للاميرمورون

ولما كان الدوق دي بوربون لم يرل محتاجا كل الاحتياج اطلق الامير مورون من السجن وكان وضع فيه منذ ظهور القسنة التي كان يدبرها فاخذ منه عشرين الفاسم الدوقات وخلي سبيله مع ان القضاة الاسبانوليين الذين انيطوا بتحقيق دعواه كانوا قد حكموا بقتله فانظر كيف كان عقل هذا الامير وتجيده

حيث كان يستميل اليه كل من دنا منه حتى انه انتقل من وصف كونه اسيرا ذليلا الى وصف كونه محبا صادقا للدوق دي بوربون حتى كان يشاوره في اهم المصالح ولاشك انه هو الذي يتحمله وخذاعه افعم هذا الدوق ان اليمبراطور لم يقصد ان يجعله حاكما على دوقية ميلان وان الامير ليونه وغيره من الامراء الاسبانوليين لم يكن ارسالهم من طرف اليمبراطور عن طيب نفس وصدقينة لقصد اعائته على تقيم مقصده وهو استيلاؤه على دوقية ميلان وانما ارسلهم عيوناً يتجسسون عليه ويلاحظونه في حركاته وافعاله وكان مورون المذكور في سن الثمانين ومع ذلك كان جسورا كانه في عنفوان شبابه فلما نفع ان يكون هو السبب في تخريض الدوق دي بوربون على المشروع العظيم الذي هم بتخيزه بعد ذلك بمدة طيلة ولم يكن يتوقع من مثله ثم ان العساكر الموجودين في ميلان لم يزلوا يشتدون في طلب استحقاقهم وزيادة على ذلك كان لا يتيسر تحصيل ما يقوم بمصاريفهم وموتهم فزعم البحث عن واسطة يكون بها الخلاص من تلك الورطة وكان مالمهم من الاستحقاق يزاد كل يوم ومع ذلك كان اليمبراطور لا يرسل الى رؤسائهم شيئا من الدراهم فبذل هؤلاء الرؤساء غاية جهدهم فلم يمكنهم تحصيل شيء من البلاد التي كانوا بها لانها كانت قد خربت وفقدت اموالها فكان لا يتقدم من هذه السنة الا احد شيئين اما اطلاق الجيش او السير به الى بلاد العدو ليتقوت منها وكان اقرب البلاد اليهم البنادقة الا ان البنادقة لم تكن عادتهم التصرف في العواقب حصونا بلادهم حتى صارت امانة من هجوم العدو فبذلك تعين تسير العساكر اليمبراطورية لتجهز على بلاد البابا اوبلاد فلورنسة وكان البابا كاثمان بافعاله السابقة قد استوجب ان ينقم منه اليمبراطور انتقاما شديدا خصوصا وكان البابا يجترّد دخول عساكره في رومة بعد قيام العائلة الكولونية لم يراع المشارطة المنعقدة بينه وبين الالجي هو غس مونكاد فزول الكردينال يومه كولون ونفي بقية العائلة الكولونية وتغلب على جميع قلاع تلك العائلة وحصونها وخرب اراضيها وديارها وبعد ذلك

مطلب
تفكر الدوق دي بوربون
فيما ينبغي له فعله

وبجه عساكره الى مملكة نابلي وكانت تعينه الدونغا الفرنساوية فتغلب عليها على بعض بلاد مع السهولة وكانت جنرات الاميراطور لعدم الاموال لا يمكنها أن تقاوم حتى المقاومة

توجه الدوق دي بوربون
للمعجم على اراضي البابا

فلما صدر ذلك عن البابا اتخذ الدوق دي بوربون حجة بنى عليها حاصده التي حمله عليها الضرورة وكانت الاحوال اذذاك لاتساعده فاستدوا على انه كان في يأس عظيم وانه صاحب معارف غزيرة حتى امكنه أن يظهر على تلك الموانع الكثيرة الصعبة وذلك انه بعد أن سلم حكومة ميلان الى الامير ليونه توجه في شدة القرب والبرد ومع جيش يبلغ خمسة وعشرين الفاً مختلطين في الملل والاخلاق واللغات ولم يكن معه مال ولا ذخائر ولا اسلحة ولا مهمات وبالجملة فلم يكن معه شيء من الامور اللازمة لهذا الجيش الكبير وللسرية صغيرة من العساكر ولا يخفى ان البلاد التي كان متوجها اليها مشحونة بالجبال والانهار ومساكنها غير مطروقة وزيادة على ذلك كان جيش العدو اكثر عددا من جيشه بحيث يمكنه أن يلاحظه في جميع حركاته ويغتني كل فرصة لاحتماله ولكن لقيام حظه كان عساكره فرسدة وامن الشدائد التي حلت بهم فكان غاية مرامهم معرفة عاقبتها وما تؤول اليه ليخلصوا من العذاب الاليم الذي كانوا به لاسيا وكنوا يطمعون أن يغفروا غنا عظيم فلم يلتفتوا للمشاق التي كابدها في الطريق وساروا مع الدوق دي بوربون منسرحين الصدر وكان قصد هذا الدوق ان يتدنى بالغلب على مدينة بليرنسة وينهبها ويعطى اموالها للعساكر لكن تقطعت جنرات جيش المتعاهدين افسد عليه هذا المقصد فقصده حينئذ التغلب على مدينة بولونيا فلم ينجح ايضا لان هذه المدينة كان بها من المحافظين من يكفي في حمايتها من جيش لا ذخائر معه ولا اسلحة فلما لم ينجح بوربون في هذين المقصدين ينس من أن يمكنه التغلب على مدينة من المداخر الكبيرة واستمر على السير بهيئة ولكن كان قد مكث شهرين كاملين وهو يجد السير حتى تعب العساكر كل التعب من طول السفر وشدة الشتاء وعدم الذخائر وكانوا قد اعتروا قبل ذلك بمواعيد وعدوا بها فالحاب الملم منها وداخلهم

القسوط والياس قرت همتهم وشمت تقوسهم واخذوا يستجرون ويتظلمون حتى
اظهروا العصيان واخذ بعض الضباط في تسكينهم فقتلوه لم يمكن للدوق دى
بوربون أن يظهر أمامهم في شدة غضبهم واضطر الى القرار والخروج سرّاً
من مسكنه لكن بعد ذلك سكن غضبهم بالتدريج وكان لهذا الدوق براعة عظيمة
في ادارة العساكر وتأليف قلوبهم فتحيل عليهم وعزهم بالمواعيد المزخرفة
وفعل معهم جميع ما رآه لازماً لتسجيعة وتسليتهم على المشاق والكروب التي
كانوا بها فكان يمشى على رجليه ويغنى معهم الاغاني التي كانوا ينشدونها
ويأتون فيها بدموعه بالشجاعة ويستجرون به من حيث الفاقة والفقر وكانوا
اذا مرّوا بقرية يأذن لهم فيها حتى يشرح صدورهم ويقولوا انه معهم على الوفاء
بوعده ولما كان يحيل عليهم بهذه المثابة نسوا آلامهم ومشاقهم واستمروا على
المسير معه يتأخرون وصاروا لا يشكون ابداً

ولكن كان الدوق دى بوربون لا يظهر مقاصده حتى ان رومة و فلورنسة
لما كانا لا يعلمان الى اين توجه مكنيا في حيرة عظيمة وكانت حيرة البابا كليمان
اعظم من حيرتهما لانه كان يحافظ على ابقاء هاتين المدينتين في الامن
والاطمئنان لما له في ذلك من المصلحة وحين كانت الاخطار التي كان عرضة لها
تستدعي أن يحتسب بما في وسعه كان يضع الوقت في مذاكرات لا تجدى نفعا
او يصم على اموره بعدل عنها لان قريحته وان كانت تدرك دقائق المشكلات
الا انه كان يجزع عن ادراك ما يكون به ازالته فكان تارة يصم على بقائه في زمرة
المتعاهدين وبذل وسعه في الحرب مع الايمراطور وتارة يصم على انتهاء الحرب
بالتى هي احسن حتى حله الجبن والخوف على عقد مشاركة مع الامير لانواى
كان من جملة بنودها الاصلية ان تفقد هدنة ثمانية اشهر بين
عساكر البابا وعساكر الايمراطور وان البابا يعطى ستين الف ايكو (ريالا)
لتصرف على الجيوش الايمراطورية وان يعفو عن العائلة الكولونية ويرد اليها
اراضيها ومناصبها وان يذهب الامير لانواى الى رومة ويمنع الدوق دى
بوربون عن الهجوم عليها وعلى مدينة فلورنسة وأنت ترى أن البابا بهذه

مطلب
خمول البابا وعدم تجرعه

مطلب
المشاركة المنعقدة في ١٥
من شهر اذار بين البابا
ونائب الايمراطور في مملكة
نابلي

سنة ١٥٢٢

المشاركة قد حرم نفسه من اعانة المتعاهدين من غير أن يترتب عليه ما ثمرة يعتمد
عليه في الامن على نفسه ومع ذلك ظن انه قد خلص من جميع الاخطار التي كان
عرضة لها فاسرح عساكره ما عدا من كان يلزم نخفه وحراسته وكان الماهر
عيساردين يومئذ مع جيش المتعاهدين بوظيفة كونه وكيلا عن البابا فامكنه
بعلو منصبه وكثرة معارفه أن يدرك أن البابا في غرور عظيم وتعجب حيث رأى
البابا أننا مطمئنان في تلك المترفع ان دأ به الخوف والوسوسة لكن لم يعلم لذلك سببا
الاعنى البصيرة الذي يقضى به الله على من اراد خسارته وكان ذلك
امرا مقضيا

مطلب

عدم التفات دي بوربون
الى هذه المشاركة

والظاهر ان الامير لانواي كان مقصده أن يعمل بمقتضى المشاركة المتعقبة
بينه وبين البابا وذلك انه بعد أن استمال البابا كليان وفصله عن حزب المتعاهدين
اراد ان الدوق دي بوربون يتوجه بجيشه الى اهل البنادقة لانهم هم الذين
اظهروا والبضعة للامير اطورا أكثر من جميع الامم التي كانت تخاربه اذ ذلك الوقت
لاجل هذا الغرض رسلا الى الدوق دي بوربون ليخبره بالمهنة التي عقدها
البابا باسم الامير اطور ولكن كان لهذا الدوق ما وب آخرى وكان مصمما على
مشروعه كل التصميم وكان يخشى أن يظهر للعساكر العدول عن مقصده وزيادة
على ذلك كان يغض البابا بغضا شديدا فلم يسمع قول لانواي واستمر على
تخريب دول البابا وعلى السير الى فلورنسة ولما عاينها ازداد رعب البابا كليان
وعظمت حيرته وكبرت مصيئته وطلب من الامير لانواي أن ينج عنه الدوق
دي بوربون فاسافر لانواي لقباله الجيوش لكنه لم يستطع الدومنه وذلك
ان عساكر دي بوربون عجزوا أن يلغهم خبر المهنة داخلهم الغضب
والغيظ وطلبوا تضيقا وعدوا به حتى كان لا يمكن للدوق دي بوربون أن يسكن
غضبه فرأى اهل رومة انه لا يحيط عن هذا الخطب وانه لا يتقهم احتراس
ولا تدبير واما البابا كليان فانه رجع الى ما كان عليه من الامن والاطمئنان
لان الدوق دي بوربون خادعه واطمأنه انه لا يريد الا الصلح
ولا يخفى ايضا أن الدوق دي بوربون كان مخيرا في أمره وذلك انه لم ينجح

مطلب

تقدم دي بوربون الى
مدينة رومة

سنة ١٥٢٧

في هجومه على بعض المدن وكان قد اراد الهجوم على مدينة فلورنسة فرأها قوية على المقاومة لما وصل اليها من العساكر مع الدوق أوربان فاضطر الى العدول عن مقصده الى مقصد آخر وصمم على مشروع صعب جعله اهل عصره من قبيل الكفر وذلك انه عزم على اخذ رومة ونهبها ثم كان هناك عدة اسباب تجعله على ذلك منها غاظة الامير لانواي حيث كان يريد ابقاء هذه المدينة آمنة مطمئنة بالمشاركة التي عقدتها مع البابا ومنها انه كان يرى أن الايبراطور يحصل له حفظ عظيم من اذلال البابا كليان لكونه هو السبب في العصبية التي تحزبت عليه ومنها انه كان يطمع انه اذا اخذ هذه المدينة واعطى سبلها للعساكر ازداد جهم فيه وارتباطهم به واعانوه على مقاصده ويحتل وهو الاقرب انه كان يؤمل انه ان اخذ المدينة المذكورة التي هي اعظم مدائن النصراني امكنه أن يجتذل لنفسه مملكة مستقلة ويتفصل عن الايبراطور ويصير ملكا على بلاد نابلي او غيرها من ممالك ايطاليا

وعلى كل قد تفجّر مقصده مع السرعة الجيئة وذلك أن عساكره لما رأوا غنيمتهم نصب اعينهم نسوا ما لحقهم من مشاق الجوع وصاروا لا يشكون من عدم صرف ما هبأتهم لهم فلما رأى البابا انهم جاوزوا اقليم طوسكانة وتقدموا جهة رومة علم ان أماله من قبيل الاماني الباطلة واستيقظ من غفلته لكن كان الوقت لا يساعده لضيقه ولو فرض انه كان نهبيا غيره اعظم منه جسارة وأسرع في انهاء الامور وبها المكنه أن يحتسب باحتراسات نافعة يدافع بها عن بلاده وبالجلة فتده حكم كليان على الكنيسة الرومانية لم يتك عنها الاختلال والحيرة ومع ذلك قد جمع من كان باقيا في مدينة رومة من العساكر الذين سرتهم وسلح الصنائعية وخدم الكردينالات واصلى ما كان باسوار المدينة من المحال والشرور المهذومة وانشأ تحصينات جديدة وحكم بكفر دي بوربون وعساكره وسب الالمانيين بتسميته اياهم لوتيريه بمعنى اتباع لوتير والاسبانوليين بتسميتهم مسلمين وعول على هذه الامور التي لا تجدى نفعا ظنا منه ان حكمه على هؤلاء العساكر بالكفر يزعجهم ويردهم عن مقاصدهم

مطلب
ما استعده البابا للدفاع
عن نفسه

سنة ١٥٢٧


مطلب
الهجوم على مدينة رومة

ولا يعلم انهم كانوا يحتقرون ذلك ولا يعبأون به بل كانوا لا يريدون الا الغنية
في الحرب فاشار عليه ارباب ديوانه أن يخرج من المدينة فأبى أن يصفي لقولهم
وصم على المكث بها حتى يأتي اليه العدو

وكان دي بوربون يرى انه لا ينبغي له أن يهمل في ذلك طرفة عين حيث ان
مقاصده قد ظهرت وعرفها الخاص والعام فحث السير حتى سبق جيش الدوق
اوربان بعدة مراحل ونزل بجيشه في سهول رومة في مساء اليوم الخامس
من شهر ايار واخذ يرى عساكره القصور والكنايس الموجودة بهذه المدينة
التي مكنت عدة قرون وهي بتلغ اموال بلاد اوروبا بدون أن تسم ايد عدو
من الاعداء وحسن لهم ان يستريحوا مدة الليل ليستعدوا لاختل المدينة عنوة
في الغداة ووعدهم أن يعطيهم في نظير ما لحقهم من المشاق جميع الخزائن
الموجودة بها

وكان دي بوربون قد صم على تحليد ذكره بهذه الواقعة اما بانجاحه او بموته
ففي صباح اليوم الثاني ظهر أمام عساكره منسلحا بجميع ادوات القتال
ولباسا فؤة هائولا ايضا لكي يتمكن من رؤيته اعداؤه واحبابه وحيث كان
يعلم أن جميع ذلك يتوقف على الشدة عند الهجوم سار فورا بعساكره ليصعد
اسوار المدينة واخذ من الملل الثلاثة التي كانت بجيشه ثلاث جماعات جماعة
من الالمانيين وجماعة من الاسبانيولين والثالثة من الايطاليين وفزع
بينها فامر كل جماعة أن تنجم على محل مخصوص وتبع هذه الجماعات الثلاثة باقى
الجيش ليعينها وبعضها على حسب ما تقتضيه الاحوال فنار النقع وانفقد
الغبار وهم يتقدمون جهة المدينة فلم يزالوا محتفين عن النظر حتى وصلوا الى
شاطئ الخندق الذي كان حول ضواحي المدينة ووضعت السلام في اسرع وقت
وصعدت كل جماعة على الاسوار مع الشدة العظيمة والحمية التامة فكانت كما كانت
فصار من بعضها لكونها من ملل مختلفة فقابلهم اهل رومة اولاب عزم
كهمهم واطهر السويس الذين كانوا يحتقرون البابا وكذلك العساكر الذين
يجعهم من الشهادة والشهامة ما جعلهم اهلا للاعتماد عليهم في المدافعة عن

مطلب
قتل دي بوريون

اعظم مدائن الدنيا واشهرها حتى انه بعزمهم وثباتهم لم يمكن لعساكر دي بوريون
أن يقدموا عليهم مع شدتهم وحجيتهم بل اخذوا في التمهيد والرجوع على اعقابهم
فلما رأى الدوق دي بوريون ان هذا الوقت هو وقت النصره والا انهزام نزل
عن جواده وتقدم أمام العساكر الهاجرة واخذ مسلما من واحد من العساكر واسنده
الى الحائط واخذ يصعد عليه وهو يقوى قلوب عساكره ويصيح عليهم أن يتبعوه
فاصابته من جهة السور صاعقة تقبض عليه فادركه ان جرحه فانه لکن
لم يغيب عقله فاوصى من كان بقربه أن يسفروا جسمه ويرنس حتى لا تقتصرحه
العساكر اذا راؤهم ميتا وبعد لحظة قليلة مات وهو في همة عالية تكسوه حلة البهاة
والايهة بحيث لو كان قتله في المدافعة عن بلاده لارتبعا على جيش اعداءه وطنه
لكان ما انظرهم من الهمة عند الموت  سبه اعظم نفرا اكسبته الرجال
وتزيت به سير الابطال

ولكن لم يكن اخفاء هذا الخبر مدة طويلة لانه كانت عادته أن لا يفضل بل كان ينقل
من جهة الى اخرى ويسادر الى الجهات المنطوية ليقصم احوالها وخطوبها
فلما غاب عن اعين العساكر عرفوا انه قد مات لكن لم تقتصر همهم بل ازدادوا حمية
وجنونا وصاروا يلهبون بقط دي بوريون من صف الى آخر ويتفرون به بقولهم
عليكم بالدم واخذ النار بعد مدة قليلة كانت قوى العساكر الذين كانوا يدافعون
عن الاسوار فطر عساكر دي بوريون من يقاومهم ودخلوا مدينة رومة
كسبل العرم زيل ما صادفه في طريقه

وكان البابا كليمان مدة القتال تحت محراب ماري بطرس يسطر الاكف
بدعاء غير نافع ويطلب من الله النصره على اعدائه فلما اتاه الخبر ان عساكره
قد رجعوا على اعقابهم وكن الى الفرار ومن العجيب انه لم يخرج من باب غير
الباب الذي دخل منه الاعداء حتى لا يصادف واحد بل ذهب هو وثلاثة عشر
من الكردينالات ورسل الممالك الذين كانوا عندئذ الى قلعة متينج ولم يرتدع
مما حصل له بها حين التعاقب اقبل ذلك فتصددها به الى هذه القلعة راى عساكره
يقفون أمام الاعداء وهم لا يرتنون لحالهم وسع صياح اهلها الى مدبنته ونواحيهم

سنة ١٥٢٧

مطلب

نهب رومة

ورأى بعينه المصائب التي كان سببها قبح اداوته وعدم تبصره ولا يحسن وصف ما لحق رومة من المصائب والاهوال التي اعقبت هذه الحادثة لما انه تقصر عنه العبارة ويجعل عن أن يتصوره عقل او يحصره وصف فحصل لكان رومة ما يحصل لمدينة اخذت عنوة بعدا كرا كالجماين خلت قلوبهم عن المروءة والرافة فاصابهم قساوة الالمان الذين هم كالوحوش الكاسرة وطمع الاسبانوليين ومهانة الابطاليين وحصل التهب في الكنائس والقصور والبيوت ولم يحترموا شيئا ولا عيبا ولا نساء بل لحقت افعالهم القبيصة كل الناس وعم الكرد ينالون والقصور والاشراف والنساء والبنات قساوة هؤلاء المتبربرين الذين كانت قلوبهم خالية عن الشفقة والمروءة ولا يخفى انه في العادة متى اخذت مدينة عنوة لا تستر فيها القواش والمظالم من طرف المتغلبين بل تبطل بمجرد سكون غضب العساكر الان عساكر الإمبراطور مكنت عدة اشهر بمدينة رومة وهي تظلم الالهالي ولم يكن غضبها بل ولم تقص عن الحالة الاصلية وكان ما غنموه من التقود يبلغ مليونان من البنادقة وما اخذوه في القذا ابطريق الظلم والتهب يزيد على ذلك ثم ان رومة كان قد قلب عليها عدة مرات الامم السجالية الذين هزموا الإمبراطور في القرن الخامس عشر والسادس عشر الان هؤلاء الامم الكفرة العجيبة الذين كان منهم امة الهوينين والونداليين والنوطيين لم يفعلوا بها كما فعل هؤلاء العساكر الذين هم متدينون بدين النصرانية ومحكومون بملك فانوليني

وبعد موت دى بوربون قوى قيادة الجيش الإمبراطورى الامير ظهير دوشالون وكان من عائلته اوريجه اللوكية فتش عليه جدا وقت التهب أن يأخذ بعض العساكر ليحاصر قلعة متينج فلما اطاموا حصار هذه القلعة ادرك البابا كايان انه لا حزم عنده ولا اداة حيث التي بنفسه في قلعة خالية عن المهمات وادوات المدافعة ولكن كان يرى ان عساكر الإمبراطور ملتفتون الى التهب في المدينة وليسوا معنيين بحصار القلعة فسولت له نفسه انه يمكنه المقاومة حتى ياتي اليه الدوق اوربان فيعينه ويتقدم من اعدائه وكان هذا الدوق قادما

مطلب

حصار البابا في قلعة متينج

على رومة بجيش من عساكر البنادقة وأهل فلورنسة والسويسنة
وكانوا جميعاً مستأجرين على طرف مملكة فرنسا وكان هذا الجيش كبيراً
بحيث يمكنه اقتحام البابا كليان من الخطر الذي كان به ولا يمكن كان الدوق
اوربان يعض عائلته مدسيسة وكان كليان من تلك العائلة فأترا لانتقام
لنفسه من هذه العائلة على ما يكتسبه من الخمار باقتضاده لتقت الممالك
النصرانية ولرئيس الملة المسيحية فزعم أن اقتحام تلك المدينة خطر جداً وأنه
لا دروته عليه ولا جمل أن يضم البابا أنه اتحافل ذلك لينتقم منه ومن عائلته
قرب من مدينة رومة حتى رآه البابا من قلعة ستنج ثم رجع فينس
البابا من النجاة واضطر مدة حصره في هذه القلعة حتى أكل لحم الجبر وبعد ذلك
سلم وقبل الشروط التي أزمها الأمير فليبيرد وشالون فرضى أن يدفع إلى
جيش الإمبراطور أربع مائة ألف بندقى وأن يسلم إلى الإمبراطور جميع القلاع
والحصون الموجودة في أرانتى الكنيسة وأن يعطى رهاث ويمكث مسجوناً حتى
يعمل بمقتضى ما تفتخته المشارطة وأمر الأمير الرسون بخضر البابا بمدة مجنحه
لأنه يتشديه على الملك فرنسيس حين كان أسيراً ظهر أنه يصلح لهذه الوظيفة
غاية الصلاحية فانظر إلى المقدير حيث أن هذا الأمير تولى خفر حبس ملكين
عظيمين لم يقع مثلهم في الأسر بلاد أوروبا منذ عدة قرون

ولما وصلت الأخبار بهذه الحادثة إلى الإمبراطور تعجب كل التعجب وحصل له
غاية السرور لأنه أخفى ما في ضميره عن رعاياه لأنهم كانوا في حق شديد مما فعله
أبناء وطنهم مع البابا الذي هو سيد التصاوى كافة ولا جمل أن يسكن غضب أهالي
أوروبا أظهروا أنه لا دخل له في خراب رومة حيث أنه لم يأمر بالمعصوم عليها
وكتب لساير الملوك الذين كانوا متعاهدين معه أنه كان لا يعلم مقاصد الدوق دى
بوبرون وليس علامة الحزن والبسها لأرباب ديوانه وأبطل المواسم والزيينة
التي كان أمر بها ولأدائه قيلبس ومن ثقافة الذي لم يكن يخفى على أحد أمر
أن تقام دعوات وصلوات في جميع بلاد مملكة اسبانيا لإطلاق البابا من رقة
الأسر مخ أنه لو أرسل إلى جنرالاه ورؤساء عساكره أمر باطلاقه لاطلقوه بمجرد

مطلب
سلوك الإمبراطور في هذا
الخصوص

سنة ١٥٢٧

مطلب

دخول السلطان سليمان
في بلاد الجمار

مطلب

انهزام الجمار مع ملكهم

وصول الامر اليهم

وفي ذلك الزمن كان الدهر يسعد عائلة اوستروسيا في مملكة اخرى من ممالك
اوروبا وذلك ان السلطان سليمان كان قد دخل بلاد الجمار مع جيش
يلغ ثلاثمائة الف رجل وكان لورانساف اذذاك ملكا على الجمار وعلى
وجه فلهدم ادارته وقلة تجار به ذهب لتزال هذا السلطان مع جيش لا يزيد
على ثلاثين الفا ولعدم حزمه جعل بولص طوموري مطران غولوكز
رئيسا على هذا الجيش فصار هذا الجنرال القسيس امام الجيش وهو متري
بري الرهبان متخطف بالحبل الذي تمطيق به طاقته الفرنسيكانية وكان
يعجب بنفسه ويرى انه لاشي يصعب عليه وكان عساكره لا يبالون باقتحام
الاخطار وانما يشق عليهم طول المدة فالحوا عليه حتى شرعوا في الحرب مع
السليمان امام مدينة موهاكز وفي تلك الواقعة قتل الملك لورانساف وابطال
النسب ان الاشرف وهلك اكثر من عشرين الفا وكان منشا ذلك كله جهل
المطران الذي تقلد قيادة الجيش وبعد انهزامهم تغلب السلطان سليمان على
القلاع الموجودة بالاقليم الجنوبية من مملكة الجمار ونهب ما عداها من
البلاد واسر مائتي الف نفس ولما كان الملك لورانساف اخرا الذكور من عائلة
ياجولون ادعى الارشدوق فرديند انه الحق في تاجي الجمار وجه
وكان مستندا في ذلك الى امرين احدهما ان عائلة اوستروسيا كانت تطلب
فيما سبق حق الملوكية على هاتين المملكتين والامر الاخر هو انه كان متروجا
باخت الملك لورانساف المتوفى ولكن كانت القوانين الاترامية والرسوم السيادة
باتية على اصلها في مملكتي الجمار وجه حتى كانت ملوكية هاتين المملكتين
بالانتخاب ولولا ان الامير فرديند كان معضدا بقوى عظيمة لما اجيب الى
ماطلبه ونال الملوكية ولكن كان له فضل ذاتي وكان الناس يحترمونه ايضا
مرعاة لآخيه لانه كان يومئذ اعظم ملوك النصرانية وكان يلزم تولية اميرته
قوى الشوكة حتى انه بانضمام عساكره الى عساكر رعايا نصير بلاد الجمار في امن
من الدولة العثمانية وكانت اخته متروجة بالملك المتوفى فقلت هذه الاسباب

على قلوب اهل الجمار فرضوا بوليته عليهم وان كانوا قبل ذلك يتوقون
بالنظر لكونه اجنبيا منهم ليس من ابناء وطنهم نعم كان ثم حزب عظيم يريد تولية
امير ترسولوايا وهي الارذل لكن التي قولهم وصارا لاميير فرديند ملكا
على بلاد الجمار وتبعها اهل مملكة جهه فالبسوه تاج ملكهم الا انهم
لاجل عدم ضياع من اياهم الزموا قبل تنصيبه أن يضع امضاءه على وثيقة سموها
اقرارنامه اقروا فيها فرديند ان تاج مملكة جهه لم يعط له بحق قديم وانما اعطى له
بانتخاب الله واختيارها وصارت هذه الممالك فيا بعد وراثية لعائلة اوستروسيا
فكانت اصلا في ازدياد قوتها وجعلها من ذلك الوقت مهابة محترمة عند سائر
ممالك ألمانيا

وهذه الاشياء التي اوجبت الشقاق بين البابا والايمبراطور كانت تعين كثير على
لجراح لوتير وانتشار مذهبه بين الناس وذلك انه لما غضب الايمبراطور
شر لكان من فعال البابا اشتغل بما يدافع به عن نفسه العصبة التي حاربها عليه
البابا فلم يلتفت الى ابطال مذهب لوتير الذي كان آخذا في التقدم والانتشار
والتصكن من قلوب الناس في بلاد ألمانيا وانعقدت مشورة الديانة
الايمبراطورية في مدينة اسيرة لتختبر الحاله التي كان عليها الدين اذ ذلك
فلم يلزم الايمبراطور في هذه المشورة امرأ ألمانيا بنى الاجمرد الانتظار
والصبر وان لا يفعلوا شيأ يقوى به احزاب لوتير حتى تنقضي المشورة القيسية
العامة التي طلبها من البابا فاتفق ارباب مشورة الديانة المذكورة على
أن عقد المشورة القيسية العامة هو اللقي والاحسن في نسخ مظالم الكنيسة
وفواحبها الا انهم شددوا في أن يكون انعقادها في ألمانيا وأن يكون
اربابها من اهل تلك الايمبراطورية لتكون اعظم عمرة من المشورة العامة التي
طلبها الايمبراطور وافادوا أن ما قاله لهم الايمبراطور من انهم لا يفعلون ما يوجب
تعصده مذهب لوتير لم يلتفتوا اليه بل ضروا عنه صفحا قبل انقضاء
مشورة الديانة من مدينة اسيرة حتى ان العلماء التولوجية الذين
اتبعوا منتخب سكس وامير هيصة كسيلة كانوا يعظون الناس

ويعرضونهم الاسرار الدينية بموجب اصول الدين الجديد لاسيما وكان الایمپراطور
لا يحترم البابا والكنيسة وذلك لشدة غيظه من البابا لاسيما وكان
قد كتب منشورا اذاعه بين الناس وبرهن فيه على أن ما فعله في محله وأن سلوكة
حسن فاشتد غيظ الایمپراطور ورد عليه بجواب الطنب فيه واغرب وبدأه
بتعداد الجزئيات التي تدل على غدر البابا وخيائته وطمعه وقلة ديانته وتشكي
من ذلك وشنع عليه كل التشنيع وختمه بإيجاب عقد جمعية قسيسية عامة وكتب
ايضا الى ديوان الكردستانات يشكي من عدم انصاف البابا كليمان ومن
تخامله وعصبته وحرّضهم أن لا يعملوا في عقد تلك المشورة القسيسية ولوأبى
البابا كليمان عقدها وارا دناخيرها الى وقت آخر لان تلك المشورة فيها
اصلاح حال الكنيسة النصرانية فان اهل فيها البابا وجب عليهم أن يعتقدوا
مشورة قسيسية عامة باجمعهم واتسرحوا بالایمپراطور في جميع بلاد المانيا
ولم يكن في التشنيع والخط على البابا دون تأليف لوتير وقرأه جميع الناس
خاصة وعامة وأثر في سائر القلوب حتى ازال منها ما كان قد انطبع فيها عما نشره
هذا الایمپراطور قبل ذلك من منع الدين الجديد

تم الجزء الاول من كتاب تحف ملوك الزمان بتاريخ الایمپراطور شرلكان
وبليه الجزء الثاني ووافق ذلك الثاني عشر من شهر رجب سنة ١٢١٨
ستين ومائتين بعد الالف من هجرة من له العز والشرف
صلى الله عليه وعلى آله والناس جميعا على منواله
أمين

بيان الخطا والصواب من الجزء الاول من كتاب اتخاف ملوك الزمان

بتاريخ الامير الطور شر لكان

خطا	صواب	صحيفة	مطر
في عمر الثمانية	في عمر الثمانية	١٥	٤
الحومة	الحكومة	١٨	١١
ساعات كان	ساعات وكان	٢٠	٢٢
قوس	قوس	٢٣	١١
وكان يعلم	وكان يعلم	٢٥	١٣
غزاو لينوس	غزاو لينوس	٧٦	١١
ويعتبرونه	ويعتبرونه	٩١	١٠
اذا كان	اذا كان	٩٧	٢
في دواقة	في دواقة	١٤٤	بالهامش
في معاقبته	في معاقبة العاصين	١٥٢	بالهامش
الاميرين	الاميرين	١٦٠	٣
نهيته	نهيته	١٦٩	١
الداخلي	الداخلي	١٧٦	٢٠
قام مقامه	اظم مقامه	٢٣٣	٩
رى البابا	رأى البابا	٢٤٩	١٧
اقطع	اقطع	٥٢١	٢٤

